الحـوار العربـــي التركـي
حـــــول
قضايا الإسلام في آسيا الوسطى
دراســات في التاريـخ والحضــارة

أوراق المؤتمر الدولى (أوزبكستان موطن علماء ومفكرى العالم الإسلامى العظام) الذي عقد بمدينتى سمرقند وبخارى احتفالاً بطشقند عاصمة للثقافة الإسلامية للعام 2007
تحت إشراف المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (أيسسكو)

مجموعـة باحثيـن

المحرر

د. مجـدي زعبـل

بطاقة الفهرسة

اســـم الكتـــاب: **قضايا الإسلام في آسيا الوسطى**

المحـــــــــــرر: **د. مجدي زعبل**

الطبعـــــــــــة: **طبعة أولى / 1431هـ – 2010 م**

الناشـــــــــــر: **مكتبة جزيرة الورد**

رقـــم الإيـــداع:

الترقـــيم الـــدولي:

للناشر

مكتبة جزيرة الورد – القاهرة / ميدان حليم
خلف بنك فيصل شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا
012/9961635 – 02/27877574
010/0004046 – 010/0104115

إهداء

إلـــــــى روح أمــــــى

التــي لا تمـوت

* * *

مقدمـــة

مقدمة

1 - عندما تعبر نهر زرافشان الشهير (في قلب أوزبكستان) ستجد نفسك مباشرة على عتبات سمرقند عاصمة الدنيا - في زمن مضى - وحاضرة الشرق الجميلة ومكمن أساطيره الكبرى. وفي سمرقند ينتهي العمران ويبدأ التاريخ وكأنه لا ينتهي... تأخذك الشوارع الضيقة والميادين القديمة إلى أثر بعد أثر من شاهي زندا إلى جور أمير إلى أفرو سياب إلى مرصد الوغ بيك إلى قبر الإمام البخاري... ومن ميدان الريجستان الشهير إلى حواري المدينة القديمة...

كنت دائمًا هناك أتابع بنهم تفاصيل التاريخ وحضارة الإنسان وأثره الرائع في زمن مضى.

كنت دائمًا هناك أحاول بشوق حقيقي فك أسرار هذه المدينة الآسرة التي سكنت قلوب ملايين من البشر دون أن تطأها قدمهم وكأنها حلم مراوغ بعيد المني، وكلما جاء الأدباء والشعراء وكتبوا كلما ازدادت سمرقند جمالاً وغموضاً وتمنعاً.

كنت دائماً هناك أعبر النهر فأجد محطة سكك حديدية ضخمة أقف على رصيفها وأقرأ سمرقند باللغتين الروسية التي أعرفها جيدا والأوزبيكية التي لم أتعلمها قط.

غير أن هذه المرة لم أكن وحدي بل كان بصحبتي نخبة من علماء مصريين وعرب وأتراك وأوزبك جئنا لمباشرة أعمال المؤتمر العلمي الدولي
" أوزبكستان موطن علماء ومفكري العالم الإسلامي العظام "، والبرنامج يومان في سمرقند ومثلهما في بخارى ثم العودة إلى طشقند والمناسبة

الاحتفال بطشقند عاصمة للثقافة الإسلامية عن المنطقة الآسيوية لعام 2007.

أما قطار الريجستان الشهير السريع الذي أقلنا من طشقند إلى سمرقند فقد انتظر على شوق ليواصل رحلته معنا إلى بخارى.

وفي بخارى كما في سمرقند كان الاستقبال حافلاً بمشاعر لا توصف وحملنا أشواقنا إلى كل مكان في بخارى أعظم الحواضر الإسلامية في القرون الوسطى قاطبة من مسجد كالان الشهير إلى مدرسة مير عرب التي تقف أمامه في الساحة كأنهما حارسان للتاريخ والعقيدة تشهد عليهما مأذنة كالان التي تقف منتصبة بألوانها الزاهية البديعة تنحاز قليلاً ناحية المسجد، غير أن الملفت للنظر والداعي للانتباه أن عظمة المباني وجلالها والحضور الطاغي للمشهد لا يفرض عليك صمتاً من فرط الدهشة إلا ثوان معدودة قبل أن يبدأ حوار تكاد تسمعه بين الأشقاء الثلاثة (المسجد والمأذنة والمدرسة) الذين يمثلون معا أحد أهم آثار آسيا الوسطى كلها.. ومن حصن بخارى إلى ميدان لابي حوض حيث المدارس الإسلامية الشهيرة وتمثال " جحا " يركب حماره يرحب بالقادمين لكنه يحذرهم... نعم.. جحا الحقيقي ابن هذه المدينة واسمه " خوجا نصر الدين " وها هو أمامنا يرحب ويحذر.

في سمرقند وبخارى وطشقند دارت وقائع هذا المؤتمر الدولي.... ولنبدأ من البداية.

2 - عندما اختارت المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (أيسسكو) مدينة طشقند عاصمة للثقافة الإسلامية عن المنطقة الآسيوية لعام 2007 كان ذلك اعترافاً - وإن تأخر - بقيمة الإسهام العلمي والفكري

الذي قدمه علماء آسيا الوسطي للحضارة الإسلامية وهو الإسهام الذي دشن العصر الذهبي للفكر الإسلامي والعلوم الأساسية التي جعلت من الشرق في ذلك الوقت قبلة أمم الدنيا تنهل من علومه وتأخذ قسطاً من الوهج والنور والدفء لعله يأخذ بيدها من ظلام العصور الوسطى وظلمها.

ثم إن اختيار طشقند - عاصمة أوزبكستان - عاصمة للثقافة الإسلامية يتجلى في أحد أهم معانية في الاعتراف الإضافي - وإن تأخر أيضا - بقيمة الاستقلال الذي حصلت عليه أوطان آسيا الوسطي وشعوبها بعد سيطرة قاسية من الاتحاد السوفيتي تارة ومن قبله روسيا القيصرية تارة أخرى استمرت نحو مائة وثلاثين عاماً.

جاء اختيار طشقند إذًا وأدركنا أن هذا الاختيار يرتب علينا في المركز الثقافي المصري بطشقند مسئولية مضافة فيما يمكن أن نقدمه احتفالا بهذه المناسبة ووضعنا خطة عمل للمركز ليقدم إسهامه المتواضع في هذه الاحتفالية الكبرى... وفي هذه الأثناء تلقيت دعوة كريمة من وزارة الخارجية الأوزبكية تدعوني للمساهمة في المؤتمر الذي تنظمه بالاشتراك مع منظمه " أيسسكو " تحت عنوان " مساهمة أوزبكستان في تطوير الحضارة الإسلامية " الذي عقد يومي 14 - 15 أغسطس 2007 بطشقند وسمرقند. وجاءت مساهمتي في المؤتمر ببحث " عبقرية المكان والإنسان لدى النخبة الممتازة من علماء آسيا الوسطى في أوزبكستان " ضمن حوالي 180 بحثاً ألقيت في المؤتمر الذي كان من أبرز حضوره **السيد / عمرو موسى** أمين عام جامعة الدول العربية، والذي جاءت كلمته في الجلسة الافتتاحية ضافية للمعنى وصافية في التحليل مقدمة برنامجا لما ينبغي أن يقوم به العالم الإسلامي نحو وحدة الصف ونهوض الهمة.

وكان حضور السيد عمرو موسى كرمز قومي كبير يمثل خطوة عربية تجاه آسيا الوسطى طال انتظارها وقد اقترحت على سيادته في جلسة خاصة أن يبادر بتعيين مندوب من جامعة الدول العربية لمنطقة آسيا الوسطى ضمن رؤية استراتيجية لملء الفراغ واستعادة الدور العربي المفقود تقريباً في هذه المنطقة الحيوية من العالم كما اقترحت على فضيلة الدكتور/ **أحمد الطيب** (شيخ الأزهر) وكان وقتها رئيسًا لجامعة الأزهر أن يبادر سيادته بافتتاح فرعًا لجامعة الأزهر في طشقند دعمًا لنفس الأسباب.

3 - وما كاد المؤتمر ينفض حتى اتصل بي من البحرين الدكتور / محمد حرب، العالم المصري المرموق المتخصص في دراسات العالم التركي يطلب المساعدة في إقامة مؤتمر علمي بالتعاون مع إحدى الجامعات الأوزبكية احتفالاً بطشقند عاصمة الثقافة الإسلامية مؤكداً أن لديه خطة متكاملة للمؤتمر وأبحاثه وباحثيه ورجوته أن يتفضل بإمدادي بما لديه شارحاً له أننا للتو نظمنا مؤتمراً دوليا حاشداً وعليه لابد أن يكون المؤتمر الثاني على الأقل في قيمته العلمية لا يقل عن المؤتمر الأول في قيمته السياسية... وقد تكرم مشكوراً بإرسال أوراق المؤتمر الذي حمل عنوان " أوزبكستان قوة التاريخ وازدهار الحضارة.. "

حملت مشروع المؤتمر وأوراقه إلى السيد / **شاه عظيم منوروف** نائب وزير الخارجية (سفير أوزبكستان بالقاهرة حالياً) الذي بدا سعيداً وممتنا للفكرة والجهد المصرى خلفها وبعد فترة جاءت الموافقة على عقد المؤتمر بالاشتراك مع الجامعة الإسلامية بطشقند على أن يحافظ المؤتمر على الصيغة الأكاديمية تمييزاً له عن المؤتمر السابق وقد تغير عنوانه إلى: " أوزبكستان موطن علماء ومفكري العالم الإسلامي العظام " وتقرر عقده في مدينتي سمرقند وبخارى في الفترة من 12 - 15 نوفمبر 2007

تحت إشراف المنظمات الآتية: المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم - الجامعة الإسلامية بطشقند - هيئة نماء بجدة بالمملكة العربية السعودية ومثلها رئيسها د. صالح بادحدح والمركز الثقافي المصري بطشقند.

عقد المؤتمر في ظروف ممتازة ولابد أن أذكر هنا الرعاية الكريمة التي تفضل بها فخامة الرئيس **إسلام كاريموف** رئيس الجمهورية للمؤتمر وقد تم تخصيص قطار " رجيستان " - والاسم لأحد أهم ميادين سمرقند - أقلنا من طشقند إلى سمرقند ومن سمرقند إلى بخارى ومن بخارى إلى طشقند عبر السهول الشاسعة وجبال " جيزاخ " و" تشمجان " الشهيرة ونهر " زرافشان " الذي ما أن تعبره حتى تجد نفسك على أعتاب سمرقند " درة الشرق وعاصمة تيمورلنك التاريخية ".

أما أعضاء المؤتمر من مصر والسعودية وقطر والبحرين وتركيا والعراق وتونس والمغرب وكازاخستان كانوا وكأنهم يعيشون أجمل لحظات حياتهم وقد أكدوا لي - بامتنان حقيقي - أنهم يحققون أحد أهم أحلامهم بأن يزوروا ويتلمسوا التاريخ الذي قضوا عمرهم يكتبون عنه من بعد.

أما الأبحاث التي قدمت في هذا المؤتمر فهي ببساطة مادة هذا الكتاب وهي من فرط أهميتها فقد وجدت أن قيمتها للنشر لا تكمن في أنها دراسات في التاريخ والحضارة لأن كل بحث منها هو في حد ذاته يمثل رأس جسر يمهد لبث " روح جديدة " بين الأمة العربية من ناحية وآسيا الوسطى من ناحية أخرى عبر تركيا.

لقد خطر ببالي وأنا بصدد التفكير في إصدار الكتاب أن أقوم بتلخيص الأبحاث والتركيز على مضامينها الحية وذلك لتفادي كبر حجم الكتاب

غير أنــي فضـلت الإبقـاء علـى المـتن كمـا هـو احترامـا وتقـديراً للبـاحثين الأجلاء الذين أحتفظ لهم جميعا بالاحترام والتقدير.

ثم إنني قد خطر ببالي أيضا فصل مداخلتي حول "" الطريق إلـى آسيا الوسطى "" وجعلها مادة أو أساس لكتاب منفصل عن الرؤيـة الاستراتيجية للاقتراب من - والتفاعل مع - شعوب آسيا الوسطى بعد الاستقلال غير أننـي وجدت أنـه تحقيقاً للفائـدة أن تجتمع كل الرؤي: التـاريخ والحضـارة والمستقبل معـاً.. آمـلاً أن يجـد القـارئ العزيـز الفائـدة المأمولـة مـن هـذه الأبحاث.

المحـرر

* * *

المحــور الأول

الطريق إلى آسيا الوسطى..
استئناف الدور

د. مجدي زعبل

1- مدخل:

كانت آسيا الوسطى - في زمن مضى - مصدرًا للنار والنور.

وكانت موجات النار المتلاحقة تحت سنابك الخيول المتوحشة من المغول إلى التتار تحرق الأخضر واليابس حتى أن المصادر تؤكد أن موجات المغول وحدها بقيادة جنكيز خان أبادت ما يقرب من عشرين مليوناً من البشر في أقل من عشرين عاماً.

وكانت موجات الدمار والفزع تلك تنتهي في مطلق الأحوال على تخوم الأمة العربية وبها اكتوت دمشق واحترقت بغداد على يد هولاكو حفيد جنكيز خان عام 1258.

لقد عبر معظم النابهين من أبناء هذه الأمة عن - واستوعبوا - معنى الأمن القومي حين وقفوا على حدود الجغرافيا واتسعت رؤيتهم لقراءة التاريخ وأدركوا جميعاً من رمسيس الثاني إلى جمال حمدان مرورا بمحمد على وجمال عبد الناصر وغيرهم أن أمن الوطن يبدأ من دوائر أبعد بكثير من حدود الجغرافيا.

وكانت موجات النار تلك لا تكاد تهدأ - جيلاً بعد جيل - حتى تشتعل من جديد إلى أن دخل الإسلام آسيا الوسطى وكان بمثابة قبلة المجد لشعوبها وأحد أهم مصادر النور لتلك البلاد البعيدة التي ما لبثت أن تفاعلت معه وأسست على هديه حركة علمية وثقافية هائلة أضاءت ليس

فقط آسيا الوسطى إنما الشرق كله الأمر الذي جعل أوروبا تسعى لتأسيس نهضتها الحديثة على ضوء أنوار العلم الآتية من الشرق واستمر الأمر قرابة ستة قرون إلى أن اجتاحت روسيا القيصرية هذه البلاد عام 1865 وفرضت عليها عزلة قسرية استمرت قرابة مائة وثلاثين عاماً متصلة منها خمسون عاما في ظل روسيا القيصرية وثمانون عاما في ظل الاتحاد السـوفيتي (1917 - 1990).

ولأنه لا يوجد في تاريخ الأمم أغلى من لحظات الاستقلال فإن جمهوريات آسيا الوسطى حال استقلالها عن الاتحاد السوفيتي راحت تبحث عن هويتها وتاريخها الإسلامي تستعين به على بناء نهضتها الجديدة وتزيل عن كاهل تاريخها هذا الإرث الكريه من الاغتراب والانسلاخ وتأكد لها - في فوران البحث عن الهوية والمستقبل - أن محيطها الاستراتيجي الحاكم هو الأمة العربية والإسلامية وإن كان النداء قد وصل لأسماعنا إلا أن عناصر الاستجابة لم تكن كافية إلا قليلاً لهذا فإن البرنامج الحالي يطمح إلى تأسيس **دوراً** عربياً فعالاً ونشطاً يتعامل مع " جذوة النار المتقدة " في التاريخ المشترك بين الأمة العربية وشعوب آسيا الوسطى ويوظفها **كضرورة** تاريخية لبناء علاقات استراتيجيه أوسع وأعمق.

وعندما يطل المرء على التاريخ ويرى بواعث الخير وطاقات النور والأمل ومساحات العظمة والجلال في فترة التلاقي الأولى لبلاد ما وراء النهر مع الإسلام يكتشف كيف استلهمت شعوب آسيا الوسطى فلسفة الإسلام وفكره ثم أضافت بدورها إليه من رحيق علمائها الأفذاذ وعطائهم السخي ما جعل الدنيا كلها تقف باحترام وإجلال - حتى هذه اللحظة - أمام

هذا العطاء العلمى الفريد.

إننا على ثقة - لا يخالطها أدنى شك - في أن مؤسسات العمل العربي والمصري ذات الصلة وفي مقدمتها جامعة الدول العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة " أليكسو ") ووزارة التعليم العالي (قطاع الشئون الثقافية والبعثات) ووزارة الخارجية المصرية (الصندوق الفني للتعاون مع دول الكومنولث) ووزارة الثقافة المصرية (قطاع العلاقات الثقافية الخارجية) وكذا الجامعات ومراكز البحث في الوطن العربي المهتمة والمعنية بدراسة حركة الثقافة واللغة العربية خارج حدودها الجغرافية.. نقول أننا على ثقة في قدرة هذه المؤسسات على الوفاء بهذا **الدور** والاضطلاع بهذه **الضرورة** في لحظة تاريخية تتعاظم فيها الحاجة إلى حوار ثقافي حضاري إنساني واسع يوفر للبشرية فرصة التقاط الأنفاس والتأمل نحو مستقبل لا تحكمه شروط الحرب وعثرات الاقتصاد والمال وما تسببه من دوائر للفقر والتعاسة بل مستقبل تحكمه شروط العدل والمساواة والكرامة الإنسانية التي هي من حق كل شعوب الأرض بلا تمايز أو تمييز.

2- متن:

تشمل هذه الرؤية استعراض ثلاثة محاور رئيسية:

1 - إطار تاريخي عام.

2 - إطار استراتيجي حاكم.

3 - خطة عمل مقترحة.

أولاً - إطار تاريخي عام:

دخل الإسلام إلى بلاد ما وراء النهر منذ عهوده الأولي على يد الفاتح

قتيبة بن مسلم الباهلي والي خرسان (تركمانستان حاليا) من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي.

كان قتيبة بن مسلم إلى جانب فتوحاته يمارس نشر الدعوة الإسلامية وكان قد دمر معابد المجوس في بخارى وبني فيها المسجد الكبير وبعد وفاة قتيبة في فرغانة بدأت مرحلة نشطة من الفتوحات العربية لما وراء النهر كما توسعت هجرة القبائل العربية لهذه البلاد حيث يذكر الطبري أن أكثر من أربعين قبيلة عربية انتقلت إلى بلاد ما وراء النهر وأشهرها قبائل البخيل واليمنية والقريش ومضر وربيعة وتميم وخنزلة وخزاعة.

وفي منتصف القرن الثامن الميلادي تمكن العرب من الاستقرار بشكل نهائي في بلاد ما وراء النهر خاصة بعدما انتصروا على الجيش الصيني في معركة طلس 751 م. ومع بداية القرن التاسع أصبح الإسلام دين دول وشعوب آسيا الوسطي إلا من بعض الأقاليم المؤمنة بالزرادشتية. والتي استمرت تقاوم لمدة قرنين من الزمن.

1 - الأثر العربي الإسلامي في بلاد ما وراء النهر " نظرة طائر ":

مع بداية القرن التاسع الميلادي كانت آسيا الوسطي كلها تقريبا تدين شعوبها بالدين الإسلامي واندثرت الأديان والمعتقدات السابقة كالبوذية والزرادشتية والمانوية (المذهب اليساري في الزرادشتية) وصار الإسلام أساس الحياة الاجتماعية ومصدر ثقافة الروح لهذه الشعوب ومن ثم أدى ذلك - فيما أدى - إلى تطور جذري في أنساق الحضارة والثقافة والفنون فظهرت تجليات جديدة في فن العمارة وأضيفت واستحدثت طرز هندسية معمارية في بناء المساجد والمدارس الإسلامية والمآذن (منارات) والأضرحة والرباطات (استراحات للقوافل) واستخدمت وحدة الطوب

الأحمر المحروق (طوب القمائن) في البناء وزينت الأواني الفخارية بالزخارف وظهرت الخزفيات المطلية بالألوان، **إن المدخل الطبيعي لفهم ودراسة الأثر العربي في آسيا الوسطي يكمن في الإسلام وأن المسلمين الأوائل استوعبوا المنجزات الثقافية والروحية لشعوب آسيا الوسطي وبدلا من الصدام حل الوفاق والتبادل الثقافي والحضاري مما ساهم في النهوض بالعلم والثقافة والحضارة** وتطورت العلوم الطبيعية والفلسفية سريعا في صدر الإسلام وبلغت ذروتها في القرن العاشر حيث تمكن العلماء من إبلاغ علومهم إلى الدنيا بأسرها.

ففي الفترة ما بين منتصف القرن الثامن والنصف الأول من القرن التاسع تطورت في الشرق الإسلامي العلوم الطبيعية تطورا سريعا كما انتشرت النظريات العلمية الهندية والإيرانية واليونانية بفضل نشاط الترجمة من اللغات الهندية والسريانية واليونانية في مجالات الطب والرياضيات والفلك والمنطق وعلم النفس ومن دون شك كان فضل الخلفاء العباسيين المنصور والرشيد والمأمون جليا في هذا الشأن حيث أن ضرورة إدارة الدولة مترامية الأطراف وسد حاجات المجتمع المتزايدة كانت دافعا للخلفاء في تطوير المعارف وتشجيع العلماء.

وقد شهد بيت الحكمة في بغداد في عهد الخليفة المأمون نشاطا علميا هائلا حيث تجمع العلماء من مختلف نواحي دولة الخلافة للقيام بالأبحاث العلمية والترجمة وكان يقود بيت الحكمة في ذلك الوقت الخوارزمي وكان معه نخبة من علماء آسيا الوسطي مثل الفرغاني والبيروني والرازي وجابر ابن حيان وابن إسحاق حتى أن الخوارزمي " شيخ بيت الحكمة " أنجز في هذه الفترة حوالي 18 عملا علميا في الحساب والجبر والفلك والتاريخ.

ولم يقتصر التقدم والتطور على العلوم الطبيعية وحدها بل امتد إلى علم الكلام والفقه والحديث فقد ظهر علماء فطاحل في هذا المجال منهم السمرقندي والجزجاني وابن زنجويه وغيرهم.

ونال علم الجغرافيا فيها حظا وافرا من التطور بفضل الاكتشافات الجغرافية والرحلات التي قام بها ابن خوردابيه واليعقوبي والأسطرخي والمقدسي إلى الهند والصين وروسيا وآسيا وأفريقيا.

كما تطورت علوم اللغة والتاريخ بشكل كبير على أيدي النرشخي والزمخشري والطبري والبلاذوري والمسعودي والأصفهاني وللطبري عشرة مؤلفات في تدوين التاريخ بخلاف كتابه الأشهر أخبار الرسل والملوك الذي اشتهر باسم " تاريخ الطبري ".

ولم تكن الموسيقى بعيدة عن مجمل التطور الهائل الذي حدث في القرنين التاسع والعاشر فقد تميزت هذه الفترة الزمنية بالتكامل الثقافي في صناعة الآلات الموسيقية ودخلت آلات جديدة من بلاد ما وراء النهر إلى العالم العربي مثل البرت والطنبور ودخل من بلاد تركيا آلات القابوس والكمنجة والغجاك وقوشناي (دوناي عند الفارابي). وكان أى مطرب أو مؤلف موسيقي ينتقل من بلد إسلامي إلى بلد إسلامي آخر إلا ويجد ترحيبا كبيرا وكانت أعمال أبي نصر الفارابي وأبي عبد الله الخوارزمي والأصفهاني تظهر بعد مرور فترة وجيزة من تأليفها في مكتبات قرطبة وبغداد وبخاري وسمرقند..

ويبقي كتاب أبي نصر الفارابي " الكتاب الكبير في الموسيقي " أحد أهم المراجع العلمية في مجاله في الشرق الإسلامي كله وأيضا كتاب الكافي في الموسيقي لابن زيله (أحد تلاميذ ابن سينا) الذي يُعّرِف لأصول

وفنون الموسيقي العربية لقد استعمل الفارابي كلمة " المقام " في كتابه المشار إليه بمعناها الضيق (أى المسافة الموسيقية) فيما راح مؤلفين آخرين يربطون المقام الموسيقي بالروح في إطار فلسفي عام فقد ذكر ابن إسحاق الكلابادي، عند الاستماع للموسيقي تبلغ النغمة الروح فتشوق الروح بها وقدم أخوان الصفا (القرن العاشر) فكرة قريبة من ذلك حيث أكدوا على القيمة المعنوية الروحانية العالية للموسيقي إذ قالوا " إن فن الموسيقي بكليته عبارة عن الجوهر الروحاني - جوهر أرواح المستمعين بالذات ". ويظل مصطلح المقام يعبر من معنى إلى آخر ويتسع مفهومه بفضل التعمق في الفلسفة وبفضل الإطار الروحي للمعنى الذي تحمس له أهل التصوف في بخارى بالذات. لقد اعتبر علماء التصوف والكلابادي في مقدمتهم أن المقام هو منبع الطاقة الحيوية التي تحول الروح (عند أصحاب مذهب ألوهية الكون مثل ابن طفيل وابن خلدون: الروح المتلون للقلب) من حالات حسية إلى حالات حسية أخرى - الذوق والشوق والطرب والوجد.

2 - أثر علماء ما وراء النهر في الحضارة الإسلامية خاصة والإنسانية عامة:

المؤكد أن الناظر بعمق إلى كتب الطبقات: طبقات الأطباء والحفاظ والفقهاء والشعراء واللغويين والنحاة والمفسرين سيدرك بحق إلى أى مدى وصلت الجهود التي بذلها علماء ما وراء النهر في مجال الثقافة الإسلامية، ثم إن القارئ بإمعان للتاريخ سيرى قيمة وحجم الدور الذي قامت به مدن ما وراء النهر في تيار الثقافة الإسلامية عبر التاريخ.

وقد اعتبر المؤرخون أن نشر اللغة والثقافة العربية في هذه البلاد كانت من أهم منجزات الفتح الإسلامي حيث لم تكن المساجد دورًا للعبادة

فقط بل كانت في ذات الوقت مدارس للثقافة العربية والإسلامية وعلى ذلك لم يكن غريبا أن تصبح بخارى مركزا من أكبر مراكز الثقافة الإسلامية وأن تتأكد قيمتها العلمية بالذات في عهد الدولة السامانية لأن تكون " مثابة المجد وكعبة الملك ومجتمع إفراد الزمان ومطلع أدباء الأرض وموسم فضلاء الأرض " على حد تعبير الثعالبي وأن تصبح أيضا سمرقند واحدة من أكبر مراكز الفنون والعلوم في العالم الإسلامي.

إن الزخم الوافر من المدارس العلمية والاهتمام الشديد من قبل أهل ما وراء النهر للعلوم العربية هو الذي جعل الثقافة العربية تفرض قيمها وآدابها ولغتها ليس كثقافة وافدة مع الفاتحين العرب بل ثقافة إنسانية ذات قيمة ومعنى ومضمون يربط الحاضر بالمستقبل والسبب بالغاية والحياة بالأخلاق والفلسفة بالوجود والوجود بالكون والكون بالخالق وأصبحت اللغة العربية هي المدخل الطبيعي لكل ذلك وبها كتب وأبدع كل علماء ما وراء النهر العظماء أغلب مؤلفاتهم العلمية التي أضاءت فضاء الحضارة الإسلامية والإنسانية عامة ولا تزال تعمل حتى هذه اللحظة كالجذوة المتقدة التي تصر على البقاء بقدر ما تمتلك من مقومات علمية وثقافية هائلة.

إن نظرة سريعة لأسماء علماء ما وراء النهر ومؤلفاتهم في شتى ميادين المعرفة كفيلة أن تعطينا اليقين الكافي بدورهم العظيم في تأسيس نظريات العلم التي أسست للعلوم العصرية كافة.

لقد كان ابن سينا على سبيل المثال المولود في قرية أفشنة بالقرب من بخارى إمام العلوم كلها لقرون طويلة حفظ القرآن ودرس الأدب والفقه والمنطق والهندسة وعلم النجوم، ولقد ظل كتابه " القانون في الطب " هو عمدة الدراسات الطبية في أوروبا طيلة ستة قرون كاملة.

لقد دخل فكر ابن سينا إلى الثقافة الغربية بقوة وتأثر به فلاسفة أوروبا (يوحنا دي لارو - يوحنا بيكهام - البرت الأكبر - إسكندر الطاليسي) ويمثل ابن سينا مع الفارابي الاتجاه المشائي الأرسطي في الموسيقى ففي كتاب الشفاء لابن سينا قسم ممتاز عن الموسيقى بينما الفارابي هو صاحب كتاب "الموسيقي الكبير " الذي يعتبر أعظم مؤلف في الموسيقى صنف حتى عصره.

وفي الرياضيات والفلك يبرز اسم محمد بن موسى الخوارزمي المولود في مدينة خيوة بخوارزم وهو المؤسس الحقيقي لعلم الجبر وأول من ألف كتاب في الحساب بيّن فيه نظام الأعداد الهندية وطريقة استخدامها وترجم إلى اللاتينية في القرن السادس الهجري.

ومن مدينة بيرون (*) خرج أبي الريحان البيروني عالم الرياضيات والفلك والطبيعة والجغرافيا صاحب أول تقدير للأوزان النوعية للسوائل والمواد الصلبة والمعادن ومن أهم كتبه في علوم المعرفة والفلزات كتابه " الجماهر في معرفة الجواهر ".

وفي مجال الطب والكيمياء يبرز أبو بكر محمد بن زكريا الرازي وهو مؤسس علم الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب معاً وهو الذي ظلت مؤلفاته حجة يؤخذ بها دون مناقشة حتى القرن السابع عشر خاصة كتابه الجامع " سر الأسرار " (**).

وقد سجل الرازي بدقة تاريخ حالات مرضية أمكن التعرف على

(*) تقع في إقليم خوارزم في أقصى الجنوب الشرقي لجمهورية أوزبكستان (المحرر).
(**) المخطوطة الأصلية للكتاب توجد بمكتبة معهد أبي ريحان البيروني للمخطوطات في طشقند (المحرر).

بعضها من خلال أبحاث " ماكس مايرهوف " ووضع الرازي كتابا شهيرا طالما تناقش حوله العلماء وعرف فيه لأول مرة تعريفًا صحيحا للفرق بين الجدري والحصبة وقد طبع هذا الكتاب بالذات أربعين طبعة باللغة الإنجليزية وحدها.

أما في مجال العلوم الدينية فحدث ولا حرج فبلاد ما وراء النهر لها باع طويل في هذا المضمار ولعل أبرز الأسماء في هذا المجال هو الإمام البخاري (إمام المحدثين وأمير المؤمنين في الحديث) وهو على أى مقياس يعتبر إمام الأئمة وعالم العلماء وأستاذ الدنيا ومصدر اليقين في الحديث النبوي الذي قدم للبشرية نموذج العالم الورع التقي الصابر المثابر على المعرفة واليقين.

وبرغم أن الإمام البخاري له أكثر من عشرين مصنفاً لكن يبقى مؤلفه " الجامع الصحيح " المشهور باسم صحيح البخاري أهمها على الإطلاق حيث أجمع المسلمون قاطبة على اعتباره مرجعا ثانياً بعد القرآن الكريم.

يضاف إلى ذلك العلماء الأفاضل الترمذي والنسفي والبيهقي والدارمي والسمرقندي والنقشبندي والتفتازاني والقفال الشاشي وعبد الخالق الغيجدواني وهو المؤسس الأعظم للطريقة الصوفية المعروفة باسم حوجاجان في آسيا الوسطى وكانت تعاليمه أساسا للطريقة النقشبندية التي ارتبطت باسم بهاء الدين النقشبندي الذي عاش ودفن في بخارى وقد انتشرت تعاليمه بفضل بساطتها وارتباطها بالحياه كما انعكست في أشعار على شير نوائي وعبد الرحمن جامي.

أما في مجال اللغة فلا شك أن الزمخشري صاحب كتاب " الكشاف " يأتي في مقدمة الصفوف وقد ألف الزمخشري في اللغة والأدب والفلسفة

وتاريخ الإسلام والجغرافيا، ولا شك أن الألقاب التي حصل عليها مثل " أستاذ العرب والعجم " و" فخر خوارزم " و" جار الله " تدل على مكانته العظيمة في تاريخ التراث الإسلامي.

ثانياً: إطار استراتيجي حاكم:

تمثل الخصائص الجيوستراتيجية لآسيا الوسطي أهمية فائقة من المنظور الاستراتيجي باعتبارها قوة بر مركزية في قلب العالم حتى وهي في ظل الهيمنة السوفيتية كان لها ذات الأهمية في حماية الاتحاد السوفيتي من أخطار محتملة من الجنوب أو الشرق بما تمثله وتمتلكه من صحاري شاسعة وجبال مترامية ثم إنها تشرف بحدودها المترامية على كل من الصين وإيران وروسيا وأفغانستان في شبه دوائر مترابطة من الشمال والشرق والجنوب الشرقي والجنوب الغربي.. وعلى امتداد النظر تقف تركيا في قلب المشهد بالاتصال التاريخي والثقافي تمثل الحاضن الأكبر لأتراك آسيا الوسطى فالدول الخمس التي تشكل منظومة آسيا الوسطى وهي أوزبكستان وقيرغيزستان وطاجيكستان وكازاخستان وتركمانستان كانت تسمى " تركستان " إلى أن تم تقسيمها بواسطة قوات الاحتلال السوفيتي - في أوائل عشرينات القرن المنصرم - إلى دويلات على أساس عرقي ليسهل السيطرة عليها إلى أبعد مدى ممكن. يضاف لذلك أن آسيا الوسطى ليست بعيدة أيضا عن منطقة الخليج العربي ذات الأهمية الاستراتيجية الكبرى التي تدخل ضمن حسابات صراع الإرادات في العالم والأهم أن آسيا الوسطى في زمن مضى كانت تعتبر هي الامتداد الطبيعي للعالم الإسلامي بعد أن دخلها الإسلام واستقر منذ القرن السابع الميلادي.

من هنا فإن النظر إلى الخريطة ثم إعادة النظر إلى القوى النافذة في العالم يمكن قراءة المخططات الاستراتيجية التي تسابقت على المنطقة بعد

انهيار الاتحاد السوفيتي واستقلال دول آسيا الوسطى. ويمكن قراءة صراع الإرادات على النحو التالي:

أ ـ الدور الأمريكي:

أدى انهيار الاتحاد السوفيتي ـ بمعنى ما ـ إلى شيوع بعض الثقة والإحساس بالنصر للاستراتيجية الأمريكية الغربية بحسابات الصراع التاريخي بين القوتين.

كانت الحركة الأمريكية والغربية باتجاه آسيا الوسطى مصحوبة بوعود ضخمة من المساعدات تلاقت معها على الطرف الآخر آمال كبرى لشعوب خرجت لتوها من سيطرة استمرت مائة وثلاثين عاما وراحت تنشد حريتها وتحاول بناء استقلالها وهي في حاجة حقيقية لكل من يمد يد العون ولأن متطلبات الاستقلال وشروطه تعنى أول ما تعنى الاعتماد على الذات فقد تصادمت مشاريع الهيمنة الغربية مع آمال الاستقلال وأشواقه.

كانت السياسة الأمريكية الغربية تجاه آسيا الوسطى ترمي إلى تحقيق عدة أهداف:

1 ـ ملء الفراغ السياسي الذي نشأ بعد انهيار الاتحاد السوفيتي (راجع نظرية أيزنهاور في الخمسينات في مواجهة استقلال مصر).

2 ـ حجز آسيا الوسطى في محيطها الجغرافي ومنع تواصلها مع محيطها الحضاري التاريخي مع العالم الإسلامي.

3 ـ بناء قواعد عسكرية هنا وهناك تكون تأكيد ودعم لاستراتيجية ملء الفراغ ومن دون شك فإن الاستراتيجية الأمريكية قد استفادت أيما استفادة من وجودها في المنطقة أثناء حربها على القاعدة في أفغانستان..

ب - الدور التركي:

بالنظر إلى تركيا فإن الترابط التاريخي والإرث الثقافي الواحد والمصالح المشتركة كان ولا يزال يرشحها على أنها الأقرب إلى وجدان وأحلام شعوب آسيا الوسطى ثم إن خطوط المواصلات إلى آسيا الوسطى تجتمع أغلبها في استانبول لتصبح هي بوابة العبور إلى هناك. **وهو الأمر الذي أدى ويؤدي إلى تعاظم الدور التركي تجاريا واقتصادياً في هذه البلاد.**

ج - الدور العربي:

بالنسبة للدور العربي إذاً فهو أحد اللاعبين في المنطقة وإن كان بدون فعالية كبرى ويعتبر الدور المصري في مضمونه الثقافي أحد أكثر الأدوار بروزاً ذلك أن دولا عربية عديدة لا يوجد لها سفارات بعد هناك، وينبغي التأكيد على أن مصر كانت من أوائل الدول التي اعترفت باستقلال دول آسيا الوسطى وأنشأت في أوزبكستان مركز العلوم والتعليم المصري وهو المركز الثقافي العربي الوحيد في طشقند كما أن جامعة نور - مبارك في كازاخستان تشهد أيضا على إدراك مصر لدورها الطبيعي خارج حدود الإقليم.

د - الدور الروسي:

على مستوى آخر فإن روسيا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي لا تزال قوة إقليمية ذات شأن محترم وأن لها مصالحها التي لا يمكن تركها هكذا غنائم مستباحة سواء للغرب أو حتى للدول المستقلة حديثاً وراحت تلعب دوراً لاستعادة سيادتها المعنوية في إطار مجموعة من السياسات والمنظمات الإقليمية مثل رابطة دول الكومنولث ومنظمة شنغهاي للتعاون (وتشمل دول آسيا الوسطى + روسيا والصين) وكذا منظمة قمة الدول التركية وغيرها. كل هذه الروابط والتجمعات كانت تعكس الهاجس الأمني

والاقتصادي معاً لأن هذه الدول المستقلة حديثاً لا تستطيع منفردة الوفاء بمتطلبات الاستقلال القومي الشامل ولعل مشكلة القطن بين روسيا وأوزبكستان خير دليل على ذلك عندما استقر الطرفان على ضرورة التعاون المشترك على قاعدة (النفط مقابل القطن).

إذًا الصورة المكثفة تبدو كالآتي الغرب وفي مقدمته أمريكا يطل بقوة ليملأ الفراغ مأخوذا بنشوة الانتصار على الشيوعية مسلحاً بنظرية " نهاية التاريخ " لفوكوياما، ثم روسيا تحاول بالتعاون الاقتصادي ولغة المصلحة المشتركة استعادة بعضاً من دورها مستندة على إرث ثقافي مشترك في اللغة والجوار الجغرافي، ثم تركيا تنهض كقوة إقليمية تحاول الدخول بقوة في الاتحاد الأوروبي بحديقة خلفية في آسيا الوسطى كامتداد استراتيجي حاكم.

ثم الدور العربي الطامح إلى استعادة مجد قديم غير أن وسائله في التقدم لا ترقى إلى طموح استراتيجي فعال.

والأمر كذلك فإن الدور المصري وقد تبدت أمامه فرصة مواتية في إحدى دوائر حركته التاريخية والاستراتيجية وهي الدائرة الإسلامية راح ينظر إليها بشغف وحنين دون امتلاك وسائل التقدم أو همة الحركة وبما أنه بدا متراجعا في دوائره الأقرب (العربية والأفريقية) فإنه اكتفى بالحد الأدنى لحركته في دائرته الأبعد.

لقد كان التنظير للدور المصري يستهدف دائما الاستقواء بالدائرة العربية باعتبارها منصة الانطلاق إلى الدوائر المكملة بحيث أن علاقة الجدل بين الدوائر الثلاث تغني كل منهما الأخرى وتؤكدها لكننا ونحن نتحدث في زمن مختلف ومعطيات دولية غير مواتية فإن الدور المصري

يمكن له أن يتقدم إلى أى الدوائر الناضجة والمستعدة لاحتضانه والتفاعل معها لعلها تكون مقدمة للمساهمة في إنضاج واستثارة عوامل التفاعل في دوائره الأخرى.

ومن ثم فإن الدور المصري - إذا ما قدر له استئناف فاعليته - أمامه ثلاث سيناريوهات يمكن تسميتها مجازاً استراتيجيات للحركة نحو آسيا الوسطى.

1 - استراتيجية القفز إلى الأحضان الدافئة:

وفيها يتم الاعتماد على الحركة المباشرة إلى قلب آسيا الوسطى لبناء قواعد ثقافية وتجارية وعلمية وإعادة بناء جسور التواصل الحضاري ويمكن الاعتماد على حظه عمل سيأتي ذكرها تباعاً. والهدف جذب الأطراف البعيدة وإتاحة شرايين تواصل لها مع المركز.

2 - استراتيجية الحركة مع - أو عبر - " المشترك الفعال ":

وفيها يمكن وضع تصور يربط الدور المصري بقوة إقليمية مثل تركيا أو إيران (أو كلاهما) وصولا إلى الأحضان الدافئة كأن يكون هناك مصانع مشتركة أو برامج تنموية كبرى تستجيب للأشواق الطموحة لشعوب آسيا الوسطى في التنمية المستدامة غير أنه سيكون لكل محور من هذه المحاور طبيعة خاصة. **يمكن تطوير الخطة المقترحة لاحقا لتناسب الأطر الاستراتيجية الثلاثة**. والهدف خلق مناطق نفوذ وسيطة للدور المصري ما بين الأطراف والمركز.

3 - استراتيجية " التكامل العربي - الآسيوي ":

وهي تنحو إلى أن يكون الدور المصري متكاملاً مع أدوار عربية أخرى تتكامل حلقاته وتتوزع مسئولياته بحيث تكون القيمة الفعالة في هذا

التعاون تخضع إلى استجابة حضارية بين أمتين يربطهما إرث ثقافي وديني وحضاري وتاريخها مشترك ثم أن تفضي هذه الاستجابة إلى تعزيز القدرات الاقتصادية للطرفين، والهدف توسيع قواعد الاستفادة من إمكانيات الأمة العربية وتهيئتها لدور عربي فعال في آسيا الوسطى ويمكن لجامعة الدول العربية أن تضع خطة عمل ذات ثلاثة محاور (علمية - اقتصادية - سياحية) لدعم التعاون وتطوير آلياته.

ثم إنه قبل أن نتحدث عن خطة العمل ينبغى التأكيد على حقيقة أن ما سبق ذكره من محاور استراتيجية يقف على أرضية احترام كامل ومحبة وتقدير لشعوب آسيا الوسطى هي إذاً " استراتيجيات صديقة " لا تبحث في ملأ الفراغ بالمعنى الاستعلائي الاستعماري ولكن تبحث عن بناء مشترك يداً بيد وكتفاً بكتف مع أقوام نحبهم ونقدرهم وإن غابوا عنا زمنا.

لعل اللقاء يكون محاولة جديدة للبحث الأصيل في جذور الحضارة الإسلامية واستعادة وهجها الساطع نقدمه للأجيال الجديدة لعلها تكون قادرة - وهي بإذن الله كذلك - على تقديم إسهامها الجديد على طريق طويل من الأمل المتجدد الذي يداعب الأمم الإسلامية في التقدم جيلاً بعد جيل.

وبعد فإنه في ضوء ما سبق يمكن تلخيص الضرورات الاستراتيجية على النحو التالي:

أولا: إن آسيا الوسطى عبر تاريخها الطويل كانت ولا تزال تمثل بامتياز عمقا استراتيجياً للوطن العربي وبوابته الشرقية وهو الأمر الذي يتطلب قراءة واعية للتاريخ للتفريق بين مصادر النار الحارقة وإشعاع النور الطيب الذي يأتي من الشرق ويؤهل الأمة العربية للعمل المشترك مع شعوب آسيا الوسطى لتغليب سطوة النور الزاهية على مصادر النار

الكريهة من خلال دور عربي وإسلامي فعال يعمل كمعادل موضوعي للأدوار الدولية المعاكسة في هذه المنطقة والهدف ربط آسيا الوسطى بعمقها الاستراتيجي العربي والإسلامي.

ثانيا: تحتوي مكتبات ومتاحف آسيا الوسطى على كمية هائلة من المخطوطات التاريخية والإسلامية والجغرافية والأدبية وكذا المخطوطات العلمية كتبها فطاحل العلماء الثقات وتمتلئ بها مكتبات طشقند وسمرقند وبخارى وخيوة وأن القليل من هذه المخطوطات قد تم دراسته وتحقيقه ولا يزال القسم الأعظم منه في حاجة ماسة إلى جهد كبير من قبل العلماء العرب لبحثه وتحقيقه خاصة أن هذا إرث وتراث عربي أصيل لا ينبغي أن يترك للمؤسسات الأجنبية لتصل إليه وتقوم على دراسته ونحن عنه غافلون فضلاً أن الكثير من هذه المخطوطات في حاجة ماسة إلى الترميم والمعالجة للحفاظ عليها يضاف إلى ذلك وجود الآثار الإسلامية الرائعة التي ظلت محجوبة عنا لأزمنة طويلة وهي تراث فريد من العمارة الإسلامية خاصة عمارة المدارس والأضرحة وهي بدورها في شوق هائل للعلماء العرب ليأخذوا بيدها إلى ناصية الاعتراف الإنساني الواسع.

ثالثا: إن هذه البلاد تعرضت عبر عصور الاستعمار لعمليات تشويه لتاريخها واستلاب لهويتها وعزلها عن ماضيها الثقافي والحضاري ومن ثم كان طبيعياً بعد الاستقلال أن يبرز سؤال الهوية والبحث عن الذات إلى سلم الأولويات لشعوب هذه البلاد وعليه فإن استقبال طموحات هذه الشعوب للاتصال والتلاقي مع شعوب العالم العربي والإسلامي تمثل بامتياز إحدى الضرورات الاستراتيجية.

رابعاً: إن هذه الشعوب من الناحية الاقتصادية لها تاريخ اقتصادي طويل مع الوطن العربي فأغلب مدنها يقع على الطريق التجاري القديم أو

ما كان يعرف (بطريق الحرير) أما في العصر الحديث فهذه البلاد تمتلك العديد من الحاصلات والصناعات التي يمكن أن تحدث تكاملا مع الوطن العربي والعديد من الفوائد الاقتصادية خصوصا (القمح والحبوب واللحوم) فضلاً عن الصناعات الحديدية مثل الآلات والمعدات الصناعية المختلفة.

ثالثاً ـ خطة العمل (أوزبكستان نموذجا):

1 ـ محور اللغة العربية:

تمثل الكلمات العربية حوالي 30 % من مفردات اللغة الأوزبيكية على سبيل المثال وهذه أكبر نسبة في آسيا الوسطي كلها وقد تطور تعليم اللغة العربية في أوزبكستان تطورا كبيرا في السنوات الأخيرة وينبغي الإشارة في هذا الصدد إلى دور المركز الثقافي المصري بطشقند الذي ينهض بمهمة تعليم اللغة لحوالي 2500 دارس حيث يمكن أيضا مضاعفة العدد إذا اتسعت الهمة وزادت الإمكانيات فضلا عن افتتاح مراكز مصرية لتعليم اللغة العربية بتمويل من وزارة الخارجية المصرية تحت إشراف الصندوق الفني للتعاون مع دول الكومنولث وقد وصل عدد هذه المراكز إلى عشرة مراكز موزعة على أهم المدن وهي طشقند وسمرقند وبخارى وخوارزم ونامانجان وقد قام المركز الثقافي بعقد أول مؤتمر علمي يناقش أوضاع تدريس اللغة العربية في أوزبكستان في الفترة من 16 / 17 يناير 2008 وكان له أثر محترم في إدراك وسائل تطوير مناهج تدريس اللغة العربية.

المطلوب

التوسع في نشر ثقافة اللغة العربية عبر مراكز تعليم اللغة العربية ووضع خطط واضحة لهذه المهمة وعقد مؤتمرات سنوية لتطوير مناهج تدريسها في

جمهوريات آسيا الوسطى المختلفة أسوة بما يتم في أوزبكستان.

2 - محور المخطوطات العربية:

تحفظ مكتبات أوزبكستان ثروة قيمة (حوالي مائة ألف) من المخطوطات الإسلامية التي كتبت باللغة العربية موزعة على مكتبة الإدارة الدينية ومعهد أبي ريحان البيروني للدراسات الشرقية والمكتبة القومية المسماة (على شير نوائي) ومن أهم المخطوطات كتب الفارابي وابن سينا والبيروني والزمخشري والخوارزمي والرازي وابن البيطار ومقامات الحريري ورسائل أبي حامد الغزالي وشمس الأئمة السرخسي وأبو المعين النسفي وبرهان الدين الميرغيناني وعلاء الدين السمرقندي وغيرهم.

وفي هذا الإطار فقد قام المركز الثقافي المصري بعقد وتوقيع اتفاقيات علمية بين معهد أبي ريحان البيروني ودار الكتب المصرية وكذلك بين مكتبة الإسكندرية والمكتبة القومية الأوزبيكية لتبادل المخطوطات وعلى أساس هذه الاتفاقية تم الاتفاق على إمداد دار الكتب المصرية بعدد 186 مخطوطا نادرا التي لم تكن متوفرة بدار الكتب وتجدر الإشارة إلى أن ضعف الإمكانيات المادية تحول دون ترميم آلاف المخطوطات العربية والإسلامية بمعهد أبي ريحان البيروني.

المطلوب

التنسيق مع معهد المخطوطات ومراكز الأبحاث والدراسات الآسيوية والجامعات لإنشاء مرجعية عربية للحفاظ على هذه المخطوطات وإعادة ترميمها وإرسال بعثات عربية لتحقيق ودراسة هذه المخطوطات.

3 - محور الآثار الإسلامية:

من دون شك تحتوي أوزبكستان على أعظم الآثار الإسلامية في آسيا الوسطي كلها وهي آثار جميلة وخالدة وغير معروفة على المستوى العربي وهي آثار تشمل المساجد الرائعة المطعمة بالفسيفساء متعددة الرؤوس والأضرحة الرائعة (مثل ضريح تيمور لنك بسمرقند المسمي جور أمير) وضريح شاهي زندا أيضا بسمرقند وفيه دفن قثم بن العباس ابن عم الرسول عليه الصلاة والسلام.

وتضم بخارى جملة من الآثار والمدارس الإسلامية التي تعد تحف معمارية رائعة مثل مسجد ومنارة كالان ومدرسة مير عرب ومدرسة عبد العزيز خان وحصن بخارى وقصور أمراء بخارى وضريح بهاء الدين نقشبندي (الصوفي الشهير) بالإضافة إلى مدينة خيوة بإقليم خوارزم التي تعتبر متحفا مفتوحا لآثار إسلامية لا حصر لها (الجدير بالذكر أنه تم توقيع اتفاقية تعاون علمي بين جامعة أورجانش بإقليم خوارزم وكلية الآثار جامعة القاهرة لاستقدام خبراء آثار مصريين لدراسة هذه الآثار الفريدة).

المطلوب

التنسيق مع كلية الآثار جامعة القاهرة والكليات المناظرة لها في الوطن العربي للتأكيد على أهمية إرسال بعثات علمية لدراسة الآثار الإسلامية في آسيا الوسطى وتمكين الخبراء العرب من هذه المهمة بالإضافة إلى تدريب الكوادر الآسيوية في هذا المجال.

4 - دراسة حركة هجرة القبائل العربية التى استقرت في آسيا الوسطي:

تعتبر أوزبكستان هي أكثر مناطق آسيا الوسطي استقر بها الفاتحون

الأول خاصة بمدن بخارى وسمرقند وحتى هذه اللحظة توجد لافتة على أحد الشوارع المطلة على ميدان بلاحوز ببخارى مكتوب عليها شارع العرب حيث كانت القبائل العربية الأولي قد حطت في هذا المكان أما مدينة سمرقند فالمصادر تتحدث عن خمسة آلاف أسرة ذات أصول عربية تبحث عن خبراء عرب ليربطوا هذه الأسر بجذورهم العربية وفي هذا الإطار التقى كاتب هذه السطور أثناء عمله مستشارا ثقافيا عام 2006 بوفد يمثل هذه العائلات وتم افتتاح مركز ثقافي مصري بمعهد الطب بسمرقند ليكون بمثابة المنتدى الثقافي لهذه الأسر يعلمهم اللغة العربية ويربطهم إلى حين بثقافة أوطانهم الأصلية.

المطلوب

التنسيق مع الجامعات العربية ومراكز الدراسات الآسيوية لإنجاز مشروع لدراسات تاريخية وأنثروبولوجية للقبائل العربية ووضع برنامج طموح لربطها بثقافة وتاريخ أوطانها والعمل على رعايتهم إنسانياً واجتماعيا إذا أمكن.

5 - المحور الإعلامي:

يمثل الإعلام في عصرنا الراهن أحد أهم الوسائل والأطر المعرفية التي تلعب دوراً حاكما في تقليص المسافات وتكثيف الرؤيا وبسبب التطور الضخم في هذه الوسائل أصبحت البشرية في حالة انتباه تام لكل ما يحدث في جوانب المعمورة على إتساعها، ثم إن البشرية أيضاً أصبحت مؤهلة بدرجة أكبر من الوعي والإدراك بمسئوليات التقدم في شتى المجالات..

والحال كذلك فإن تطوير العلاقات العربية مع آسيا الوسطى لابد أن

يشمل إطاراً إعلامياً يعمل ليس فقط كإطاراً معرفياً بل يمتد إلى أن يكون أحد عوامل التطوير التراكمي بما يمثله من نقل للمعرفة وتبادل للخبرات اللازمة للطرفين خاصة أنه سوف ينطلق من تراث تاريخي وحضاري مشترك يُؤّمِن بسرعة فرص التواصل الجديد في عالم متغير.

المطلوب

1 – إنتاج برامج تليفزيونية مشتركة تعكس حضارة آسيا الوسطى والعالم العربي مع التأكيد على عناصر الحضارة الإسلامية كعامل مشترك بين الطرفين.

2 – إنتاج أفلام تسجيلية عن العلماء الإسلاميين الكبار الذين نشأوا في آسيا الوسطى وتعميم هذه الأفلام على وسائل الإعلام العربية والمصرية خاصة.

3 – إتاحة الفرصة للأعمال الدرامية المصرية لنشرها عبر وسائل الإعلام في آسيا الوسطى وللمركز الثقافي المصري بطشقند تجربة في هذا الإطار حيث وقع كاتب هذه السطور إتفاقية مع السيد على شير خوجاييف مدير التليفزيون الأوزبيكي تمكن المركز من خلالها بعرض أفلام ومسلسلات مصرية (ضمير أبلة حكمت – لن أعيش في جلباب أبي – أرابيسك – الإمام الترمذي.... وغيرها) وظلت تعرض هذه المسلسلات يومياً في أوقات الذروة لمدة ثلاث سنوات متوالية والأهم أنها أصبحت جزءاً من ضمير الشعب الأوزبيكي الذي استقبل هذه الأعمال بترحاب عالي وحفاوة بالغة وكانت أيضا سبباً في إقباله على تعلم اللغة العربية.

6 - المحور الاقتصادي:

يمثل الاقتصاد في جوهره عامود القوة التنافسية للدول وحيث أن كل من العالم العربي وفي القلب منه مصر وكذلك آسيا الوسطى من المناطق ذات الثقل الاقتصادي المتوسط فضلاً عن البعد الجغرافي وعدم وجود

شواطئ لدولة مثل أوزباكستان مما يجعل الكلفة الاقتصادية للتصدير والاستيراد مسألة صعبة وغير مجدية (من زاوية النقل) يضاف لذلك عدم وجود خطوط طيران مباشرة مما يضاعف عبء التحمل الاقتصادي على الأطراف المعنية، غير أننا لا ينبغي أن ننسى الثروة المعدنية الهائلة والمناجم التي تحتوي على عناصر نادرة تقترب قيمتها من ألف مليار دولار تحتاج الخبرة المصرية والعربية للاستثمار فيها.

المطلوب

إنشاء مركز تجاري مصري دائم أو معرض دائم للمنتجات المصرية المختلفة تحت إشراف ورعاية غرفة التجارة المصرية وبتمويل من رجال الصناعة والتجارة المصريين بحيث يشمل هذا المعرض جميع المنتجات المصرية ويكون مركزاً لكل آسيا الوسطى ولتكن طشقند مقراً له ومنها تنطلق التجارة المصرية والبضاعة المصرية إلى كل ربوع آسيا الوسطى.

7 - محور الماء والطاقة:

لعل المهتمين بقضايا آسيا الوسطى يدركون ويتألمون للمصير المحزن الذي آل إليه بحر الأرال وتأثير الجفاف الذي أحاط به على شعوب آسيا الوسطى وبالتحديد في أوزبكستان وهذه المشكلة هي أحد الآثار السلبية للسياسات المائية الخاطئة للاتحاد السوفيتي سابقاً والحديث هنا يدور حول الاستخدام المشترك لمياه نهري أموداريا وسرداريا حيث يتشكل منابع المجري الأساسي للنهرين في كل من طاجيكستان وقيرغيزستان حيث تقوم الدولتان على بناء محطات توليد الطاقة الكهربائية مثل محطات كمبارات وراجون ويافان مما يؤثر على حصة البلدان الواقعة أسفل مجرى هذه الأنهار.

المطلوب

ضرورة توفير الخبرة المصرية والعربية في مسائل الري والسدود لتقوم بدورها الاستشاري والعلمي في حل هذه المشكلات على أرضية العلاقات الأخوية المشتركة بين مصر وسائر دول آسيا الوسطى الإسلامية.

* * *

المراجع

- Goei J.E.: The journal of the German Oriental Society vol. xxv p 95.

- إحسان ذي النون الثامري: التاريخ الحضاري لمدينة بخارى منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، رسالة ماجستير جامعة اليرموك 1997م.
- أرمنيوس فاميري: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة الدكتور أحمد محمود الساداتي، القاهرة 1969م.
- النرشحي: تاريخ بخارى.
- ياقوت الحموي معجم البلدان ج 1.
- القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد.
- المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.
- د. حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة 1983.
- على شير عزيز خوجاييف: نور من عمق القرون، مجموعة مؤلفين، اتحاد الشرق للطباعة، طشقند، 1998.
- جوزيف شافتي وكليفورت بوزورت: تراث الإسلام، ج2، ط3، عالم المعرفة، العدد 243، 1998م.
- د. مجدي زعبل: عبقرية المكان والإنسان لدي النخبة الممتازة من علماء آسيا الوسطي في أوزبكستان كتاب أعمال المؤتمر الدولي " مساهمة أوزبكستان في تطوير الحضارة الإسلامية " طشقند 2007 ص 369 - 371.

- Organization of Uzbekistan, The Monuments of Islam, Tashkand, 2002, p 112.
- Robert Alemeev: Bukhara in legends and facts of history, Bukhara, 2001 P.6.

* * *

المحور الثاني

نـــور من عمــق القــرون[*]

(*) التعبير عنوان لكتاب صدر في طشقند عام 1998 احتفالاً بذكرى الإمام البخاري (المحرر).

أبو منصور الماتريدي وتفسيره المسمى تأويلات القرآن

أبو منصور الماتريدي وتفسيره المسمى تأويلات القرآن

أ. د/ سعاد يلدريم
جامعة مرمرة كلية الإلهيات
أسكدار / استانبول

كان الماتريدي (المتوفي 333/ 944) عالما مشهورا، ذو مكانة كبيرة في دنيا العلم. والماتريدي أحد أشهر إمامين في عقيدة أهل السنة، غير أنه لم ينل الشهرة التي نالها الإمام أبو موسى الأشعري الإمام الثاني لتلك العقيدة. ويمكن إرجاع ذلك إلى عدة أسباب منها بُعده عن بغداد مركز الخلافة، وأنه بقي في ظل الإمام أبي حنيفة الذي كان يتبعه، ثم أنه غير عربي. ومنها أيضا وجود العديد من العلماء أمثال البقلاني والجويني والغزالي والرازي الذين ساروا على نهج وفكر الإمام الأشعري، وبذلوا جهودا هامة في نشر مذهبه، أما الماتريدي فلم يكن هناك علماء يتحدثون عنه كما كان مع الأشعري[1].

وبالرغم من أن الماتريدي صاحب تفسير تأويلات القرآن الذي يعد من أول وأكمل كتب التفسير بالدراية، إلا أن الكتب المشهورة الخاصة بتاريخ

(1) M. Saim Yeprem, İrade Hürriyeti ve İmam Mâturîdî (حرية الإرادة والإمام الماتريدي), İstanbul 1984, s. 253-254.

التفسير مثل (طبقات المفسرين) للسيوطي، و(التفسير والمفسرين) لمحمد حسين الذهبي وغيرهما، لم تفرد مكانا في تلك الكتب للماتريدي.

حتى المؤلفون من المذهب الحنفي لم يوردوا معلومات كثيرة عن حياته وتفسيره، واكتفوا بذكره وطلابه وأنه كان يدافع عن عقيدة أهل السنة. وبالرغم من وجود اتفاق في أن تاريخ وفاته كان عام 333هـ، إلا أنه لا توجد أية معلومات محددة عن تاريخ ميلاده. ويمكن التخمين بأن حياته استمرت مائة عام نظرا لأنه كان طالبا لمحمد بن مقاتل الرازي المتوفى عام 248هـ[1].

نشأ الماتريدي في المناخ الذي شكّله علماء الحنفية في مدينة سمرقند. والواضح أن قسما من الخصائص السماتية في المذهب الماتريدي كانت قد قُبلت قبل جيلين من الماتريدي.

ويوضح أبو معين النسفي الذي كتب عن تاريخ مدرسة الماتريدية ما يلي: كان أساس الماتريدية " عقيدة أبي حنيفة " [2] وأهم أساتذة الماتريدية أبو نصر أحمد الأيادي (تاريخ وفاته غير معلوم)، أبو بكر أحمد الجوزجاني (تاريخ وفاته غير معلوم)، محمد بن مقاتل الرازي (ت 248هـ) نصير بن يحيي البلخي (ت 268 هـ). ويصل الماتريدي بتلك الأسماء الموجودة في سند إجازته إلى أبي حنيفة. والاطلاع على مؤلفات

(1) Şükrü Özen, TDV İslam Ansiklopedisi, cilt: 28, s. 146, "Maturidi" md., Ankara, 2003; el-Mâturîdî, Kitâbü't-Tevhîd, nşr: F. Huleyf, Beyrut, 1970, s. 2.

(2) W. Madelung, Maturidiliğin yayılması ve Türkler (انتشار الماتريدية والأتراك), eseri s. 10'dan naklen, Talip Özdeş, Maturidî'nin Tefsir Anlayışı (منهج الماتريدي في التفسير), İstanbul, İnsan Yayınları, 2003, s. 43.

الإمام أبي حنيفة مثل " الفقه الأكبر " و" الفقه الأبسط " و" العالم والمتعلم "، إنما هي كافية لفهم درجة العلاقة التي كانت موجودة بين الماتريدي وأساتذته وبين أبي حنيفة. أما أهم طلاب الماتريدي: على بن سعيد الرستغفني (ت 345/ 956) إسحاق بن محمد السمرقندي (ت 342/ 953)، أبو محمد عبد الكريم البزدوي (ت 390/ 1000) وأبو الليث السمرقندي (ت 383/ 983). وهؤلاء نقلوا آراء أساتذتهم في علم الكلام وطوّروها. ولكن فخر الإسلام البزدوي (482/ 1089) هو أكثر العلماء الذين طوروا أفكار الماتريدي الخاصة بالعقائد. ويجب علينا هنا أن نذكر أيضا كلاًّ من صدر الإسلام البزدوي (ت 1099/493)، أبو المعين النسفي (ت 508/ 1114)، نجم الدين النسفي (ت 537/ 1142)، علاء الدين السمرقندي (ت 540/ 1145).

لقد طبع الماتريدي مع محيطه العلمي على منطقة ما وراء النهر بطابعه، وكانت له إسهامات كبيرة في نشر الإسلام في آسيا، وفي استقرار الفكر الإسلامي بها في فترة كانت تموج بالأفكار والمعتقدات الباطلة. وفّق الماتريدي بين العلوم العقلية والنقلية، وأوضح أن القرآن الكريم لم يكن خطابًا جامدًا متحجرًا، بل هو خطاب إلهي يساير الزمن، ويتجاوب مع المؤمنين، ويوفر الحلول لكل مشاكل الإنسانية في كل وقت.

مؤلفاته:

يعد كتاب (التوحيد) للماتريدي هو أهم عمل له في علم الكلام، وقد تم نشره لأول مرة في بيروت عام 1970م على يد فتح الله خليف. كما تم نشر نسخة أخرى من الكتاب أجمل من السابقة في أنقرة عام 2003م على يد بكير طوبال أوغلي ومحمد عروجي. وترجمه بكير طوبال أوغلي إلى

اللغة التركية (أنقرة عام 2002). وله أيضا تسعة أعمال من القطع الصغير خاصة بعلم الكلام مثل كتاب (بيان وهم المعتزلة)، و(الرد على القرامطة). وله في أصول الفقه كتاب (مآخذ الشرائع في أصول الفقه)، وكتاب (الجدل في أصول الفقه). أما أكبر عمل له فهو (تأويلات القرآن) [(1)].

تأويلات القرآن:

عُرف هذا الكتاب باسم تأويلات أهل السنة أيضا. وضع أبو منصور الماتريدي كل مهارته وخبرته في هذا الكتاب، وهو من النماذج الأولى للتفاسير بالدراية بعد التفاسير بالرواية مثل تفسير ابن أبي حاتم، والطبرى، وابن المنذر. وثمة احتمال كبير بأن بعض المفسرين الكبار أمثال الزمخشري وفخر الدين الرازي قد استفادوا منه بشكل كبير. ونظرا لوجود بعض العبارات مثل " قال الشيخ "، و" قال أبو منصور " قد سبّب لقول بعض الأشخاص أن هذا العمل لم يكن للإمام أبي منصور وإنما كان لطلابه. ومعنى أنه أمر طلابه بكتابته على طريقة الإملاء لا يعني أن الكتاب لهم؛ لأن كل من ترجموا له اتفقوا على أن الكتاب للماتريدي. ولهذا الكتاب حوالي 40 نسخة مخطوطة معظمها في مكتبات استانبول[(2)].

(1) للمزيد من المعلومات لآثار الماتريدي انظر :

Brockelmann, GAL, c.I, s.209 ve Supp., c.I/346; TDV İslam Ansiklopedisi, c. 28, s.149-150; Ziriklî, el-A'lâm, c.7, s. 19; D.B. Macdonald ve Ahmed Ateş, MEB İslam Ansiklopedisi, Mâturidî md., c.7, s.405-406.

(2) Ali Rıza Karabulut, Maturidî'nin Eserleri ve Hakkında Yazılanlar (آثار الماتريدي وما كتب عنه), Ebu Mansur Semerkandî-Mâturidî Kongresi, Kayseri, 1990, s. 179-197; Muhammed Eroğlu, Ebu

وقد تم تحقيق الكتاب ونُشر لأول مرة في القاهرة عام 1971م على يد إبراهيم وسيد عوضين، أما المرة الثانية التي تم تحقيق الكتاب فيها فكانت عام 1983م في بغداد على يد محمد مستفيض الرحمن، وفي عام 1995م تم تحقيقه في خمس مجلدات على يد فاطمة يوسف الخميني. أما النسخة المحققة الأجمل التي تستمر تحقيقها ويقوم بها أحمد وانلي أوغلي في استانبول، حيث بدأ العمل فيها عام 2005م. كما حصل كل من راغب إمام أوغلي، وحنفي أوزجان على درجة الدكتوراه في هذا الكتاب. وفي 14 مارس 1986م نُظم في مدينة قيصري مؤتمرا عن أبي منصور السمرقندي الماتريدي، وتم نشر المقالات المقدمة في هذا المؤتمر عام 1995م.

مصادر كتاب تأويلات القرآن:

المصادر الخاصة باللغة ويأتي على رأسها: الخليل، سيبويه، الفراء، أبو عبيدة، ابن قتيبة. أما مصادره في التفسير: الروايات المنقولة عن النبي ﷺ، والخلفاء الأربعة وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وعائشة وأبو موسى الأشعري وأبو الدرداء (رضي الله عنهم). ومن التابعين الحسن البصرى وقتادة وعكرمة والضحاك وعطاء وعلقمة والنخعي ومجاهد وسعيد بن جبير. ومن المفسرين المتأخرين أبو بكر الأصمّ، ومقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيان، وابن إسحاق، والكلبي وهم من أكثر العلماء الذين نقل عنهم. والخلاصة أن الماتريدي أورد في كتابه هذا أفكار ما

Mansur el-Maturidî ve Te'vilâtü'l-Kur'ân (basılmamış tez) (رسالة مخطوطة), İstanbul, 1971, s. 9; Brockelmann, GAL, c. I, s. 209 ve Supp. c. I, s. 346.

يقرب من تسعين عالم من الصحابة والتابعين[1].

أما الحديث:

فقد كان الماتريدي يحذف الإسناد وينسب الرواية إلى راويها الأول. والصحابة الذين روى عنهم: أبو هريرة، وأنس بن مالك، وعائشة، وعلى ابن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

وفي مجال الفقه:

أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد الشيباني، والشافعي، والأوزاعي، وزفر، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وداوود الظاهري. وهم من أكثر العلماء الذين نقل عنهم.

وفي علم الكلام كان يشير إلى الآراء أكثر من الأشخاص وذلك مثل " قال أهل الكلام "، " قال المعتزلة "، " قال الجهمية "، أما علماء الكلام الذين كان يذكر أسمائهم كثيراً: الراوندي وبشر المريسي وأبي الهذيل العلاّف والكعبي وحسين النجار وأبو على الجبائي.

وبالرغم من أنه كان يذكر أسماء العلماء الذين نقل أفكارهم، إلا أنه أهمل ذكر أسماء الكتب التي نقل عنها. ولم يشر إلى أشهر كتب الحديث مثل البخاري ومسلم، ولم يفعل أى جرح أوتعديل بخصوص الرواة، وكان يقيم تقييمه معتمدًا على متن الحديث. ومما يلفت الانتباه أنه لم يشر قط إلى المصدر الضخم الهام (جامع البيان) للطبري. وكما نقل الأحاديث الموجودة في كتب الصحاح الستة، أورد أيضا الأحاديث من غيرها من

(1) Talip Özdeş, Maturidî'nin Tefsir Anlayışı (منهج المتاتريدي في التفسير), İstanbul, İnsan Yayınları, 2003, s. 63-65.

كتب الحديث، كما توجد أيضا روايات منتقدة من الأحاديث الموجودة في أحد المصادر المشهورة. وكان في بعض الأحيان يذكر بعض الإسرائيليات، وأحيانا كان يقيم موازنة بالمحاكمة العقلية بعد إجراء محاكمة نقلية. من ذلك على سبيل المثال أنه بعد أن ذكر الرواية الخاصة (بالرقيم) قال " أنه لا توجد فائدة من معرفة هذا " [1].

منهج الماتريدي في التفسير ونماذج من تفسيره:

تظهر مسألة تفسير القرآن بالقرآن كخاصية بارزة في كتاب تأويلات القرآن. من ذلك على سبيل المثال الآية 45 في سورة الإسراء مفسرة بالآيات: الآية 146 من سورة الأعراف، والآية 25 من سورة الأنعام، والآية 46 من سورة الإسراء، والآية 57 من سورة الكهف، والآية 5 من سورة فصلت، والآية 88 من سورة البقرة، ويذكر في النتيجة ما يلي:

وأصله أن ما ذكر من " الحجاب " و" الغلاف " و" الأكنّة " إنما هو على العقوبة لهم لعنادهم ومكابرتهم الحق، لأنهم كلما ازدادوا عنادًا وتمرّدًا، ازدادت قلوبهم ظلمة وعمًى، وهو ما ذكر في غير آية حين قال: {ﯫﯬﯭﯮﯯ} [الصف: ٥]، وقال: {ﮊﮋﮌﮍﮎ} [التوبة: ١٢٧]، وقال: {ﭻﭼﭽﭾﭿ ﮀﮁﮂ} [المطففين: ١٤]، أخبر ما ران على قلوبهم بكسبهم الذي كسبوا، وأزاغ قلوبهم باختيارهم الزيغ، وصرف قلوبهم باختيارهم الانصراف. فعلى ذلك ما ذكر من جعل الحجاب والأكنّة عليها بما كان منهم، والله أعلم[2].

كما يخصص مكانا للأحاديث الواردة في تفسير الآية. من ذلك على

(1) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 9 من سورة الكهف.

(1) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 45 من سورة الإسراء.

سبيل المثال يذكر في تفسير الآية 286 من سورة البقرة: " لأن رسول الله ▫ أخبرنا أن لا نؤاخذ بالنسيان والخطأ، وأنه لا يخلف الميعاد ".

ويبحث عن الدليل في تفسيره، من ذلك على سبيل المثال يقول عن " تُبّع " المذكور في الآية 14 من سورة ق ونحن لا نميل إلى ذكر هويته، كما مال إليه بعض أهل التأويل، لأنه لم تُذكر هويته في القرآن، حتى أنه لم يثبت حديث واحد متواتر عنه " [1].

يعطي الماتريدي أهمية بالغة لمعاني واستعمالات المفردات اللغوية. وقد ذكرنا قبل قليل المصادر اللغوية الكبيرة التي رجع إليها. ويصرح أن المعاني المجازية استُخدمت في القرآن الكريم بشكل لا يحصى[2]. إلا أنه في بعض الأحيان كان يُعبر عنه بـ " التمثيل "، وأحيانا بـ " الرمز " [3]. وأحيانا يستخدم تعبير " الكناية " [4]. وأحيانا كان يعبر عنه بـ " تسمية الشيء باسم سببه " [5]. ولننقل تلك العبارة كمنوذج على ذلك:

{ڎڎژژڑڑ} [المسد: ١] يحتمل حقيقة اليد، ويحتمل أن يكون ذكر اليد على الصلة (...) وإن كان ذكر اليد على الصلة فهو يخرج على وجهين: أحدهما ذكر اليد كناية عن العمل والفعل، إلا أنه ذكر اليد لما باليد يقوم ويعمل كقوله تعالى: {ڤڤڦ} [آل عمران: ١٨٢]، وقوله: {□ □ □} [الشورى: ٣٠] وذلك على الكناية عما كان منه من الصنيع أو خسرت أعماله

(1) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 14 من سورة ق.

(2) TDV İslam Ansiklopedisi, c. 28, s. 158.

(3) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 187 من سورة آل عمران، والآية 101 من سورة البقرة.

(4) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 1 من سورة المسد.

(5) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 16 من سورة البقرة.

وبطلت(1).

وللاطلاع على نماذج أخرى يمكن الرجوع إلى تفسير الآية 8 - 9 من سورة الأعراف بخصوص موضوع وزن الأعمال، والآية 30 من سورة الكهف بخصوص خطاب الله تعالى إلى جهنم.

ويورد الماتريدي روايات أسباب النزول وأقوال الصحابة والتابعين والقصص، ويهتمّ بمشكلات القرآن ويجيب عنها. من ذلك على سبيل المثال ينقل الآيات الواردة في منشأ الإنسان: {ﭬﭭﭮ} [الحجر: ٢٦]، {ﮯﮰﮱ} [آل عمران: ٥٩]، {ﮕﮖﮗ} [الصافات: ١١]، {ﯓﯔﯕ} [الرحمن: ١٤]. ويقول بأن هذا الاختلاف لا يسبب إشكالا حقيقيا، وأنه من قبيل اختلاف الأحوال والأطوار للمراحل المختلفة لخلق الإنسان(2).

كما عمل الماتريدي تقييما شاملا للحروف المقطعة، من ذلك على سبيل المثال يقول في تفسير الآية رقم 1 من سورة البقرة أن ثمة احتمالات بأنها قسم أو اسم السورة، أو وسيلة بديعة تلفت الانتباه، أو إشارة لعمر الأمة المحمدية بحساب الجمل، أو وسيلة لامتحان العباد. وذكر وجهًا آخر لم أره في أى مصدر وهذا يليق أن يعتبر من إبداعاته: حيث يقول بأن ثمة احتمال بأن تلك الأحرف إنما تشكل مدخلا للسورة (أن يكون على التشبيب)(3).

ويدخل الماتريدي إلى تفسير الآيات التي تتعلق بالفقه. ويذكر في الموضوعات الفقهية الكثير من آراء أبي حنيفة، وأبي يوسف ومحمد

(6) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 1من سورة المسد.

(1) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 26 من سورة الحجر.

(2) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 1 من سورة البقرة.

الشيباني، والشافعي، وقليل من آراء بعض المجتهدين مثل زفر والأوزاعي. وينقد آراء الشافعي خاصة. ويرجح أحيانًا بين أقوال الفقهاء. من ذلك على سبيل المثال يفسر " الصلاة الوسطى " الواردة في الآية 238 من سورة البقرة بـ " صلاة المغرب ". ويفسر كلمة " المطهرون " الواردة في الآية 79 من سورة الواقعة بـ " الملائكة " بشكل يخالف مجتهدي مذهبه، ولا يفسر " الطهارة " بـ " الوضوء ".

وليس الماتريدي متطرفًا ولا متعصبًا في نقده، حتى أنه في بعض الأحيان يتحدث عن احتمال صواب الرأي المخالف. ويستخدم تعبير الاجتهاد ويحث عليه، ويعد القياس والاجتهاد من الأدلة الشرعية[1]. ويتناول أيضا تفسير المتشابه من الآيات. من ذلك على سبيل المثال تفسيره للآية الخامسة من سورة: [طه: ٥]{ڈ ژ ژ ڑ ڑ} ويشير إلى قدرة الله وعظمته سبحانه وتعالى، ويذكر ما يلي في تفسيره: {چ چ چ} [السجدة: ٤]، وفي هذا أيضًا قد ذكرنا تأويلات كثيرة. لكنّا نذكر فيه حرفًا لم نذكره فيما تقدم من الذكر، وكأنه أصوب وأقرب إلى الحق، وهو أن ذلك حرف وكلام لم يجعل الله تعالى في العقول والأفهام سبيل معرفته وإدراكه، أعني لقوله: {چ چ چ} [السجدة: ٤] لأنه ذكر ذلك الحرف في موضع آخر وأمره أن يسأل به خبيرًا حيث قال: {چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ} [الفرقان: ٥٩]. ولو كان ذلك الحرف مما لعقول البشر وأفهامهم سبيل الوصول إلى معرفته وإدراكه لأدركه عقل رسول رب العالمين وفهمه من غير أن يسأل به الخبير من كان: الله أو جبريل. فإذا أمره بالسؤال عنه دلّ أنه بالعقل والفهم لا يدرك ولا يعرف، ولا بالسمع عن الله. ولم يذكر عن الرسول أنه فسّر ذلك أو قال

(1) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 59 من سورة النساء.

فيه أو سأل أحد عنه، والله أعلم [1].

وقد طبّق كثير من المفسرين الذين أتوا بعد الماتريدي منهجه في التفسير، لنترك جانبًا تلك النماذج التي يمكن العثور عليها في كل التفاسير، ولنذكرْ جوانبه الأصيلة التي تلفت أنظارنا أكثر. ومن تلك الجوانب التي تلفت الانتباه وقوفه على كل الاحتمالات التي يمكن أن تُقال أثناء تفسير الآيات. من ذلك على سبيل المثال تفسيره لآية: {ۓۓڭ ڭڭ ڭۇۇۆۆۈۈۇۋ} [البقرة: ٢٥١].

يقول فيها: "اختلف فيه، قال بعضهم: دفع الكفار بعضهم ببعض شرهم عن المسلمين لما شغل بعضهم ببعض وجعل بعضهم لبعض أعداء، إلى أن لم يتفرغوا عن أنفسهم للمسلمين، وإلا كان في ذلك فساد الأرض. وقال آخرون: دفع بالرسل والأنبياء شرّهم عن المسلمين وكفاهم بهم. وقال غيرهم: دفع بالمؤمنين بعضهم عن بعض، دفع بالمجاهدين في سبيل الله عن القاعدين عن الجهاد وإلا لغلب المشركون على الأرض. وقيل: يدفع بالمصلّي عمن لا يصلّي، وبالمزكّي عمن لا يزكّي، وبالحاج عمن لا يحجّ، وبالصائم عمن لا يصوم" [2].

وكما رأينا أنه فسّر الآية بشكل شامل واضعا الاحتمالات الرئيسية الأربعة التي يمكن أن ترد إلى الخاطر في الآية الكريمة. ويمكننا رؤية نظير هذا التفسير الشامل في نموذج آخر عند تفسيره للآية 44 من سورة الإسراء.

وثمة جانب آخر للماتريدي وهو جهده في البحث عن الحكمة في

(2) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 4 من سورة السجدة.

(1) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 251 من سورة البقرة.

أفعاله سبحانه وتعالى، وهذه الظاهرة نراها في مئات من الآيات الكريمة في القرآن الحكيم. حتى أن ابن قيّم الجوزية يقول بأن الله تعالى أشار في القرآن الكريم الحكمة من أفعاله وأحكامه في أكثر من ألف موضع. ولنقتبس تلك الكلمات كنموذج على ما نقول:

وكذلك يقال للمعتزلة حين قالوا: إنه لا يفعل إلا ما هو أصلح لنا في الدين لأنه جواد، فلو منع الأصلح والأخير لم يكن جوادًا موصوفًا بالجود، وإنما قدرتم وقلتم على ما وافق طباعكم وأنفسكم، ولو عرفتم حقيقة الجود ما قلتم ذا، ولا خطر على بالكم شيء من ذلك. وإنما على الله أن يختار لكل ما علم منه أنه يختار ويؤثر، لأنه لا يجوز أن يختار الولاية لمن علم منه أنه يختار عداوته، وكذلك لا يجوز أن يختار العداوة لمن علم منه أنه يختار ولايته. وليس على الله تعالى حفظ الأصلح لأحد في الدين، بل عليه حفظ ما توجبه الحكمة والربوبية(1).

وهذا هو النموذج الثاني الذي يمكننا أن نُورده كمثال لتحليله للآيات، وبحثه عن حكمة الأفعال: {ﭺﭻﭼﭽﭾﭿ ﮀﮁ} [مريم: ٨١]، فإن كان على حقيقة العز فهو في القادة منهم والمتبوعين الذين عبدوا تلك الأصنام ليتعززوا بذلك ولا يذل وتدوم لهم الرئاسة التي كانت لهم في الدنيا. فظنوا أنهم إن آمنوا تذهب تلك الرئاسة والمأكلة عنهم. ويحتمل قوله: {ﭿﮀﮁ} [مريم: ٨١] أى نصرًا ومنعة. فإن كان هذا هو في الرؤساء منهم والأتباع في الدنيا والآخرة. أما ما طمعوا بعبادتهم الأصنام فهو النصر في الآخرة وهو كقولهم: {ﮏﮐ ﮑﮒﮓﮔﮕ} [الزمر: ٣]، وقولهم: {ﮪﮫﮬﮭ} [يونس: ١٨]، طمعوا بعبادتهم

(1) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 44 من سورة الإسراء.

الأصنام النصر والشفاعة في الآخرة. وأما في الدنيا فقد ظنوا أن آلهتهم التي اتخذوها وعبدوها تنصرهم في الدنيا... إلخ[1].

ويقوم الماتريدي بتأويل الآيات التي تنسب " المحبة " إلى الله تعالى. من ذلك على سبيل المثال تأويله للمحبة في قوله تعالى: {ڈژژڑڑ} [البقرة: ١٦٥] فهو يفسر المحبة تفسيرًا ظاهريا وماديا ولا يتحدث عن عاطفة الحب ويحملها على تعظيم الله وأداء حقوقه[2].

وأبرز خاصية لتفسير تأويلات القرآن هي تناوله للمسائل الكلاسيكية لعلم الكلام. فعندما كان الماتريدي ينظر إلى الآيات كمتكلم، يتجه إليها من وجهة نظر علم الكلام. وينزلق ويجتاز بسهولة إلى اختلافات ذلك العلم. ولأنها بالمئات سنكتفي هنا بذكر بعض النماذج منها. من ذلك تطرقه إلى موضوع خلق الأفعال في تفسير الآية السابعة من سورة البقرة. ومن ذلك أيضا تطرقه إلى علاقة الإيمان بالعمل، وأن الإيمان هو التصديق بالقلب في تفسير الآية 41 من سورة المائدة، والآية 65 من سورة النساء. ولننقل فقرة مختصرة من ذلك: وقوله: {ٱٻٻپ} [البقرة: ٢٥] الآية، تنقض قول من جعل جميع الطاعات إيمانًا، لما أثبت لهم اسم الإيمان دون الأعمال الصالحات، غير أن البشارة لهم وذهاب الخوف عنهم إنما أثبت بالأعمال الصالحات. ويحتمل الأعمال الصالحات عمل القلب، وهو أن يأتي بإيمان خالص لله، لا كإيمان المنافق بالقول دون القلب[3].

(2) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 81 من سورة مريم.
(1) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 165 من سورة البقرة.
(2) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 25 من سورة البقرة.

ونقد المعتزلة في مسألة المشيئة الإلهية، ودافع عن الاعتقاد السني[1]. ودخل في نقاش طويل مع المعتزلة في مسألة أفعال العباد وهل الاستطاعة تكون قبل الفعل أو مع الفعل؟[2]. وقبِل الشفاعة للمذنبين وانتقد بشدة المعتزلة الذين ينكرونها[3]. إن ما ذكرناه إنما هو أمثلة فقط من مئات الأمثلة التي تملأ تفسير الماتريدي.

الخلاصـــة:

طبق الماتريدي منهج التفسير، ولذلك فسر القرآن بالقرآن وفسر القرآن بالحديث النبوي، وذكر أقوال مفسري الصحابة رضي الله عنهم. وطبق أيضًا منهج التأويل في نفس الوقت، فقام بتحليلات عقلية ولغوية [4]. واتبع تقييم الآراء التي نقلها، ومما يلفت الانتباه عدم استخدامه لتعبير " أهل السنة والجماعة ". فهو بالرغم من دفاعه عن عقيدة أهل السنة والجماعة إلا أن عدم استخدامه لهذه التسمية أظهر حساسية في عدم تعنيف المسلمين المخالفين. ووضع نصب عينيه في الكثير من تفسيراته الأهداف العامّة للقرآن الكريم، ولم يسلم من نقل بعض الإسرائيليات، وفي الكثير من الأوقات لا ينسب الأفكار إلى أصحابها، بل كان يولي أهمية إلى نقد الفكر والنص، نظرا لاهتمامه بالأفكار أكثر من الأشخاص.

والخلاصة أن تفسير الماتريدي يقف بين الرواية والدراية، ولكنه إلى الدراية أقرب. وأن المفسرين الذين أتوا بعده مثل الزمخشري وفخر الدين

(3) تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 224 سورة البقرة.

(3) انظر: تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 286 من سورة البقرة.

(4) انظر: تأويلات القرآن، عند تفسير الآية 255 من سورة البقرة.

(1) Bkz: Bekir Topaloğlu, TDV İslam Ansiklopedisi, “Maturidî” md., c. 28, S. 157.

الرازي استفادوا منه.

* * *

دور علماء أوزبكستان في الإنتاج العلمي الإسلامــي

دور علماء أوزبكستان في الإنتاج العلمي الإسلامي

الأستاذ الدكتور
أحمد طوران أرسلان
عضو هيئة التدريس في كلية الإلهيات
بجامعة مرمرة إستاتبول - تركيا

من المعلوم أن مناطق خراسان وخوارزم وما وراء النهر قد تعرفت على الجيوش الإسلامية منذ خلافة عمر وعثمان (رضي الله عنهما) وجيل التابعين من بعدهما. وبدأ أهل تلك المناطق بالاحتكاك مع الإسلام والمسلمين. وبالطبع أن استقرار المسلمين وحلولهم لهذه البلاد لم يتمّ بين عشية وضحاها بل قد احتاج إلى شيء من الوقت. فعلى سبيل المثال إن فتح بخارى التي كانت إحدى المراكز المهمة في بلاد ما وراء النهر وضواحيها لم يتم إلا لسنة 89 هـ /705م ومع مر الأيام أخذ العرب المسلمون يسكنون هذه البلاد التي كان أغلب سكانها من الأتراك. ومع احتكاك أهل هذه البلاد بالمسلمين المخلصين الذين يمثلون روح الإسلام الحقيقية أخذوا يدخلون في دين الله أفواجا.

إن مبادئ الإسلام العالية المتمثلة بالتعارف والتراحم والتسامح ساعدت على التحام السكان الجدد بأهل البلاد المنتسبين إلى ديانات شتى مثل البوذية والمسيحية واليهودية والمانوية، وخاصة أن الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي تولى الخلافة عام 99 هـ /717 م، قد أيد كل النشاطات التي قام بها قتيبة ابن مسلم من أجل تقريب الشعب الفاتح والسكان

المحليين للبلاد. قد أقام مبدأ المساواة بين المسلمين القاطنين لهذه البلاد الذين يسمون بالموالي وبين المسلمين العرب. وأمر للموالي الذين شاركوا في الحروب بمنح حصتهم من الغنائم وبعدم الأخذ منهم الضرائب اللازمة. لم يكتف عمر بن عبد العزيز بهذه المساعدات بل وقد عيّن لهم رواتب وأقام خانات للإقامة. وقد ساهمت هذه الإجراءات بازدياد المعتنقين لدين الإسلام يوما بعد يوم. وقد تحرّج الجراح بن عبد الله لهذا الازدياد وعرض الخليفة شرط الختان على كل من يعتنق الإسلام من الموالي مصرحا بشكوكه حول إخلاصهم وخائفا من انخفاض الواردات للدولة. ولكن الخليفة غضب عليه وزجره قائلا: "إن الله لم يبعث محمدا ختّانا ولكنه أرسله داعيا، إني أراك أشد فسادا وفتنة منهم". وبعد فترة وجيزة عزل الجراح وعيّن عبد الرحمن بن نعيم مكانه. وقيم الإسلام العالمية مثل الرحمة والشفقة على العباد قد قام المسلمون بموجَبها نحو غير المسلمين في هذه البلاد وفي غيرها من البلاد الإسلامية.

وكما هو معروف أن عمر بن عبد العزيز أبلغ والي خراسان عبد الرحمن ابن نعيم بأن لا يمنع أى مسيحي أو يهودي أو مجوسي من ممارسة ديانته وأن تصان معابدهم. وبعد أسد بن عبد الله عيّن نصر بن سيار على إدارة خراسان سنة 121 هـ /739 م وشاهد أن الظروف بحاجة ماسة إلى القيام ببعض النشاطات الاجتماعية لتوطيد الحكم في المنطقة المذكورة. وكانت هذه النشاطات أهم بالنسبة لمدينتي بخارى وسمرقند كمركزين أساسيين في هذه المنطقة. فمن هذا الباب قام نصر بن سيار بإنكاح ابنته لملك بخارى بِخاردخات تُوغْشَدَة الذي قام بمنح أراضي حَنْبون العالية المسماة بِقارِيق علويّان له. ونصرٌ هو الآخر قد ضم أعداد من أهالي بخارى وضواحيها في الجيش كما فعل قتيبة بن مسلم من قبله.

لا شك أن جهاد الأهالي المحليين مع المسلمين العرب في صف واحد كان له الأثر الإيجابي في تحول العلاقات إلى جو حار وصداقة حميمة مما ساعد على خلق مناخ مناسب لتعليم وتطبيق مبادئ الإسلام بين أهالي تلك البلاد. ومن أهم الإنجازات التي قام بها نصرٌ هي قيامه بأخذ التدابير نحو الأمور التي كانت تزعج الشعب وخاصة المتعلقة منها بالجزية والخراج. فهذه الإصلاحات التي قام بها نصر قد نفّست عن المسلمين وأراحتهم ونقلت لسياسة الأخوة الإسلامية التي قام عمر بن عبد العزيز بتنفيذها بنجاح إلى الحياة ثانية. ولكن يجب أن نشير هنا إلى أن هذه الإصلاحات لم تتم بكل سهولة. لا شك أن المياه العكرة لم تصفُ بيسر؛ إذ إن المنطقة كانت مجال صراع ونزاع من النواحي الإدارية والاقتصادية والاجتماعية. نحن لا ندخل في مثل هذه التفاصيل التي تبعدنا عن صميم الموضوع.

تحول مدن ما وراء النهر إلى مدن إسلامية:

مع انتهاء الحكم الأموي نستطيع أن نشاهد أن بخارى وسمرقند وما يجاورهما أصبحت تتخذ طابعا إسلاميا ففي هذه الفترة بدأ مشاهير علماء المسلمين يشدون رحالهم إلى هذه المدن ليقيموا فيها. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن تلك المنطقة قد أخذت شوطا لا بأس به في مجال التطور من الناحيتين الدينية والعلمية. فمثلا إن عبيدة بن بلال التميمي (ت 160 هـ / 777م) وأبا حفص منصور بن نعمان الربيعي اليشكوري من هؤلاء العلماء الذين هاجروا من البصرة واستقروا ببخارى. وبالطبع إن هؤلاء العلماء قد ساهموا في ظهور علماء كبار من هذه المدن. فعلى سبيل المثال عيسى بن موسى كونجار (ت186هـ / 802 م) في بخارى قد تلقى وتأدب على يد العلماء المذكورين. وكذلك أبو عبد الله عمر بن حسين

(ت 167 هـ / 783 م) وصفوان بن إبراهيم وحسين بن أحمد من العلماء المسلمين الذين عاشوا في نفس الفترة في قرية بادان من بخارى.

ومن العلماء من لم يُقم طويلا في هذه المدن ولكنه حل رحاله لفترات معينة ليقوم بنشاطات علمية بمدنها المختلفة. فأبو سهل كثير بن زياد كان واحدا من هؤلاء العلماء. وبنشاطات وجهود العلماء أخذت المدن المذكورة تخطو خطاها لتصبح مراكز علمية للعلوم الإسلامية. وعلى الرغم من العثور بشكل مفصل على جهودهم ونشاطاتهم في المراجع، فإنه لا شك أن هؤلاء العلماء كانوا أصحاب تقوى وورع إلى جانب رسوخهم وتعكفهم في العلوم الإسلامية. فقدوم العلماء إلى مدن هذه المنطقة في نهاية الحكم الأموي يدل على أن الدين الإسلامي بدأ يترسخ بها في تلك الفترة. وبحكم أن رغبة العلماء تكون نحو الاتجاه إلى المراكز العلمية وتتخذها مقرا لها، قد تكاثر وجودهم في المناطق التي كثر فيها الإقبال على الإسلام وعلى مبادئه السامية.

جهود العلماء نحو تعليم وتدريس العلوم الإسلامية لأهل البلد على مستوياتهم المختلفة قد آتت أكلها مما نتج عن ذلك سلوك مشترك بين أهل البلد والمسلمين العرب. وفي نهاية المطاف خرج علماء من هذه المدن قاموا بتأليف كتب باللغة العربية. فعلى سبيل المثال عيسى بن موسى كونجار كان من هؤلاء العلماء، وله كتابان معروفان بـ " كتاب الفتن " و" كتاب العين ".

ومن جانب آخر، حسب ما ذكرت المصادر أن القاسم المشترك في حياة علماء تلك البلاد اهتمامهم بالجانب التطبيقي للأعمال وحرصهم على تنظيم سلوكهم طبقا لأسس الإسلام وتعاليمه. لذلك قد حظوا بعناية كبيرة من أهالي المدن واحتلوا مكانة عالية في قلوب الشعب.

اعتبارا من نهاية الربع الأخير من القرن الثاني الهجري قد قامت بخارى وسمرقند إلى جانب مدن ما وراء النهر الأخرى بحملة تضاهي بها المراكز الإسلامية المشهورة مثل مكة والمدينة وبغداد. وقد ساهمت في هذه الحملة سكان محليون لهذه المدن إلى جانب المسلمين العرب المهاجرين إليهم. فأصبح هؤلاء المسلمون الجدد هم الآخرون الذين يعلمون الإسلام. لعل أهم مثال يبين لنا دور علماء هذه البلاد في تطور وازدهار العلوم الإسلامية هو حال أسرة الإمام البخاري:

أسلم جد الإمام البخاري على يد والي بخارى يمان الجُعفي تاركا المجوسية التي كان يدين بها، بينما والده إسماعيل بن إبراهيم فقد تلقى العلوم الإسلامية وعاش بالإسلام كواحد من الصحابة. وقد تلقى على الإمام مالك بن أنس (795/179) وحماد بن زيد حتى أصبح عالما من علماء المسلمين تلقى عنه أهل بلاده إلى جانب سكان العراق.

وكذلك سلوك أم الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (870/256) الذي نشأ يتيما يدل دلالة واضحة على مدى المسافة التي قطعها الدين الإسلامي في بخارى وما حولها. فهذه الأم المحترمة التي ترملت على أولاد صغار أحست بثقل العبء والمسئولية في تنشئة أطفالها وكانت لهم أبا وأما في نفس الوقت. وأهم أمر قامت به أم محمد بن إسماعيل تحت هذه الظروف الصعبة صرفها المال الذي تركه زوجها والذي قال عنه: “ أترك لكم مالا حلالا طيبا “ في سبيل طلبهم العلم. وكما يقال: “ إن الوعاء ينزف ما بداخله “ فإن محمد بن إسماعيل البخاري الذي نشأ في حجر أم كهذه، وتغذى بالحلال الطيب، والذي أنار عالمنا منذ 1137 سنة وسيظل ينير إلى ما شاء الله. فإنه أصبح الإمام البخاري نتيجة لهذه العوامل المعنوية السامية.

ومن الجدير بالذكر أن هناك أعدادا لا تحصى قد ساروا على نفس الطريقة التي سار عليها إسماعيل بن إبراهيم.

ومستوى المعرفة الإسلامية العالي لم يقتصر على المراكز الإسلامية مثل بخارى وسمرقند، بل قد تعدى ذلك النشاط العلمي الضواحي منها والقرى. على سبيل المثال: إن عبد الواحد بن محمد المتوفى تقريبا لسنة 816/200 هو من قرية أغزون التابعة لبخارى، ومحمد بن سلام (ت 840/225) هو من قرية بَيكند إلى جانب المئات المذكورة في المصادر.

العلماء الذين نشأوا في أوزبكستان (ما وراء النهر وما حولها) مارسوا تعليمهم في الكتاب - وهي التي تعادل المدارس الابتدائية في يومنا الحاضر - وبيوت العلماء والمساجد العامة. والعلماء الذين تخرجوا من هذه المدارس، كما هو الشأن عند علماء سائر الأقطار الإسلامية، فمنهم من كان يقوم بعملية التدريس فقط، ومنهم من كان يجمع بين التدريس والتأليف. وهذه التآليف كانت تشمل جميع العلوم الإسلامية. لذلك لا يمكن القول بأن هؤلاء العلماء اهتموا بعلم دون آخر.

ولكن نستطيع أن نقول إن علماء هذه البلاد اعتنوا بالعلوم التي يمكن أن نسميها بـ " فرض عين ". كما بين الإمام محمد بن بير على البِرْكِوي[1]: العلوم التي هي فرض عين ثلاثة: علم التوحيد: مقدار ما يعرف به ذات الله تعالى وصفاته على ما يليق به تعالى، وتصديق نبيه عليه السلام في جميع ما جاء به من عند الله تعالى، وعلم الأخلاق: مقدار ما يحصل به تعظيم الله تعالى، وإخلاص عمله وإصلاحه، وعلم الفقه:

(1) انظر لحياته وآثاره:
Ahmet Turan Arslan, İmam Birgivî Hayatı Eserleri Ve Arapça Tedrisatındaki Yeri, Seha Neşriyat İstanbul 1992.

مقدار ما يتعين عليه فعله أو تركه.

والباحثون عن الأول (أى علم التوحيد) هم المتكلمون، وعن الثاني (أى علم الأخلاق) هم المتصوفون، وعن الثالث (أى علم الفقه) الفقهاء "[1].

علم التفسير والمفسرون:

ومما لا شك فيه أن الجهود القرآنية كانت الشاغل الأول للعلماء في هذه المنطقة كما كانت في المناطق الإسلامية الأخرى؛ لأن تلاوة القرآن وفهمه وظيفة أولوية للمسلمين فنشأ عديد من العلماء في المراكز بما وراء النهر فمنهم من اكتفى بالاشتغال بالتفسير دراسة وتدريسًا ومنهم من ترك المؤلفات الباقية. ولا يمكن بطبيعة الحال أن نحصيهم كلهم، فلنكتف بذكر المشهورين منهم وآثارهم:

- أبو القاسم ضحاك الهلالي (توفي 102 هـ /720م) الذي قضى معظم عمره في مدينة بلخ لخراسان. وهو من العلماء الأوائل الذين اشتغلوا في مجال التفسير في المراكز الهامة مثل بخارى وسمرقند. ذكر أن له أثر يسمى " تفسير القرآن ". وكانت له جهود في تدريس علوم القرآن. وهو من طلاب سعيد بن جبير. وعلم التفسير قد دخلت إلى بخارى منذ الربع الأخير للقرن 7/1 في عهد قتيبة بن مسلم عن طريق ضحاك.

- عمرو أبو عامر المزني (من طلاب مقاتل بن سليمان مؤلف كتاب الوجوه والنظائر).

- محمد بن إسماعيل البخاري (قد خصص قسما تحت عنوان " كتاب

(2) محمد بن بير على البركوي، 'إنقاذ الهالكين، تحقيق أمينة عمر الخراط، دار القلم، دمشق، 1426هـ /2005 م، ص 69.

تفسير القرآن " في جامعه الصحيح).

- يحيى بن جعفر وهو من بخارى وأحد شيوخ البخاري، وألف كتابا اسمه كتاب التفسير.

على بن إسحاق الحنظلي السمرقندي (ت 851/237). وله تفسير وكتاب يسمى المشافهات.

المحدثون:

تمركزت الحركة العلمية في العالم الإسلامي على القرآن والحديث كمصدرين أساسيين للإسلام. وخاصة كان العلماء ورجال الدولة يعتنون بهذين العلمين في العهود التي لم تضبط معاني آيات القرآن ولم تعرف مجموع الأحاديث متنا ومعنى. ولذلك فقد بذل العلماء جهودا عظيمة من العصور الأولى في ضبط الأحاديث على شكل صحيح أولا وشرحها ثانيا. فمن العلماء الذين أخذوا العلم في هذه المناطق قد ذهبوا فيما بعد إلى المراكز العلمية مثل العراق والحجاز وتعمقوا في العلوم. واشتغل كثير من العلماء بهذه العلوم ودرّسوا وألفوا الكتب. فلنذكر أسماء بعضهم على سبيل المثال:

عبيدة بن بلال التميمي، توفي بسنة 777/160 في بخارى. عيسى بن موسى كونجار (ت 802/186)، من شيوخ العلماء البخاريين الذين اشتهروا في الحديث اشتهارا. أبو حفص منصور بن نعمان، أقام مدة في مرو ثم سكن في بخارى. كثير بن زياد، صفوان بن إبراهيم، حازم السدوسي، أبو عبد الله محمد بن حسين بن جعفر البادني البخاري، إبراهيم بن أساس، حسين بن يحيى (ت 841/226)، عبد الله بن محمد الجعفي (ت 844/229) (يذكر بلقب المسندي) وهو معروف بكتابه مسند الصحابة.

باهر بن نضر، عبد الله بن خالد الأزدي (ت 856/241)، نصر بن الحسين (ت 860/246)، عيسى بن موسى كونجار (802/186) قام برحلات علمية إلى العراق ومصر والحجاز وسرَخس وما إلى ذلك وله كتابان هما كتاب الفتن وكتاب العين. إسماعيل بن إبراهيم (أبو الإمام البخاري)، محمد بن سلام بن الفرج (ت 839/225)، والإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت 870/256)؛ والدارمي الذي يعتبر كتابه من الكتب الستة هو من سمرقند؛ أبو إسحاق إبراهيم بن شماس السمرقندي من شيوخ أحمد بن حنبل؛ أبو الحسين على بن إسحاق الحنظلي السمرقندي (ت 851/237) رجى بن مرجع المروزي السمرقندي (ت863/249)؛ أبو غالب سالم بن غالب السمرقندي (ت869/255)؛ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي الدارمي (ت 869/255) (كتاباه المسند والسنن معروفان في كل البلاد الإسلامية وله مؤلفات أخرى)؛ أبو الليث عبيد الله بن سرَيج البخاري؛ أبو إبراهيم إسحاق بن إسماعيل السمرقندي (ت 872/259).

الفقهاء الذين نبغوا في أوزبكستان (ما وراء النهر وما حولها):

قد نبغ فقهاء في هذه البلاد. ونرى بينهم من الحنفية والشافعية والشيعة الإمامية. ولكن الفقهاء الحنفية يفوق الآخرين عددا.

وهنا نذكر نبذة منهم على سبيل المثال: غالب بن موسى (ت 743/126)؛ أبو حفص عمر بن حفص الفزاري السمرقندي (ت826/211)؛ أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي (ت 294/906 - 7) وله مؤلفات أهمها كتاب القسامة.

المتكلمون في ما وراء النهر:

بما أننا نعرف أن في هذه البلاد أفكارا ومعتقدات مختلفة وقديمة قد ظهرت بعد الفتح الإسلامي، أفكار ومعتقدات مضادة. مما حدا بالعلماء أن يحفظوا العقيدة الإسلامية الصحيحة تجاه هذه التيارات الفكرية. فنرى أن العلماء المتكلمين الكثيرين قد ظهروا في ما وراء النهر وعلى رأسهم الإمام أبو منصور الماتريدي وأبو المعين النسفي وغيرهم كثير.

العباد والزهاد في ما وراء النهر:

ونرى بين العلماء من تميزوا بالزهد والعبادة مع اشتغالهم بالعلوم الإسلامية وتصنيف الكتب فيها. فمنهم أبو على فضيل بن عياض بن مسعود الخرساني وأبو زكريا يحيى بن محمد الوراغساري وسعد بن نصر الزاهد السمرقندي وأبو الحسن على بن حاكم الزاهد السمرقندي.

النتيجة:

وفي خلاصة البحث يمكننا أن نقول أن العلماء في هذه البلاد كانوا صناع وبنائين أو مكوني الحضارة الإسلامية لأنهم أخذوا علومهم من منبع نور الهدى من الصحابة وتابعيهم بإحسان. لو ذكرنا أن أصحاب الكتب الستة في الحديث من هذه البلاد وأبا الليث السمرقندي والزمخشري في التفسير والنحو والبلاغة واللغة وغيرها من العلوم والإمام الماتريدي في علم التوحيد وبرهان الدين المرغيناني صاحب الهداية في الفقه والفضيل بن عياض وعبد الخالق الغجدواني وأحمد اليسوي ومحمد بهاء الدين وعبيد الله أحرار في الزهد والأخلاق لظهر المستوى العلمي في هذه البلاد. ولو تذكرنا أيضا أن مؤلفات هؤلاء العلماء درِّست عبر العصور في مدارس أكثر الأقطار الإسلامية من شرقها إلى غربها لتبين مدى تأثير إنتاجهم العلمي في قلوب المسلمين.

فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

* * *

الإسـلام
تاريخ وحضارة

الإسلام... تاريخ وحضارة

د. مصطفي اوزجان
عضو هيئة التدريس بجامعة
روتردام الإسلامية سابقا
المقيم بمدينة آنطاليا/تركيا

انطلاقا من حيث التسمية كان لزاما على أن أتحدث في مفهوم "التاريخ" و"الحضارة" أن التاريخ خزانة للإنسانية جميعا. فإن الشعوب الموجودة في العالم منذ أن خلق الله سيدنا آدم عليه السلام استودعوا فيه خبرات ثمينة. لا شك أن هذه الخبرات والتجارب؛ إيجابية كانت أو سلبية ذات قيمة عالية فإيجابياتها محل استفادة لمستقبل أفضل وسلبياتها محل اعتبار لمن يعتبر. يقول ابن خلدون في مقدمته "اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفائدة شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا " [1].

وعِلْم التاريخ من أجّل العلوم قدرا، وأرفعها منزلة وذكرا، وأنفعها عائدة وذخرا. وكفاه شرفا أن الله تعالى شحن كتابه العزيز، الذي: {گـگگ گـگـڳڳگـگـگگںںڻڻ} [فصلت: ٤٢]، من أخبار الأمم الماضية، والقرون الخالية، بما أفحم به أكابر أهل الكتاب. وأتى من ذلك بما لم يكن لهم في ظن ولا حساب. ثم لم يكتف تعالى بذلك حتى امتن به على نبيه الكريم، وجعله من جملة ما أسداه إليه من الخير العميم، فقال جل وعلا: {ڳ

(1) مقدمة ابن خلدون، 2/1.

ﮔﮕﮖﮗ} [الأعراف: ١٠١] وقال: {ﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳ} [هود: ١٢٠] وقال: {ﯩ ﯪﯫﯬﯭﯮﯯ} [يوسف: ١١١].

والقرآن الكريم منبع إرشاد في الاهتمام بالتاريخ بذكر القصص أحيانا وبالأمر بالنظر إلى عاقبة فئآت مختلفة حيث يقول الله عز وجل:

{ﭬﭭﭮﭯ} [الأنعام: ١١].

{ﮊﮋﮌﮍﮎ} [النحل: ٣٦، الزخرف: ٢٥].

{ﭪﭫ ﭬﭭﭮ} [الأعراف: ٨٤].

{ﮪ ﮫﮬﮭ} [القصص: ٤٠].

{ﮯﮰﮱ ﯓﯔ} [الأعراف: ٨٦].

{ﭠ ﭡﭢ} [النمل: ١٤].

{ﯗﯘ ﯙﯚﯛ} [يونس: ٣٩].

{ﮈﮉ ﮪ} [النمل: ٦٩].

{ﮑﮒﮓ ﮔﮕ} [يونس: ٧٣].

{ﯫﯬﯭﯮﯯﯰ} [الصافات: ٧٣].

{ﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝ} [الأنعام: ٢٤].

{ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ}

[الروم: ٤٢].

فإن في هذه الآيات القرآنية نقطة مهمة تلفت الأنظار، ألا وهي إن كل فئة سبقت الإشارة إليها ذات سمة خاصة: منها الظلم، ومنها الشرك، ومنها الفساد، ومنها الجرم ومنها الكذب ومنها أنها أُنْذرت، فإذا تتبعنا

الأحداث التاريخية منذ الإنسان الأول الذي أهبط في الجنة بأمر الله تعالى إلى الأرض إلى يومنا هذا يمكننا أن نستخرج العبر والدروس القيمة من النصوص القرآنية. والنظر إلى عاقبة هذه الأقوام والاعتبار بعواقبهم إنما يكون بالإلمام بالتاريخ.

وقد كان رسول الله ◘، كثيرا ما يحدث أصحابه بأخبار الأمم الذين قبلهم، ويحكي من ذلك ما يشرح به صدورهم، ويقوي إيمانهم، ويؤكد فضلهم. وكتاب " بدء الخلق " للإمام البخاري - رحمه الله - كفيل بهذا الشأن.

التاريخ يفرض الهدف والمعنى، لأن الشيء بدون تاريخ يمكن أن يكون منقطعاً وعبثاً، ولكن التاريخ هو رؤية الحاضر مع الماضي والمستقبل،إن الإنسان يمكن أن يخطئ في فهم حركة الشمس، ولكنه متمكن من أن يصحح خطأه، ويمكن أن لا يكرر الخطأ، ويتجاوزه، والتاريخ يعلمنا هذا. إنه أستاذ صبور.

ويمكن أن نلمح في الإنسان أن استخراج أفضل ما فيه ليس بقهره وإكراهه، إنه يملك شوق المعرفة، وعلينا أن نكون حاذقين في استثمار هذا الشوق، والتاريخ يقدم لنا نماذج من هذا الاستثمار. التاريخ ضد التبذير وضد تضييع الوقت ولا يضيع التاريخ هذا الهدف وهو دائماً في تقدم إليه. ينبغي أن نفهم هذا من تاريخ الوجود، إذ يقول الله عز وجل:

{ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې} [فصلت: ٥٣].

آيات الآفاق والإنسان تفصح عن الحق الكامن فيه، تراود ذكاء الإنسان وتغريه أن يقوم بدوره في اختصار الزمن والوصول إلى أفضل مردود بأقل زمن وجهد، إنه قانون كبير في القرآن.. إن ما يميز الحق من

الباطل هو قوله تعالى:

{ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠ} [الرعد: ١٧].

هذا هو قانون التاريخ وهدفه الذي لم يتوقف خلال التاريخ كله، وهو أن الأنفع للناس وليس لبعضهم فقط.

خلاصة القول في فوائد علم التاريخ يتلخص كالآتي:

1 - الاتعاظ والاعتبار:

إن في قصص السابقين عبرة وعظة، إذ هم بين محسن ومسيء، وفي إحسان المحسن وما وقع له من الثواب والذكر الحسن عظة. وفي إساءة المسيء وما حلَّ به من الملمات والعقوبات عظة. والله تعالى يقول مبيناً ذلك: {ﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰ} [يوسف: ١١١].

2 - تثبيت فؤاد اللاحق:

كما قال تعالى: {ﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂ} [هود: ١٢٠].

3 - الانتفاع بتجارب السابقين:

لأن التاريخ ملىء بالأحداث الجسام التي تفيد الدارس لها فيكسب مزيد عقل وتفكير، فيصير المرء سديد الرأي في المضايق.

4 - تخليد ذكرى ألأخبار:

قال تعالى: {ﭑﭒﭓﭔﭕ} [الشعراء: ٨٤] فاستجاب الله دعاء إبراهيم - عليه السلام - وخلد ذكره كما امتنَّ الله على نبيه محمد ◘ فقال: {ﯕﯖﯗ} [الشرح: ٤].

وفي نفس الموضوع قال جلال الدين السيوطي رحمه الله: " من فوائد التاريخ واقعة رئيس الرؤساء المشهورة مع اليهود ببغداد، وحاصلها أنهم

أظهروا رسما قديما يتضمن أن رسول الله ◘ أمر بإسقاط الجزية عن يهود خيبر، وفيه شهادة جماعة من الصحابة، منهم على بن أبي طالب رضي الله عنه. فرفع الرسم إلى رئيس الرؤساء، وعظمت حيرة الناس في شأنه. ثم عرض على الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي فتأمله وقال: هذا مُزَوَّر. فقيل له: بم عرفته؟ قال: فيه شهادة معاوية، وهو إنما أسلم عام الفتح. سنة ثمان من الهجرة، وخيبر فتحت سنة سبع. وفيه شهادة سعد بن معاذ، وهو مات يوم بني قريظة، وذلك قبل فتح خيبر. فسر الناس بذلك وزالت حيرتهم " [1].

لاشك أن كل أمة اهتمت بعلم التاريخ ولكن اهتمام المسلمين أكثر وأتم، وكتب التاريخ عند المسلمين كثيرة العدد جدا، حتى قال " حاجي خليفة " في " كشف الظنون ": " قد استقصيناها إلى ألف وثلاثمائة... " [2] وهي أنواع فمنها ما يتناول فترة معينة، ومنها ما يشمل تاريخ العالم كله، ومنها ما يتحدث عن بلد معين، ومنها ما صدّره مؤلفه بمقدمة عن أمور مهمة تتعلق بالتاريخ أو العمران أو الشعوب، ومنها ما تناول أعلام مائة من السنين معينة، إلى غير ذلك من الأنواع والأصناف. نعم لقد صدق بعضهم حينما قال: لم تهتم أمة بالتاريخ قدر اهتمام المسلمين به، حتى سبقوا غيرهم في هذا المجال. وحتى كان ما كتب عن الماضي أكثر مما كتب عن الحاضر.. فهل نحن أمة تاريخ؟.

أظن ذلك.... هذه ناحية؛

ومن ناحية أخرى إن تاريخ الحضارة مليء بنماذج حضارية رائعة

(1) كتاب الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى " لأحمد بن خالد الناصري 7/1.
(2) حاجي خليفة، كشف الظنون271/1.

أنتجها المسلمون وأنه ظهرت مدن تاريخية في ظل الحكم الإسلامي كالكوفة والبصرة وبغداد ودمشق والقاهرة والفسطاط والعسكر والقطائع والقيروان وفاس ومراكش والمهدية والجزائر وغيرها. كما خلفت الحضارة الإسلامية مدنا متحفية تعبر عن العمارة الإسلامية كاستانبول بمساجدها والقاهرة بعمائرها الإسلامية وبخاري وسمرقند وترمذ ودلهي وحيدر أباد وقندهار وبلخ وغزنة وبوزجان وطُلَيْطَلَةَ وقرطبة وإشبيلية ومُرْسِيَة وسراييفو وأصفهان وتبريز ونِيقِيا وغيرها من المدن الإسلامية(1).

ويمكن القول بأن الإسلام أب الحضارة وراعيها يتقبل منها قديماً وحديثاً كل ما ينفع، ويرفض كل ما يضر لأن " الحكمة ضالة المؤمن

(1) إن معظم هذه المدن المذكورة في هذا المقطع معروفة وغنية عن التعريف إلا أن:
طليطلة مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس(معجم البلدان، الحموي 39/4)
والعسكر وعسكر نيسابور المدينة المشهورة بخراسان فيها محلة تسمى العسكر(معجم البلدان، الحموي 124/4)
والقطائع وهو جمع القطيعة وهو ما أقطعه الخلفاء لقوم فعمروه وتعرف بقطائع الموالي وهو موضع كان ببغداد في الجانب الغربي متصل بربض زهير (معجم البلدان، الحموي 371/4)
والمهدية بالفتح ثم السكون في موضعين إحداهما بإفريقية والأخرى اختطها عبد المؤمن بن على قرب سلا (معجم البلدان، الحموي، 229/5)
ومرسية بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وياء مفتوحة خفيفة وهاء وهو من الذي قبله مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها، وبها كان منزل ابن مردنيش وانعمرت في زمانه حتى صارت قاعدة الأندلس (معجم البلدان، الحموي، 107/5)
وبوزجان قرية من نيسابور (تاريخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي2842/1)
ونِيقِياء : من أعْمالِ اصْطَنْبولَ (القاموس المحيط، الفيروز آبادي،1197/1)

حيث وجدها فهو أحق بها " [1] ولأن الانتقاء والاصطفاء عن عقل وتمييز هو من صلب تعاليم الإسلام التي تقر الأعراف الصالحة وتنبذ العادات والتقاليد الفاسدة أو المعارضة لمبادئ التشريع ونصوصه - وليس أدل على ذلك من أن الإسلام تبنى ما كان صالحاً من حضارات البلاد التي فتحها في الشام ومصر وبلاد الروم والفرس - وضم المسلمون إلى ساحتهم كل مخلّفات الحركة العلمية لدى اليونان في مجال العلوم الطبيعية والطبية والرياضية، ثم أضافوا إليها معارف ومكتشفات جديدة صبوها في أبهي قالب في بلاد الأندلس التي كانت مصدر الحضارة الحديثة.

فليس دور المسلمين مجرد تلقي لما عند الآخرين كما زعم المغرضون، وإنما كان لهم مشاركة إيجابية بناءة حققت لهم أرفع معاني العزة والسيادة والسبق الحضاري وهكذا كان المسلمون في كل عصر مصدر إشعاع لكل تقدم وخير وكانوا سباقين للمعالي والقدوة الطيبة للفضائل والمكارم حيث يصفهم الله عز وجل بقوله: {ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ} [آل عمران: ١١٠] وهم أصبحوا قادة العلم والتثقيف والتوجيه حيث يقول نبي الأمة ◘ :♂**طلب العلم فريضة على كل مسلم**ـــ [2] وقال في توجيه آخر للرسول عليه الصلاة والسلام:♂**مَن خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**ـــ [3].

والآن، مع الأسف حيث صرنا في حالة ضعف، وكلمة الضعيف لا تسمع ولو كانت حقاً وعدلاً، وشوهت حضارتنا وزيفت معالمها وسرق محتواها وتشكك الناس في مبادئها فلم يعد أمامنا إلا محاولة استعادة قوتنا

(1) السنن، الترمذي، 51/50.
(2) السنن، ابن ماجة، 81/1.
(3) السنن، الترمذي، 29/5.

المادية، ولكن على أساس صحيح من هدى الإسلام. ولا شك أن المبادئ هي القيم الخالدة التي توقظ الغافلين وتهدي إلى الطريق المستقيم دون أن تحجبها مظاهر الضعف والتخلف وأحوال الانحطاط التي تتعرض لها الأمم في بعض الأدوار التاريخية وميادينا الحضارية ما تزال هي المشعل الوضاء التي تدفعنا نحو متابعة الخطى ودوام العمل والكفاح وأعمال الإرادة والفكر. وأهم مبادئ أو خصائص الحضارة الإسلامية ما يأتي:

1 - مبدأ التوحيد:

(توحيد الألوهية والربوبية).

2 - الصبغة الإنسانية العامة:

ليست حضارة الإسلام محدودة المكان أو وطنية النزعة أو قومية مغلقة على أهلها أو طبقية محصورة في أسرة معينة، وإنما هي إنسانية عالمية واسعة الأفق تخاطب أى إنسان في أى مكان وتصلح للانتشار في أى بقعة أرضية وتقيم أخوة إنسانية عالمية، لأن الله تعالى أعلن هذا المبدأ بقوله: {ﭽﭾﭿﮀﮁﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒ} [الحجرات: ١٣] يعم خيرها الجميع وتفيد كل امرئ بما تقدمه من علم نافع وعمل صالح لأن " الخلق كلهم عيال الله، وأحب الخلق أنفعهم لعياله " (1) وهذا المعنى من عظمة الله بدليل أنه يرزق الكافر والمؤمن ويمنح المواهب مَن يشاء وحينئذ تتفتح العبقريات في كل شعب وفي كل زمان ومكان.

3 - النظرة الشاملة للإنسان والحياة:

لقد تبين من تاريخ الحضارة أن كلا من الروحية البحتة أو المادية البحتة وحدها لا تصلح أن تكون سبيلاً لسعادة الإنسان، فليس في مسلك

(1) المعجم الكبير، الطبراني، 86/10.

الروحية البحث سوى التخلف وتعطيل الإرادة والتفكير وطاقات العمل وقتل آدمية الإنسان وخسارة منافع الكون، وكذلك ليس في مسلك المادية البحث سوى الطغيان والظلم والاستعباد والذل والتحكم الغاشم بالأرواح والأموال والأعراض.

أما حضارة الإسلام الخالدة فقامت على أساس الجمع أو التوازن بين المادية والروحية الإنسانية فتصبح الروحية المهذبة أساس المادية المهذبة، وعندها ينعم الإنسان بالإرادة والحرية والتفكير وثمرة الجهود والعمل في إطار من الإيمان والأخلاق القائمة على العدل والأمن والاستقرار والرحمة والمحبة.

قد ثبت تاريخيا أن الحضارة الإسلامية كانت تدور حول الكتب خلال قرنين من وفاة الرسول ◘ وكانت صناعة الكتب منتشرة في كل أنحاء العالم الإسلامي. فقد كانت توجد المكتبات الملكية والعامة والخاصة في كل مكان حيث كانت تجارة الكتب ومهنة الاستنساخ رائجة وكان يقتنيها كل طبقات المجتمع الإسلامي الذين كانوا يقبلون عليها إقبالا منقطع النظير. وكان سبب هذا الرواج صناعة الورق ببغداد وسمرقند. وكانت المكتبات تتيح فرص الاستعارة الخارجية. وكانت منتشرة في كل الولايات والمدن الإسلامية بالقاهرة وحلب وإيران ووسط آسيا وبلاد الرافدين والأندلس وشمال أفريقيا.وكانت شبكات المكتبات قد وصلت في كل مكان بالعالم الإسلامي.

وكان الكتاب الذي يصدر في بغداد أو دمشق تحمله القوافل التجارية فوق الجمال ليصل إلى قرطبة بأسبانيا في غضون شهر. وهذا الرواج قد حقق الوحدة الثقافية وانتشار اللغة العربية. وكانت هي اللغة العلمية والثقافية في شتى الديار الإسلامية. كما كان يعني بالنسخ والورق والتجليد.

مما جعل صناعة الكتب صناعة مزدهرة في العالم الإسلامي لإقبال القراء والدارسين عليها واقتنائها. وكانت هذه الكتب تتناول شتى فروع المعرفة والخط وعلوم القرآن وتفاسيره واللغة العربية والشعر والرحلات والسير والتراث والمصاحف وغيرها من آلاف عناوين الكتب وهكذا استمر الوضع في تناول الكتب عبر القرون.

أريد أن أورد هنا مثالا بسيطا في تداول الكتب العلمية بين الأمصار في البلدان الإسلامية عبر القرون، فإن عبد اللطيف بن ملك (ت: 801هـ 1417م) ألف كتابه الشهير بـ «شرح المنار» وأنه استفاد في تأليفه من «التلويح» للعلامة سعد الدين التفتازاني. (ت:792هـ 1398م) والشيء الملفت للنظر هنا أن العلامة التفتازاني نشأ وعاش في منطقة «ما وراء النهر» و«ابن ملك» عاش في مدينة «تيره - Tire» الواقعة في غرب أناضول بمنطقة «أجه - Ege» وبينهما مسافة بعيدة، مع العلم أن بين تاريخ وفات العالَمَيْن بضع سنين فقط. وهنا يتساءل الإنسان؛ ففي هذا الوقت اليسير كيف انتقل الكتاب المؤلَّف في ما وراء النهر إلى أناضول رغم بعد المسافة وعدم قلة إمكانيات المواصلات والاتصالات، فعليه يمكن القول بأن الاتصال العلمي كان أقوى وأسرع من الاتصالات المادية.

لقد شاهد المسلمون وغيرهم في الآستانة عاصمة الدولة العثمانية عملية تسمي بـ " أحجار الصدقة " وهي صخرة من الرخام تصل طولها إلى مترين وفي وسطها ثقبة عميقة تسع وتمكَّن دخول يد واحدة فيها فالأغنياء من المسلمين يضعون صدقاتهم في ثقب الصخرة والفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافا يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، وهم يأخذون منها حسب حاجاتهم، لا يأخذ الفقير الواحد جميع ما يجده من الدراهم بل يكتفي بما يسد حاجته ويترك الباقي لمن يأتي بعده من الفقراء. وكانت

توضع هذه الأحجار في أماكن متعددة في البلد حسب حجم البلد من حيث الصغر والكبر. وقد ذكر أستاذ سهيل أُونْوَرْ إن أربعة من هذه الأحجار كانت موجودة في زمن السلطان محمود الثاني (توفي في 1839م) في استانبول(1).

والجدير بالذكر أن المسلمين أسسوا أوقافا خيرية من بينها أوقاف تشرف على الإنفاق على الطيور والحيوان. وقد ذكر السائح الإيطالي Amicis De Edmando أن المسلمين الأتراك يطعمون الطيور بخيراتهم(2). وقد أشار المشير Moltke Von في 1837م. إلى وجود المستشفي للقطط في حي اسكودار من مدينة استانبول. ونكتفي بذكر وجود المستشفي في مدينة «بورصة» " Bursa " الخاص بعلاج اللقلاق المعروف في عهد العثمانيين بـ " غُرَابَاءِ خَانَه لَقْلَقَانْ " (3) حقا، «الفضل ما شهدت به الأعداء».

وفي الحقيقة أن هذه الروح العالية كانت تنبثق من دين يصف المسلمين بأنهم: {ںںڻڻٹٹٹۂ} [البقرة: ٢٦٢] وأن الرسول الكريم قال لمن سأله: أرأيت الضالة تَرِد على حوض إبلي هل لي أجر أن أسقيها؟: قال:♂**نعم في الكبد الحراء أجر** (4).

إن المسلمين شاركوا مشاركة فعالة لتكوين حضارة رفيعة المستوى في العلم والتربية والثقافة منذ تحمل سيدنا ◘ الرسالة الربانية. وكانت

(1) Süheyl Ünver, Hayat Tarih, yıl: 1967, sayı: 11

(2) Edmando De Amicis, İstanbul 1874, trc. Beynun Akyavaş, Ankara, 1981, s.133

(3) Büyük Türkiye Tarihi, Yılmaz Öztuna,10/321; 11/278-280.

(4) مسند، أحمد بن حنبل، 175/4.

شعلة العلم بيده الشريفة تنير طريقه وطريق المسلمين لأنه هو النبي الذي أول ما نزل عليه من كتاب الله: {چ} [العلق: ١] والكتاب المنزل عليه يحتوي على آيات كثيرة فيها لفظ «العلم» و«التفكر» كما أن في المصحف الشريف ذكر «العلم» في ثمانمائة وستة وسبعين موضعا بمختلف مشتقاته، و«الكتاب»في ثلثمائة وثلاثة عشر موضعا مع مشتقاته، و«الكاتب» في ستة مواضع و«القلم» و«الإملاء» و«القراءة» في أربعة مواضع، و«القرطاس» و«المداد» في موضعين، و«الرَّقٌّ» في موضع واحد. وكل ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على اهتمام الإسلام بالعلم اهتماما بالغا. ولا ريب أن الطريق الأمثل لتحقيق الحضارة هو العلم.

والحضارة لها مكانة ذات أهمية في الإسلام وصلة الإسلام بالحضارة قديمة جدا حيث أن محمدا ◘ أسس دولته في المدينة المنورة على أساس متين وهو الكتاب المنزل عليه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فالأخوة التي أسسها النبى الكريم بين الأنصار والمهاجرين لم يشهد العالم مثلها من قبل، لم يكن الإسلام والمسلمون أصحاب الهجوم والاعتداء على الآخرين حتى على أعدائهم إنما كانوا أصحاب الدفاع عن دينهم ووطنهم؛ لأن كثيرا من الآيات القرآنية تقر في طيات صفحاته: {ئبئىئىئدى} [البقرة: ١٩٠]، {ﮕﮖﮗﮘ} [آل عمران: ٥٧] لأن الإسلام دين يصف المؤمنين بأنهم «أمة وسط».

لعلّنا لم نخطئ إذا قلنا إن أشد الأخطار فتكاً بالأمة الإسلامية، تلك التي تصيبها من الداخل وتجعلها تعرض عن المنهج الوسط الذي دعا إليه الحق تعالى حيث يقول سبحانه: {ﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽ} [الأنعام: ١٥٣]، لأن كل ابتعاد عن النمط الوسط يولد التصدع والشرخ في كيان الأمة، وكلما كبر هذا الشرخ كثرت الفتن، وتشعبت الآراء الخاصة وتفككت العرى

والأوصال.

ومن هذه الثغرة بالتحديد استطاعت بعض الأمم وأصحاب الأفكار المسمومة أن ينفذوا إلى قلاع المسلمين ويتحكموا بمصائرهم وقدراتهم، وإلا لو كان الاعتدال حاكماً فيها والموزونية مسيطرة على مختلف أفعالها لعاشت الوحدة بكل معانيها ولتَهَيَّبَتْ بقيةَ الدول.

إن انعدام الوسطية أظهر الغلو في فهم الحقائق إفراطا وتفريطاً، وأولد تيارات وفرقاً سياسية وفكرية متطرفة يلعن بعضها البعض ويكفّر كلَّ أتباع طائفة، أتباع الطائفة الأخرى، فصرنا أشداء على إخواننا، رحماء على أعداءنا، أقوياء على من ساعدنا، أذلاء أمام من حاربنا. ولكي نقف على جذور السرطان الذي شل جسد الأمة الإسلامية، نرى من الضروري الرجوع إلى الاصطلاح والمفهوم لمعرفة الأصول اللغوية التي قام عليها هذا الاصطلاح، والمرتكزات الأولية التي قامت عليها القاعدة من نصوص قرآنية وأحاديث شريفة.

الآيات كثيرة في ذلك المجال لا يسع الوقت إيرادها جميعاً إنما أكتفي بذكر محل بعض الآيات في القران.

(البقرة: 201، الأعراف: 31، الإسراء: 29 ، 110، الفرقان: 67، القصص: 77، لقمان: 18).

وقال رسول الله ◘ وهو يدعو ربه:♂**وأسألك القصد في الغنى والفقر**ـــ[1] وروي عنه ◘ أنه قال:♂**يا أيها الناس عليكم بالقصد**ـــ[2] وروي أيضا:♂**أن من أحب الأمور إلى الله القصد في الجدة**ـــ [1]

(1) المجتبي من السنن، النسائي،54/3 ؛ مسند، أحمد بن حنبل، 264/4.
(2) السنن، ابن ماجة القزويني،1417/2.

والرسول أسوة حسنة يسأل ربه ويدعوه القصد حتى في الغنى والفقر. ويقول الإمام على كرم الله وجهه: " الاعتدال خير والإفراط شر " (2) وجاء عن الإمام الصادق: " إن القصد أمر يحبه الله عز وجل وأن الإسراف يبغضه " (3) ولا يخفى أن القصد هنا: بمعنى الطريق الوسط المستقيم، والاقتصاد: رعاية الوسط الممدوح في جميع الأمور، وترك الإفراط والتفريط في جميع المسائل الدينية والحياتية.

والوسطية مطلوبة في جميع الأمور؛ وسطية بين التكالب على الأكل والشرب وبين ممارسة الرياضات المهلكة والانقطاع عن الغذاء، ووسطية في اللباس بين ما يوجب شهرة بالجودة وشهرة بالرذيلة، ووسطية في العلاقات الإنسانية، بين التصلب والليونة، لا تكن لينا فتعصر ولا يابساً فتكسر، ووسطية بين الحب والبغض فإذا أحببت فلا تفرط وإذا أبغضت فلا تشطط، ووسطية في البعد والقرب عن الناس، ووسطية في السلوك بين التباطؤ والهرولة، أو بين خفض الصوت وارتفاعه، ووسطية أيضاً حتى عند القراءة في الصلاة بين الجهر والإخفات.

ونلاحظ في صفة الأمة المحمدية أنهم «أمة وسط» إنه يمكن أن يكون المراد بالأمة الوسط من كان بتلك الصفة من أفراد الأمة، لأن كل عصر لايخلو من جماعة هذه صفتهم، ولو خليت قلبت. وعلى هذا إذا كان المراد بالوسط المعنى الأعم فهذا يشمل كل من التزم بالوسط قولا وعملا من أهل القبلة.

وفي ختام كلمتي أريد أن أشير إلى ظاهرة بدأت تشيع في الغرب

(1) مصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، 174/7.
(2) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج11 ص217.
(3) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج6 ص205.

وانتشرت منه إلى أوساط مختلفة، وهذه الظاهرة تشوه صورة الإسلام الحقيقية وهي أن في الآونة الأخيرة بدأت تنتشر في وسائل الإعلام السمعية والمرئية والمقروئة من حين لآخر مفهوم «الإسلام دين إرهاب» أو «الإرهاب الإسلامي». لاشك أن الإسلام بريء من ذلك وبعيد كل البعد لأنه دين سلام وسماحة.

والقرآن الكريم حافل بدعوة المسلمين إلى التسامح، فلم يمنع المسلمين من البر بغير المسلمين ما داموا في سِلْم وحسن صلة مع المسلمين. قال تعالى:

{چ چ چ چ چ چ چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ
ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ
گ گ گ
گ گ گ گ گ گ گ ں ںڻ ڻ ۀ ۀ ۀۀ}

[الممتحنة: ٨، ٩].

وأمر الإسلام بالرفق في الدعوة إليه، وأمر بمناقشة المخالفين بالحسني. قال تعالى:

{ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھھ ے ے ۓ ۓۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ
ۇ ۆ ۆۈ ۈ ۇ ۋ ۅ ۉ }

[النحل: ١٢٥] وقال أيضا: {ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ
پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ}

[العنكبوت: ٤٦].

وبين الله عز وجل للنبي أنه مكلف بأن يبلغ الدعوة ويبشر بالإسلام، وأنه ليس بمكلف بأن يحمل الناس عليها بالقوة. حيث يقول الله تعالى في

ذلك:

* {ۋ ۅ ۅ ۉ ۋ} [الغاشية: ٢١].

* {ې ې ې ې} [الغاشية: ٢٢].

* {ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ} [يـــونس: ٩٩].

* {ي□□□□□□□□□□} [البقرة: ٢٥٦].

* {ں ڻ ڻ ڻ ڻ} [الإسراء: ٥٤].

وأمر الله النبي أن يجير المشرك إذا لجأ إليه واحتمي به، وهذه سماحة ما بعدها سماحة: {ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى} [التوبة: ٦].

وأمر الله المسلمين بأن يوفوا بعهودهم لمن عاهدوهم سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من المشركين. قال تعالى: {ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ} [الإسراء: ٣٤] وقال أيضا: {ژ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ} [النحل: ٩١] وقال أيضا: {ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ} [التوبة: ٤].

وحض النبي ▫ على التسامح وحببه إلى المسلمين بقوله وفعله حيث قال: " من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة " (1).

وأمر ▫ بأن لا يجبرْ أحد من النصارى أو اليهود على ترك دينه فقد كتب إلى عامل له في اليمن:♂**من كان على يهودية أو نصرانية فلا يُرَدُّ عنها**ـــ(2).

(1) السنن، أبو داود، 187/2.
(1) مجموعة الوثائق السياسية، د. محمد حميد الله، ص: 175.

وأظهر رسول الله وخلفائه وقواد المسلمين سماحة الإسلام فيما عقدوا من صلح مع البلاد التي فتحوها. أترك ذكر الأمثلة في هذا المجال كيلا أطيل عليكم.

وأخيراً أقول أن الحضارة الإسلامية نشأت وتطورت في ظل هذه السماحة والمبادئ الخالدة الكفيلة لسعادة الدنيا والآخرة. ولا علينا إلا السعي لتقدم الحضارة الإسلامية وازدهارها أكثر فأكثر، علينا السعي وعلى الله النجاح.

* * *

دور الزهاد الأوزبك
في نشر الإسلام
في الأناضول

دور الزهاد الأوزبك في نشر الإسلام في الأناضول

أ.د.محمد آق قوش
رئيس قسم الآداب الإسلامية التركية
كلية الإلهيات جامعة أنقرة

عندما دخل الأتراك أراضي الأناضول في القرن الحادي عشر الميلادي، بدأوا يختلطون بالمعتقدات الدينية والثقافية للأهالي الذين اختلطوا بهم في تلك المناطق الاستقرارية الجديدة التي وفدوا إليها. ولم تكن جهود هؤلاء الساكنين الجدد الوافدين إلى المنطقة مركزة في المجال الزراعي وتربية الماشية فحسب، بل كانت أيضا مركزة في مجال تأسيس حضارة جديدة. خلاصة القول لقد وفد الدراويش المتصوفة والعلماء والمجاهدون من الأراضي الموصوفة تاريخيا بديار خوراسان إلى الأناضول من أجل تلك الغاية. لاسيما وأن الإسلام كان قد استقر بشكل جيد بين الأتراك قبل قدومهم إلى الأناضول. وسُجلت تقدمات كبيرة وعظيمة في مجال العلوم المثبتة في مدارس تلك الفترة. هذا إلى جانب حث العديد من المتصوفة مريديهم الذين تربوا على أيديهم على التوجه إلى الغرب أى إلى الأناضول.

ونتيجة لتلك الهجرة التي - بدأت بتأثير بعض الأحداث السياسية - قام بها رجال العلم والفضل، اتصل هؤلاء الرجال بمجالات خدمية جديدة في العديد من مدن الأناضول. وحتى إن لم

يتسنى للعديد من الشخصيات المشهورة في ديار خوراسان الهجرة إلى الأناضول، فقد شارك مريدوهم في تلك الحركة. ويذكر عمر لطفي بارقان الذي كتب مقالة مفصلة عن النشاطات التي قام بها هؤلاء الدراويش والدور الهام الذي لعبوه في نشر الإسلام في الأناضول، فيقول:

وفد الكثير من المتصوفة المجاهدين من نواحي بلخ وبخارى وخوراسان إلى الأناضول وتوطنوا به. ومنهم الشيخ أبدال مراد الذي كان من خوراسان وشارك في فتح بورصة، وقبره موجودا به. أما الشيخ أبدال موسى فكان من مريدي اليسوي. وقد وفد الأناضول مع حاجي بكتاش. أما أمير سلطان فهو حسيني النسب، ولد في بخارى ونشأ بها. والشيخ جيكلي بابا سلطان من مريدي اليسوي أيضا[(1)].

ويمكننا الآن ذكر بعض الشخصيات التي هاجرت من الشرق والغرب إلى الأناضول، وكان لها تأثيرا كبيرا في النهوض بإيمان وثقافة الأهالي:

أحمد اليسوي، محي الدين بن عربي، مولانا جلال الدين الرومي، السيد يحيي الشيرواني، لقمان البارندا، دده قارجين،

---

(1) “İstilâ Devrinin Kolonizatör Türk Dervişleri ve Zâviyeler” , Tasavvuf Kitabı, Kitabevi, İst. 2003, s. 141-191. Bu dervişlerin ve ilmiye mensuplarının nasıl çalıştıklarına dair geniş bilgi için bkz. Reşad Önügören, “Osmanlıda Sûfîlerin Farklı Toplum Kesimleriyle İlişki Tarzları” ,İslâm Araştırmaları Dergisi, 1999, sa.3, s.9 - 22.

وغيرهم.

وقد كان لرجال العلم والفضل والفكر من أهالي أوزبكستان خاصة دوراً مؤثراً في تغيير الحياة الثقافية والدينية للأناضول، وفي تعريف الأهالي بالحضارة الإسلامية، والنهوض بها. ويأتي على رأس الشخصيات التي كان لها تأثير كبير في جغرافية الأناضول، أحمد اليسوي ومريدوه، عاش اليسوى فترة في بخارى، ثم انتسب بالشيخ يوسف الهمداني، وبعد وفاة الشيخ يوسف، تولى أحمد اليسوى مهمة الإرشاد بعد أن أتم تحصيله المعنوي، وقد قام مريدوا أحمد اليسوى في أوقات مختلفة بنقل الحركة اليسوية إلى الأناضول. ويذكر الدكتور فؤاد كوبرلو أن هؤلاء المتصوفة اليسويين كان لهم مريدين في مرزيفون وطوقاد وبورصة[1].

ومن المتصوفة الذين هاجروا إلى الأناضول حاجي بكتاش ولي (1281 - 1338م) الذي تربى على يد لقمان بارندا أحد خلفاء اليسوى. وله تأثير في الأناضول والروملي. وبعد وفاته تأسست المدرسة البكتاشية.

ومن الشخصيات الصوفية البخارية الأصل، وهاجرت إلى الأناضول حسن حسام الدين العشاقي. ولد العشاقي في بلدة تسمى (تبرك) ببخارى، وكان والده يشتغل بالتجارة. حصّل العلوم الظاهرية من والده. وقد رأى والده في إحدى الرؤى حيث قال له

(1) Ord. Prof. Dr. Fuad Köprülü, Türk Edebiyatı’nda İlk Mutasavvıflar, Diyanet İşleri Başkanlığı Yayınları, Ankara 1991, s. 174-180.

“ إن التجارة من الأعمال الشاقة التي لا تفيد، وهي من الأعمال غير المفيدة لأهل الحقيقة، فإن كنت تريد أن تحصل على السعادة الأخروية، فاصرف وجهك عن كل الأعمال الدنيوية. وكن طالبا للشيخ أمير أفندي الموجود بقرية عشاق بالأناضول. وخذ عنه العلم المعنوي “.

والشيخ أمير أفندي المذكور واحدا من العلماء والفضلاء، عُرف باسم أحمد السمرقندي، وقبره يقع بقرية قباقلي بناحية عشاق.

أتم حسن حسام الدين أفندي تحصيله هناك، وبعد وفاة الشيخ أحمد السمرقندي تولى بعده مهمة الخدمة، وهو ما فتح له الطريق للتدريس والإرشاد في المحافظات المجاورة. وفي تلك الأثناء التقى الأمير العثماني مراد الثالث الذي كان واليا على مانيسا في ذلك الوقت، وبعد أن أصبح مراد الثالث سلطانا على الدولة العثمانية، دعاه إلى الحضور إلى استانبول، وأمر بتأسيس مسجدا وتكية ومقر يقيم فيه، توفي الشيخ حسام الدين أفندي أثناء عودته من رحلة الحج عام 1593م، وكان له الكثير من المريدين الذين كان لهم تأثيرا كبيرا في المجتمع التركي لعدة عصور[1].

كان السلطان محمد الفاتح سلطانا يشعر بالاهتمام لرجال العلم والأدب والدين، وكان يدعوهم إلى استانبول، ومن بين هؤلاء العلماء عالم الفلك المشهور علي قوشجي السمرقندي الأصل. حضر هذا العالم المشهور في مجال الرياضيات والفلك إلى

(1) Bkz, “Husâmeddîn-i Uşşâkî” , (Doç. Dr. Mehmet Akkuş), Sahâbeden Günümüze Allah Dostları, Şûle Yayınları, İst. 1995, c.8, s. 134 -136.

استانبول بناء على دعوة الفاتح له. وتربى على يديه الكثير من الطلاب، توفي عام 1474م.

ومن المتصوفة المشهورين الذين كان لهم تأثير كبير في المجتمع التركي والعثماني لعدة عصور، الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندي البخارى الأصل (1318 - 1389م). ولا تزال تأثيرات الطريقة التي تنتسب له موجودة إلى الآن. وتم طبع الأوراد الخاصة به المسماة الأوراد البهائية عدة مرات، وتم عمل شروح وترجمات لها[1].

أظهر الفاتح محبة كبيرة لأهل التصوف، وخاصة للمنتسبين للشيخ عبيد الله الأحرار، كما أمر بإنشاء تكية في استانبول للشيخ خوجه إسحاق البخارى[2]. أما المولا إلهي الذي جلب الطريقة النقشبندية إلى استانبول، فبالرغم من كونه سيماويا الأصل إلا أنه أتم تحصيله المعنوي على يد الشيخ عبيد الله الأحرار في سمرقند، ثم عاد إلى سيماو مع خليفته السيد أحمد البخارى، وظلا هناك فترة.

وقد استقر أحمد البخارى في استانبول في عهد السلطان الفاتح، أما مولا الإلهي فقد وفد إليها بعد وفاة الفاتح.

وقد أُنشئت تكية أخرى في استانبول للشيخ أمير أحمد البخارى (توفى 1516م). ومن المتصوفة الذين ولدوا في طشقند ووفدوا

(1) Bu eserin son tercümesi : Evrâd-ı Behâiyye - Muhammed Behâeddîn-i Şâh-ı Nakşıbendî, (Yayına Hazırlayan: Prof. Dr. Mehmet Akkuş), Nasihat Yayınları, İstanbul - 2007.

(2) Bkz. Kâsım Kufralı, “Molla İlâhî ve Kendisinden Sonraki Nakşıbendiye Muhiti” , Tasavvuf Kitabı, (Hazırlayan Cemil Çiftçi), Kitabevi - İstanbul 2003, s. 42 - 64)

إلــى اســتانبول أيضــا خوجــه فضــل الله أفنــدي حفيــد عبيــد الله أحــرار. ونــود هنــا أن نــذكر بعــض المعلومــات عــن رجــال التصــوف الــذين هــاجروا مــن بخــارى إلــى اســتانبول مــن الكتــاب المشــهور ســفينة الأولياء لحسين وصاف[1]:

الشيخ مراد الأوزبكي النقشبندي:

نشــأ فــي بلــدة كشــمير أو كابــل. ولــد عــام 1055هــ/1645م. زار الحـرمين الشـريفين، ثـم ذهـب إلـى الهنـد، وبعـد أن حصـل علـى الإنابـة مـن الشـيخ محمـد المعصـوم مـن مشـايخ النقشـبندية ذهـب إلـى الحجـاز. وجـاور الحـرمين ثـلاث سـنوات. ثـم ذهـب إلـى بغـداد بعـد ذلـك. وبعـد أن زار الأعـزة الكـرام، ذهـب إلـى أصـفهان ومنهـا إلـى بخـارى. وبعـد أن تباحـث مـع مشـايخ بلـخ وسـمرقند، ذهـب إلـى بغـداد مـرة أخـرى، وبعـد أداء الحـج للمـرة الثالثـة ذهـب إلـى القـاهرة، ثـم عـزم النيـة علـى التوجـه إلـى الشـام، وفـي عـام 1681م جـاء إلـى اسـتانبول وكـان عمـره 37 عامــا، وأقــام بجــوار حضــرة خالــد خمــس ســنوات، وبعــد فريضــة الحـج الرابعـة ذهـب إلـى الشـام، وفـي المـرة الخامسـة لأداء الحـج أقـام بمكة سنة، وشرّف استانبول مرة أخرى عام 1708م.

وقـد اختـار الإقامـة فـي منـزل بيجـاقلي أفنـدي بحـي السـلطان سـليم. ولأن الأهــالي كــانوا يتســابقون ويتزاحمــون لزيارتــه،لم يُسّــر جورلــو علــى باشــا مــن ذلــك، فــأمر الشــيخ بالإقامــة فــي بورصــة. ثــم دعــاه بعــد ذلــك إلــى اســتانبول. وظــل باســتانبول ثــلاث ســنوات، حتــى تــوفي ليلــة

(1) Sefîne-i Evliyâ-yı Ebrâr, c. I-V (Yayına hazırlayanlar: Prof. Dr. Mehmet Akkuş, Prof. Dr. Ali Yılmaz), Kitabevi Yayınları, İstanbul 2006.

الثلاثاء الموافق 12 ربيع الآخر 1132هـ.

عبد السلام قاضي خان:

ولد في قصبة طمن قان ببخارى، وفد إلى بورصة في تشرين الثاني 1316 الموافق يناير 1901م. تشرف بزيارة مكة والمدينة. وعرض انتسابه على الشيخ محمد الفقير أفندي شيخ تكية بخارى في مكة والمروة في عام 1896م. وبعد فترة قصيرة نال شرف الخلافة.

أقام الشيخ في منزل بالإيجار بالقرب من جامع الغازي خداوندكار في بورصة. وقد تشرف المحرر الفقير بزيارة خاصة له.

كان الشيخ حليما سليما عابدا زاهدا مكرما متواضعا، لا يذهب إلى التجمعات كالمراثي والموالد ويقول إنها بدعة. كان خفيف الظل. عندما كان في بورصة كان الشيخ السنوسي يصاحبه دائما.

يقع قبره في الجبّانة المجاورة لقرية قره كوز في الناحية المواجهة لقبر مولدي سليمان جلبي على طريق جاكيرجه.

له مريدون كثيرون للغاية في البلدان الكبرى، كان يكرم كل من يزوره بالشاي، وكان مواظبا على الصلوات الخمس في جماعة.

السيد أحمد بن محمد البخارى الحسيني:

اسمه أحمد، بخارى الأصل، وحسيني النسب، ولد عام 1445م. في بادئ الأمر التقى الشيخ عبيد الله أحرار، وتذكر الشقائق أنه كان مصاحبا لعبيد الله. وانتسب بالشيخ عبد الله الإلهي بأمر الشيخ أحرار. كان لقائه بالشيخ عبد الله الإلهي في بخارى. وعندما عزم عبد الله الإلهي على العودة من بخارى إلى الأناضول، ترك أحمد البخارى ماله وعياله في بخارى، وهاجر مع الشيخ، ووفد إلى قصبة سيماو، وظل معه عدة سنوات، وهناك

أكمل أحمد البخارى تعليمه الصوفي.

كان الشيخ الإلهي يحب أمير البخارى حبا جما، حتى أنه كان يفتخر بقوله كان السيد البخارى قد أمرنا بأن نقيم صلاة الفجر بوضوء العشاء لمدة ست سنوات. ذهب الأمير البخارى إلى الحرمين الشريفين عبر القدس. ولما توفي الشيخ جلس أحمد البخارى على مقام المشيخة في استانبول.

ويعد أحمد البخاري هو أول من أسس تكية للنقشبندية في استانبول، وأنشأ في أيكرى قابي نُزل ومسجد وزاوية. واشتغل هناك بإرشاد العباد، وشعر الشيخ بميل لأن يكون بالقرب من الفاتح، فشرع في تأسيس تكية في حي يقع بالفاتح، ونجح مريدوه في تأسيس الغرف. ونقل الشيخ مقر إقامته إلى هناك. وكان يفد إلى التكية أناس من كل الجهات، وكان يفيض على كل من يأتي على حسب استعداده.

وقد رأيت ديوان صغير لأمير البخارى. وهو باللغة التركية. وقد عثرت عليه بزيل الكتاب المسمى الرسالة التركية لحضرة سنبل أفندي الموجود في قسم التصوف بمكتبة عاطف بك في وفا برقم 1398.

وسنذكر بعض الأبيات منها تبركا:

نحن العشاق حقا بين الناس

نحن الوحيدون الذين عرفنا الحق

شعرنا بالقدر من العشق

وصلنا إلى الحق، قلبنا البخارى

ولما وصل أمير البخارى الثالثة والستين من عمره توفاه الله يوم

الإثنين من شهر جمادى الآخر عام 922هـ.

أبو عبد الله محمد السمرقندي:

هو الخليفة الخامس لأحمد الجورياني. أتى إلى استانبول، وتوفي في أسكدار. تاريخه (1116هـ) وهو مدفون في الصف المواجهة لقبر قره أحمد. وقبره مزار لأهل الطريقة، وقد خرج نجار زاده من هذا الفرع. وشيخه عرب زاده محمد علمي أفندي من خلفاء الشيخ المشار إليه. وكان شيخا لتكية في شمسي باشا.

السيد أحمد البخارى:

يوجد شخص باسم أحمد البخارى آخر. وللتفريق بينه وبين أمير البخارى يقولون له أحمد البخارى. كانت تكيته في يشيل طلومبا المجاورة لأون قباني باستانبول. أتى من بخارى إلى استانبول في عام 950هـ أو 960هـ. عاش في المنازل الموجودة بالحي المدفون به اليوم.

كان مظهرا لحرمة واحترام العلماء والمشايخ.

توفى عام 994هـ (1586م) وقد دفن في المنزل الذي عاش فيه بناء على أمر السلطان. وأُسس ضريحا على قبره.

أمير سلطان:

بخارى الأصل، اسمه محمد شمس الدين البخارى، ولقبه أمير سلطان، وقد ذكر المرحوم كمال الدين حريري زاده أفندي في كتابه (تبيان الطريق) أنه كان ينتسب للطريقة النقشبندية، وأن والده هو الشيخ السيد محمد أو محمود نور بخش. كان نور بخش هو الشيخ الثاني في الطريقة. ويتصل بنجم الدين الكبرا في سلسلة الطريقة بسبعة طرق.

ويقال أنه عندما ذهب من بخارى إلى المدينة المنورة، وقف أمام

الروضة المطهرة وقال (السلام عليك يا جدي) فرد عليه النبي ◘ (عليك السلام)، ويقال إن عدة أشخاص كانوا واقفين سمعوا رد السلام، وهي مدرجة في كتب المناقب. وبعد زيارته للروضة المطهرة، حدثت له إشارة نبوية مطهرة
" بأنه يتعقب نور قنديل سيظهر أمام عينه، ويقيم حيث يكون هذا النور ". تعقب أمير سلطان النور فذهب إلى مدينة بورصة، وأقام هناك، وقال إني مأمور بالإقامة في المكان الموجود فيه النور.

عندما وفد أمير سلطان إلى بورصة كان العهد عهد يلدريم بايزيد. ويذكر المرحوم جودت باشا في كتابه قصص الأنبياء وتاريخ الخلفاء أنه عندما أتي إلى بورصة درس كتاب مفتاح الغيب لصدر الدين القنيوي على يد المولا فناري.

ويذكر جودت باشا عنه " أنه كان على علم بعلوم الظاهر والباطن، وكانت له كرامات ظاهرة، وأظهر له أهالي بورصة حبا كبيرا. واشتهر باسم أمير سلطان ".

حتى السلاطين العثمانيين كانوا يقدرونه ويعتبرونه بسبب كراماته. وكانوا يتبركون به، حتى أنهم كانوا يطلبون منه الدعاء عندما يخرجون في حملة. حتى أنه كان يقلدهم السيف. وقد قلد يلدريم بايزيد السيف.

ويذكر المرحوم جودت باشا في كتابه قصص الأنبياء عن جامعه
" يروى أن بايزيد خان عندما كان يعاين بناء الجامع الشريف مع أمير سلطان، قال له أمير سلطان، لقد أُسس الجامع بشكل جيد

ومستحسن، ولكن إذا بنيت أربعة خمارات في زواياه الأربعة سيكون أفضل، تعجب بايزيد خان من قوله، وقال إن الجامع بيت الله، هل يعقل أن يبنى بجواره خمارة، فقال له الشيخ يا سلطاني إن بيت الله قلب المؤمن، فلماذا تحقرون قلبكم بالمحرمات والشراب، فتنبه السلطان لقوله، وتاب عن كل المحرمات والشراب ".

وللأمير سلطان كرامات كثيرة، كُتبت في كتب المناقب. توفى عام 833هـ (1429م). وغسّله حاجي بيرام الولي شيخ الطريقة البيرامية. وأُسس ضريح على قبره، وقد تم ترميمه في عهد السلطان عبد العزيز، وهو ضريح عامر بالزوار. وقد بني بجوار الضريح في الجهة المقابلة للقبلة جامعا ذا منارتين. وتم ترميمه بالكامل في عهد السلطان سليم الثالث.

وهذا جزء من بعض أبيات أمير سلطان:

عندما لا تنفتح مدينة القلب يجد المسلمون ملال
وإن من ينظر إلى تلك الدنيا العجيبة يجد غرابة كثيرة
نُشر الماء على الأرض ثم صعد إلى سماء الشريعة
وعلامة القيامة انهدام هذه الدنيا بالظلم
وحينئذ لن يكون هناك قاضيا أو مفتيا
ولن يكون هناك اعتقاد أو إيمان

على دده:

من القادمين من بخارى مع حضرة أمير سلطان، كان من كبار أولياء الله، يوجد قبره في مكان قريب من حائط المنزل الذي كان يقيم فيه بالقرب من تكية أشرف زاده في حي إنجيرليجه في بورصة. كان يرى أشياء خارقة للعادة بسبب قربه للحق.

السيد ناصر الدين البخارى:

أتى من بخارى مع حضرة أمير سلطان، كان من كبار أولياء الله، له كتاب باسم سعادت نامه، قبره مزار مشهور للعاشقين يقع في مكان قريب من الهضبة في بورصة.

السيد أصول البخارى:

أتى من بخارى مع حضرة أمير سلطان، يقع قبره على الطريق عند الخروج من محلة اليهود في بورصة. وهو مزار مشهور، ثمة صلة قرابة بينه وبين أمير سلطان، أسس تكية، وتُجرى بها اليوم المراسم على الأصول القادرية. والشيخ عبدي أفندي من أهل الحال، التقتيت به، وقد زاد عدد زوار التكية لأنه خصص يوما للعاشقيين.

أجه سلطان:

أتى مع أمير سلطان، وهو من أرباب الكرامات، وكان دائم الذكر مع أمير سلطان، حتى أنه كان بمثابة العبد له، وإذا كان العبد على هذه الدرجة فما بالنا بدرجة أمير سلطان.

الشيخ أدهم أفندي شيخ الأوزبك:

كان شيخ تكية الأوزبك في أسكدار. كان بخاريا من وراء النهر. توفي عام 1316/ 1898م عن عمر يناهز الخامسة والسبعين عاما. كان صاحب باعا طويلا في الفنون. وقد نالت أعماله التي صنعها بيده شهرة في معرض باريس العام. ومُنح ميدالية المعرض. مدفون في تكية الأوزبك في أسكدار.

وقد طلب منه ثريا باشا رئيس المابين الهمايوني أن يصنع له قنديلا ليكون معينا له على الاطلاع ليلا، فصنع له الشيخ شمعدانا غاية في

الجمال، لذا أمر سلطان العصر بترميم وتجديد التكية كاملة. كان الشيخ يحب حياة الانزواء، ولأن كل شخص كان يحبه، فقد كان شعراء وعلماء وظرفاء أسكدار يأتون إليه كل يوم جمعة للاستفادة منه.

أفاده الله من رحمته، آمين، وقد كانت نسبته إلى الطريقة النقشبندية من بخارى.

يعقوب خان:

من بخارى، وهو ابن أخت يعقوب خان أمير قاشغر الذي أعلن الاستقلال عام 1280هـ/ 1863م. وهو سيد النسب. ذهب إلى استانبول بناء على تكليف من يعقوب خان، ليعرض المعلومات ويظهر التعظيم للسلطان عبد العزيز. وفد إلى استانبول للمرة الثانية في ربيع الأول عام 1292هـ/ 1873م في مهمة خاصة. وقد مُنح وسام في تلك الزيارة.

كان يعقوب خان قد أتى إلى استانبول في مهمة خاصة قبل تلك الزيارة الرسمية. وفي أول زيارة له اختار الإقامة في الفاتح، وكان على الطريقة النقشبندية، وذلك ليتسنى له ملاقاة المشايخ الكبار، وزار قبور كبار المشايخ بمعرفة بكير أفندي خادم قبر الفاتح، والتقى الشيخ الحاج فيض الله أفندي العالم المشهور في ذلك الوقت.

ولأنه كان يرغب في ملاقاة شيخ آخر متكلم في مشرب آخر، وجد الشيخ حمامي توفيق أفندي الذي وجد فيه ما يرغب، ووجد عنده حل للأسئلة التي عنده. وبعد وفاة الشيخ حمامي أفندي ظل يعقوب خان في استانبول عامان ثم عاد إلى بلدته، وفي تلك الأثناء التقى مصطفى بك، ودارت بينهما محادثات كثيرة، وهذا يعني أن أول قدوم للشيخ يعقوب خان إلى استانبول كانت قبل عام

1283هـ. وكانت عودته في عام 1285هـ.

كان يعقوب خان متبحرا في علوم العربية وآدابها، وآداب الفارسية، كان هاديا صالحا، ولي السمات، جمع في نفسه الأخلاق الحسنة، كان عالما ومرشدا كاملا، كان يتجول بالزي البخاري، وعندما يذهب إلى تكية بخارى كان يلبس العمامة البيضاء، وخرقة بخارى، وقد التقيت بمن كانوا يصاحبونه، وكانوا لا يملون من الحديث عن أخلاقه وسماته الحسنة وروحانيته. كان حليما، سليما محبا للفقراء، متمسكا بشدة بالسنة، بشوشا، من يراه يحبه، كان يجلس دائما على ركبتيه، ويصلي في جماعة، وكان محبوه لا يملون من وصف حاله وهو في حلقة الذكر.

أعماله:

ترجمة باسم تحفة الإخوان لرباعية المولا جامي.

شروح مكملة على لمعات العراقي، ورموز شهاب الدين السهروردي.

شروح على فصول الحكم. طُبع في الهند.

تفسير للقرآن الكريم.

مكتوبات هامة للغاية.

حسن حسام الدين العشاقي:

ولد عام 880هـ/ 1475م في بخارى، توفي عام 1001هـ. ويذكر مستقيم زاده في رسالته التاج أن وفاته كانت عام 1003هـ. أى أن عمره كان 121. جاء إلى استانبول بناء على دعوة السلطان مراد الثالث عام 982هـ / 1574م. ذهب إلى الحجاز عام 1000 هـ / 1592م.

درجة تحصيله وأعماله:

من المتفق عليه بين الأولياء أنه كان كامل التحصيل، اجتهد في الطريقة العلية الخلوتية. وهو مجدد الطريقة الخلوتية العشاقية التي تسمت باسمه. له إضافة على ورد الستار الذي يعد ورد الخلوتية الرئيسي، وبخلاف هذا له أوراد أخرى مختلفة هي الورد الكبير، وحزب التسبيح، والأحزاب الأسبوعية.

وله كتاب يضم أدعية مباركة وأنواع الصلوات الشريفة. وهو عمل من وحي الإلهام بالكامل. كانت سنحاته المباركة عالية لتلك الدرجة. ولا شك أن هذا كان نابعا من العلم اللدني وليس من العلم الظاهر. وكما كان هذا الشيخ عبارة عن منحة من الله تعالى للمنتسبين إلى الطريقة الخلوتية العشاقية، فإن قراءة أوراده بإخلاص تام كانت شفاء لكل داء.

* * *

العلاقة بين أقسام العقل وطبقات المجتمع عند الفارابى

العلاقة بين أقسام العقل وطبقات المجتمع عند الفارابى

د. مجدي زعبل

يعتبر الفارابي أول فيلسوف مسلم يسعى إلى التوفيق والربط بين الفلسفة السياسية والإسلام ويجعلها مفهومة عقلا في نطاق الدين وهو يقدم من خلال كتابه الأشهر " آراء أهل المدينة الفاضلة " تصور عام عن سبل تحقيق السعادة عن طريق الحياة السياسية والربط بين النظام السياسي الأمثل كما قدمه أفلاطون والرؤية الاجتماعية الأوفق لضمان سلامة النظام السياسي والبناء الاجتماعي معا.ولمزيد من الشرح يمكن تلخيص الأمر على النحو التالي، يقسم الفارابي مواطني الدولة إلى ثلاث طبقات:

1 - طبقة الحكماء والفلاسفة الذين يعرفون طبيعة الأشياء بالبراهين.

2 - أتباع الطبقة الأولى الذين يثقون باستبصار الحكماء ويقبلون حكمهم.

3 - باقى المواطنين الذين يعرفون الأشياء بالتشبيه والتمثيل فحسب.

ثم يعبر عن هذا المعنى بإيجاز فيقول: وحكماء أهل المدينة الفاضلة هم الذين يعرفون الأشياء ببراهين وبصائر أنفسهم ومن يلى الحكماء يعرفون هذه على ماهى عليه موجودة ببصائر الحكماء اتباعا لهم وتصديقا لهم وثقة بهم والباقون منهم يعرفونها بالمثالات التي تحاكيها، ولقد تعمدنا تأخير نص الفارابى كما ورد في كتابه " آراء أهل المدينة الفاضلة " لنبين

الفرق في ناصية البيان والقدرة على استخدام اللغة وتطويع المعنى كأبلغ مايكون،لقد احتاجت العبارة السابقة إلى أن نفصلها إلى ثلاث طبقات حتى نستوضح المعنى ـ على تعقيده ـ كما صاغه الفارابى منذ عقود مضت،هذا بالنسبة لطبقات المجتمع.

أما بالنسبة لأقسام العقل فهو يقسم العقل الإنسانى إلى عقل عملى وعقل نظرى،ثم يقسم العقل النظرى إلى عقل بالقوة وعقل بالفعل وعقل مستفاد، وربط بعد ذلك العقل المستفاد بالعقل الفعال لكى تحصل المعرفة الإنسانية، والمعنى هنا أن ثمة علاقة ـ ستتضح فيما بعد ـ بين مستويات العقل بدونها تستحيل المعرفة الإنسانية ولابد من التوقف هنا أمام عبارة المعرفة الإنسانية ولم يقل مثلا التطور الإنسانى لأنه هنا يتحدث عن العقل النظرى المجرد والعقل وظيفته المعرفة في حين يبقى التطور مهمة المجتمع بطبقاته المختلفة.

ويرى الفارابى أن كل عقل من العقول المذكورة ينزع به الشوق إلى العقل الذي فوقه في الدرجة، والمعنى هنا إيجازى وإيحائى في نفس الوقت (حيث إن الشوق هنا تعبير إنسانى مرتبط بمشاعر اجتماعية أو إنسانية غالبة) وهو يتحدث عن العقل والعقل النظرى على وجه التحديد، وفى حين تكون حركة العقل محددة في إطار الفكر تكون حركة الشوق من أسفل إلى الأعلى هى حركة طبقات اجتماعية في الأساس، فإذا كان الفارابى قد ربط مفهوم الشوق بحركة العقل فهو يقصد عن يقين ارتباط العقل بطبقات المجتمع وهو ما سوف يتضح في سياق البحث وإذا كان " هيجل " قد أقر الجدل وجدل الطبيعة على وجه التحديد قانونا للتطور فإن الفارابى قبل هيجل بعدة قرون قد وضع مفهومه المتكامل عن وحدة الطبيعة والإنسان وأقسام العقل وطبقات المجتمع مما جعل الفارابى

يتجاوز في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) الفلسفة إلى علم الاجتماع ثم تجاوزهما معاً إلى المفهوم السياسى للدولة والمجتمع ولعل ذلك يتضح بصورة جلية في مفهومه للعقل.

إن هذا التقسيم للعقل الإنسانى في مفهوم الفارابى لم يكن تقسيما مجردا بل مرتبطا - كما ذكرنا - بالإطار الاجتماعى ويتحرك في فضاءه كما يمكن تفصيله على النحو التالى " طبقة الحكماء والفلاسفة " تقابل بالمعنى " العقل بالقوة " وهذا يعنى - ضمن ما يعنى - أن معيار القوة لدى الفارابى هى قوة العقل أو الفكر الذي تكمن فيه القدرة على استنباط قوانين الطبيعة وقوانين حركة المجتمع وهذا في تقديرنا أيضا إدراك مبكر لمعنى ومفهوم الحكمة.

ثم إن الطبقة التالية التابعة لطبقة الحكماء تقابل بالمعنى " العقل بالفعل " وهى الطبقة المنوط بها تنفيذ وتطبيق القوانين التي استنبطتها الطبقة العليا " طبقة الحكماء " وذلك لأنها تثق فيها وتأخذ أحكامها بيقين فهى وإن كانت ليست مبدعة إلا أنها تتميز بالقدرة على التمييز وأعمال الفكر وهذا يفرقها بالضرورة عن طبقة " المواطنين " التي تقابل بالمعنى " العقل المستفاد ".

والسؤال هنا لماذا تقابل هذه الطبقة العقل المستفاد وليس العقل المتلقى؟ لأن المتلقى صفة سلبية على إطلاقها بينما المستفاد تحمل في مضمونها تقدير أدبى ومعنوى للمواطنين باعتبارهم محصلة القوة الاجتماعية وهم أيضا الغالبية العظمى التي تشكل قاعدة المجتمع ومن شأنها حق الاستفادة من القوانين التي ينبغى أن تسود المجتمع، غير أن الذي ينبغى إدراكه بوضوح هو أن علاقة جدل تتم بين الطبقات الثلاث

وهذا هو المعنى وتلك هى القيمة التي أراد الفارابى تأكيدها من فلسفة التقسيم إلى ثلاث طبقات فالإنسان لا يوجد خارج المجتمع والإنسان - أى إنسان - لابد له من موقع اجتماعى محدد ومن هنا نستطيع أن نقول إن الفارابى قد وضع الإنسان " قائدا للتطور " حيث أن العقل الإنساني هو محتوى " الفكر " وحيث أن الفعل الإنساني مناطه " الإرادة " وهما معا " الفكر والإرادة " يشكلان العلاقة العضوية بين العقل والفعل، وأنهما معا يميزان الإنسان قائدا للتطور وإذا كان العقل الأعلى يرفع الأدنى إليه بحسب الفارابى فإن ثمة خلاف نراه ضروريا هنا.. يقول الفارابى: " فيكون ما يفيض من الله تبارك تعالى إلى العقل الفعال يفيضه العقل الفعال إلى العقل المنفعل بتوسط العقل المستفاد ثم إلى قوته المتخيلة " وإذا صح ما ذهبنا إليه في الربط المنطقى بين طبقات المجتمع وأقسام العقل فإن العقل بالقوة " الفعال " هو المتلقى للحكمة الإلهية وهو القادر بحكم الخلق والفعالية لإدراك واستنباط القوانين الكلية التي أحكم بها الله طبيعة الكون وحركته وهو بالتالى صاحب رسالة ينقلها إلى المستوى الأدنى من العقل ومن ثم وجب التفريق بين قوة العقل وفعالية العقل حيث أنه إذا كان " العقل بالقوة ← العقل بالفعل ← العقل المستفاد فإن العقل المستفاد (الذي تمثله طبقة المواطنين) لا ينبغى له أن يكون وسيطًا بين العقل بالقوة والعقل المنفعل (طبقة المستبصرون بالحكماء) حيث إن الترتيب المنطقى الذي وضعه الفارابى يحتم تراتب طبقات المجتمع مع أقسام العقل.

واجتهادنا في هذه المسألة يمكن تلخيصه على النحو التالى: ينقسم المجتمع حسب الفارابى إلى ثلاث طبقات (علم الاجتماع) وينقسم العقل إلى ثلاث أقسام (علم الفلسفة)، يبقى علينا الربط بين طبقات المجتمع وأقسام العقل (علم المنطق)، إذن يقوم العقل بالقوة " العقل الفعال " عن

طريق أصحابه من الفلاسفة والحكماء باستنباط قوانين الخلق ويقدمونها شـــــــرحا إلـــــــــى طبقـــــــــة "المستبصرون بالحكماء" الذين هم في حقيقة الأمر "العقل المنفعل" الذين هم أيضا أصحاب الفعل المنظم من حيث إنهم يقومون بتهيئة النص وتبسيطه إذا لزم الأمر وتحويله إلى تشبيه ومحاكاة - إذا اقتضت الضرورة - وذلك كله من أجل أن يتمكن العقل المستفاد ويمثله "طبقة المواطنين" من إدراك النص واستيعابه وبهذا المعنى ربما يكون الفارابى أول من نظر للطبقة "المتوسطة" وأكد على قيمتها في سياق التماسك الاجتماعى (من منظور علم الاجتماع السياسى) ولمزيد من التوضيح نسوق وجهة نظر أخرى لعالم جليل آخر هو ابن رشد في نفس الموضوع لتبيان جلال الفكرة عند الفارابى.

لقد ذهب ابن رشد في تقسيمه لطبقات المجتمع إلى ما يلي:

1 - أهل التأويل اليقينى وهؤلاء هم البرهانيون (أصحاب البرهان والحكمة).

2 - أهل التأويل الجدلى (جدليون بالطبع أو بالعادة).

3 - الخطابيون (الجمهور الغالب).

وإذا نظرنا بدقة إلى تقسيم ابن رشد نجد أنه جمع بين أهل التأويل سواء اليقينى أو الجدلى وهذا الجمع قد قلل من نصيب السيادة لأهل البرهان في حين أن الفصل في اللغة والمعنى بين الطبقتين كان حاسما عند الفارابى والخطابيون لدى ابن رشد يمثل تعبيرا سياسيا فيما يبدو في حين أن هذه الطبقة عند الفارابى تمتعت بتعبير اجتماعى بامتياز.

رأينا إذا أن الفارابى في جملة واحدة أوجز فأوفى المعنى وأضاء لنا

طاقة نور في ذلك العصر المبكر (قبل ألف عام) تقريبا لعلنا ندرك ويتحول هذا الإدراك إلى إيمان حقيقى بقيمة العلم والعلماء آملين أن تبقى طاقة النور تلك دالة على المعنى ودليلا إلى التقدم لمستقبل مشرق نراه - على بعده - قريبا.

* * *

المحـور الثالـث

أوزبكستـــان قوة التاريخ وازدهار الحضارة

أوزبكستان على عتبة القرن الواحد والعشرين

أوزبكستان على عتبة القرن الواحد والعشرين.. تهديدات الأمن شروط الاستقرار وضمانات التقدم

عرض وتحليل:

أ.د محمد حرب
أستاذ في جامعة البحرين

المؤرخون هم أرباب الماضي، والاستراتيجيون هم بناة المستقبل، والسياسيون هم صناع الحاضر. ولأن الواقع هو النتيجة المباشرة للماضي، والأساس للمستقبل، فإن السياسيين والاستراتيجيين مدينون لأرباب التاريخ ومنظريه ومفلسفيه. وعندما تجتمع عظة التاريخ وعظمته في ذاكرة وفلاسفته إنسان يتطلع نحو مستقبل مشرق، ويدعمه في تطلعه ذاك مجموعة من العناصر الاقتصادية والتكنولوجية والاستراتيجية والجيوستراتيجية، والأكاديمية، وعندما تقف الأقدام راسخة على أرض الواقع لا تستخفها الأهواء غير الواقعية، بل هي مدركة لهذا الواقع ومكوناته، ومستوعبة لكل خلفياته ومحركاته، مطلعة على خيوط " اللعبة الدولية " بأسرارها وأستارها وخفاياها واتجاهاتها

إن الشخصية التي تجتمع لها كل العناصر السابقة، هي لا محالة أنموذج فريد من صناع القرار وراسمي السياسات، وقادة الشعوب بل فرسانه نحو انتصارات متتابعة من ماض عتيد إلى حاضر مجيد، ومستقبل فريد.

كانت تلك الكلمات مقدمة لابد منها؛ لأنها حقائق يستثيرها في نفسك وعقلك، هذا الكتاب الذي نحن بصدده: " أوزبكستان على عتبة القرن الحادي والعشرين " وهو ليس كتابا بالمعنى المفهوم موضوع محدد، وخطة معدة، ودراسة أكاديمية جافة الملامح إنما يفاجئك للوهلة الأولى في الكتاب ذلك الزخم الأكاديمي والسياسي والاستراتيجي، المفعم بروح الأصالة والتراث والمشاعر الدينية الصادقة، والروح الوثابة لرجال وفرسان آسيا الوسطى؛ الذين كانوا على مدار التاريخ الإسلامي علماء الدنيا والدين.

وربما إذا عرفنا لمحات من الخلفية التاريخية لمسيرة المؤلف، يتبين لنا مدى عمق الكتابات من خلال ثراء التجربة وأفق المعرفة. فقد عمل سيادته مهندسًا ميكانيكيًا، وأخصائيا اقتصاديا، ثم مخططًا في هيئة تخطيط الدولة، ووزيرًا للمالية، ونائبًا لرئيس مجلس الوزراء وسكرتيرًا للجنة المركزية للحزب الشيوعي. وهو عضو منتخب في عدة أكاديميات للعلوم بالعديد من الدول ألا وهو الرئيس إسلام كاريموف رئيس جمهورية أوزبكستان.

القسم الأول من الكتاب، والمعنون بـ " تهديدات الأمن ":

يتناول المؤلف ثلاثًا من القضايا الأمنية الحيوية هي:

- النزاعات الإقليمية.
- التطرف الديني والأصولية.
- التعصب القومي الإمبراطوري والعدوانية القومية.

- " النزاعات الإقليمية ":

والتي يصفها بأنها " مأساوية "، ويصف تأثيرها بأنه " مدمر "،

ويرفض المكاسب الناتجة عنه أيا كان نوعها لأنه لا يمكن بحال من الأحوال تبرير أى هدف عندما يوضع مصير ملايين البشر على حافة الهاوية.

وفي رؤية أمنية حذرة يدرك المؤلف أن تهديد أمن أوزبكستان في ظل الأزمات الإقليمية القائمة لا يعتبر فرضية، إنما هو " أمر ملحوظ "، وذلك أن هذه النزاعات لا تتجلى صورها وآثارها فقط في الصراع المسلح، وإنما أيضًا على كل جوانب حياة المجتمع في داخل الدولة وفي الدول المحيطة والمنطقة كلها. وهو ما يتبدى في الأزمة العسكرية ـ السياسية في أفغانستان، وكذلك عدم الاستقرار في طاجيكستان، ثم يتعدى المؤلف دوره الأكاديمي الراصد والمحلل، إلى الدور السياسي للمسئول والقائد قائلاً: " إن أوزبكستان التي وظفت كل الإمكانات المتوفرة لديها بشكل عقلاني في إطار سياستها الحكومية، وفي إطار استخدام المؤسسات الدولية قدمت وستقدم الدعم والمساعدة لكل الجهود، ولكل الخطوات العملية الهادفة للحل السلمي، ولدرء خطر انفجار النزاعات العسكرية ـ السياسية في البلدان المجاورة لجمهوريتنا ".

ثم يعقب موضحًا قاعدة أصيلة في سياسة دولته: " هنا يكمن مغزى وجوهر أحد الاتجاهات الرئيسية لكل استراتيجيتنا القومية ".

ـ التطرف الديني والأصولية:

مع نهاية القرن العشرين ـ قرن الاكتشافات العلمية ـ ونفاذ الإنسان إلى أسرار الكون كان أيضًا عصر انبعاث القيم الدينية، وكذلك " طفرة إسلامية " في المجتمع الدولي، وللأسف واكبتها أيضاً ظاهرة التطرف الديني والأصولية الدينية، وقد تراكمت في التاريخ المعاصر مجموعة من

المعطيات تشهد على كون هذه الظواهر " تسبب نزاعات وتناقضات جدية تهدد الاستقرار والأمن، وتولد لدينا تخوفًا وقلقًا من منطلق تعزيزه لسيادة أوزبكستان وضمان أمنها ".

ويرى المؤلف أن أهمية هذه المشكلة تتطلب الاهتمام بأسباب انتعاش العالم الإسلامي بكل تنوعاته في آسيا الوسطى، وهذه الأسباب هي:

1) انهيار القيم والتصورات العقائدية السابقة التي سادته في العهد السوفيتي وضرورة ملء الفراغ الذي نشأ لفترة ما.

2) نمو الوعي الذاتي القومي والبحث عن تحقيق الذات العرقية، والإسلام والتركة الروحية الكبيرة الموروثة قادرة على تأدية دور الراية التي تتوحد في ظلها القوى.

3) المتغيرات الحادة في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بينما العدالة الاجتماعية الموجودة في الإسلام كفيلة بدحض كل دعاوى العودة إلى الشيوعية والمساواة الوهمية والطوباوية الخادعة.

4) كون أوزبكستان وجمهوريات آسيا الوسطى جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي، متعدد الجوانب، وكثير الحركات الرسمية وغير الرسمية.

ويخلص المؤلف في النهاية إلى نتيجة ونصيحة يتوجه بها إلى مواطنيه، للتعايش بين مختلف الثقافات والحضارات، وعدم الانسياق وراء دعاوى التطرف والأصولية في نبذ الآخر، وأن يتذكروا مسئولياتهم أمام استراتيجية دولتهم والتزامها أمام المجتمع الدولي ككل.

- التعصب القومي الإمبراطوري والعدوانية القومية:

انطلاقًا من الممارسة التاريخية يمكن وصف هذه الظاهرة بالهيمنة

السياسية والفكرية والاقتصادية من جانب بعض الدول أو القوى، أو الطموح لهذه الهيمنة في العلاقات ما بين القوميات والدول، ليس هذا في إطار الامبراطورية متعددة القوميات فحسب، إنما في المدى الجيوسياسي المحيط بها أيضًا.

ويرى إسلام كريموف أن منطقة آسيا الوسطى لم تسلم من هذا المصير وتحملته زمنًا طويلاً، ويعتبر أن العام 1991 نقطة بداية لمرحلة تاريخية جديدة، حصلت فيها " الضحايا السابقة للنظام الشمولي " على تحرير قدراتها وإمكاناتها من أجل الانبعاث الوطني القومي.

ويرى سيادته أنه بغض النظر عن الآراء المتبادلة في الكواليس السياسية الروسية، من المهم أن يعي الساسة أن وجود دول مستقلة ومستقرة بالقدر الكافي في المنطقة، وقادرة على تنفيذ دور يخفف الصدامات الإقليمية، ويتناسب إلى حد بعيد مع المصالح الجيوسياسية لروسيا أو لأي دولة أخرى، بل إنها ضمانة لكي لا تكون هذه المنطقة أبدًا مسرحًا لصدام الحضارات. ينبغي بناء المستقبل على أساس مراعاة المصالح المتبادلة والتعاون المتكافئ.

القسم الثاني: شروط الاستقرار وضمانات التقدم:

يمثل القسم الأول من الكتاب - في رأينا - رصدًا متعمقًا لأحوال منطقة آسيا الوسطى عامة، وأوزبكستان خاصة، وتحليلاً واقعيًا للمخاطر والتهديدات والمشكلات التي تواجه هذه المجتمعات ذات الوضع الخاص، في ظل مرحلة جديدة من البناء واستعادة الهوية وتحديد مواقف ينبني عليها مستقبل أمة تاريخية.

ومن خلال هذا الرصد والتحليل بعين فاحصة خبيرة، وذات تجربة

واقعية وخبرة أكاديمية واسعة، يدلف سيادة الرئيس إسلام كريموف إلى القسم الثاني من الكتاب واضعًا تصورًا مستقبليًا، يمكننا اعتباره فلسفته في استراتيجية حكمه لبلاده كمفكر قائد، ويمكننا اعتباره كذلك أسسًا راسخة في سياسته وخطته لبناء أوزبكستان كقائد فيلسوف ومنظِّر استراتيجي.

ويتناول في القسم الثاني من الكتاب الموضوعات التالية:

- انبعاث القيم الروحية والوعي القومي:

لا يستطيع أى مجتمع أن يتصور مستقبله من دون تطوير وتعزيز الطاقة الروحية والأخلاقية لدى الشعب، لقد شكلت قيم الشعوب الثقافية وتركته الروحية خلال آلاف السنين مصدرًا قويًا لدى شعوب الشرق.

وعلى الرغم من الضغط الأيديولوجي القاسي خلال فترة طويلة من الزمن، فقد تسنى لأوزبكستان أن تحافظ على قيمها الثقافية والتاريخية والتقاليد الأصيلة التي تتوارثها بحرص من جيل إلى جيل.

ونرى هنا إسلام كريموف يعتبر انبعاث القيم الروحية، عملية نمو طبيعية للوعي القومي، ودعوة للشعب إلى منابعه الروحية وإلى جذوره.

لكنه يؤكد على أن استعادة هذه القيم وهذه التركة الروحية والوعي بالذات قد جرى في ظروف معقدة، ظروف انهيار النظام الامبراطوري القديم وتكون العلاقات الاجتماعية الجديدة، وذلك يتضمن خطر ظهور التطرف السياسي والثقافي المفتقر إلى البرنامج المبدع، وإلى تقبل العصر الراهن، ورفض ضرورة تحديث المجتمع.

وبعد أن يذكر الأجداد العظماء ومساهمتهم الفذة في صنع الحضارة يبين دور أوزبكستان - التي تملك هذه الثروة التراثية - في أن تبادر

لتحقيق التكامل الثقافي بين بلدان آسيا الوسطى؛ ولأنها تتمتع بدرجة عالية من التمدن والتصنيع، والكفاية في المهارات العلمية والتقنية، وبأصولية عميقة في نمط الحياة، فهي مؤهلة لأن تؤدي دور الوسيط في الحوار بين الشرق والغرب، وأن تكون رمزًا للصلة الروحية للعديد من الحضارات.

يقول سيادته: “ إن ضمان ازدهارنا المستقبلي، وضمان تكامل مجتمعنا مع المجتمع الدولي، تكمنان في الجمع بين قيمنا التقليدية وبين قيم المجتمع الديمقراطي المعاصر “.

- تشكل الدولة وتعزيز القدرة الدفاعية:

اختارت أوزبكستان - كما يقول المؤلف - قيم الديمقراطية، وضمان حقوق وحريات الفرد، وبناء اقتصاد السوق الحر، كأولوية أساسية، ولم يكن ممكنًا تحقيق الأهداف المرسومة بدون كسر جذري للنظام الشمولي القديم، وبدون التخلي عن أساليب التفكير والعمل القديمة.

لذا فإن المهمات الأساسية في تشكل الدولة كانت هي:

1 - إزالة النظام الإداري التعسفي السابق، وأجهزة السلطة والإدارة الخاصة به.

2 - بناء الأسس السياسية والحقوقية والتشريعية؛ لتنظيم الدولة الجديد، وتثبيت نظام العلاقات الاجتماعية الجديدة، والنظام الجديد لأجهزة السلطة الحكومية المركزية والمحلية في الدستور والقوانين، ويعود فيؤكد أن: “ القدرة الاقتصادية هي أساس القدرة الدفاعية لوطننا “. ويضيف: “ لا يقدر بثمن دور العلاقات السياسية والاقتصادية الخارجية في تعزيز القدرة الدفاعية وتعزيز الأمن العسكري لأوزبكستان “.

- السياسة الاجتماعية القوية ونمو نشاط السكان الاجتماعي:

كان من الضروري - كما يرى سيادة الرئيس - في مرحلة إصلاح الدولة الوطنية وتنفيذ الإصلاحات الديمقراطية وتحويل الاقتصاد، من الضروري إيلاء اهتمام خاص بالمشكلات الاجتماعية، إذ يعلمنا التاريخ بأن المشكلات الاجتماعية والتناقضات - خاصة في مثل تلك المنعطفات الحادة - تأخذ شكلاً متفاقمًا وتشكل عاملاً لتهديد الأمن القومي والسلم الأهلي والاستقرار.

ويضع - سيادته - المهمات التالية كبرنامج استراتيجي وخطة أساسية، من أجل الحماية الاجتماعية وهي:

1 - إضفاء طابع الاستقرار والرسوخ على تطور الإنتاج.

2 - الجذب الواسع لموارد الجماعات العاملة والمنظمات الاجتماعية والخيرية، بالإضافة إلى المصادر الحكومية.

3 - تشكيل آلية قوية لإيجاد الحوافز القادرة على التفعيل الأكمل لقوى الشعب وقدراته.

4 - عدم السماح بوجود تمايز واسع وغير مبرر في مستوى المعيشة ودرجة الفارق بين الطبقات.

5 - مكافحة الفقر، ودعم الفئات الفقيرة بين السكان.

- القدرة الجيوستراتيجية والموارد الطبيعية والمواد الأولية:

يعي إسلام كريموف تماماً تمتع بلاده بوضع جيوستراتيجي ملائم لإقامة علاقات دولية، ولتطورات هذه العلاقات ذات البعد التاريخي العريق منذ طريق الحرير، وحتى العصر الحاضر بعد حصول المنطقة على استقلالها؛ حتى إنه يقول: إن الأحداث الجارية في جمهوريتنا تطال مباشرة مصالح الدول العظمى العالمية والتشكيلات الجيوسياسية المختلفة،

وإن كل دولة تراعي - عند وضع سياستها - هذه المسألة.

ويدلل على ذلك بوجود أكثر من 350 فرع لشركات ومصارف أجنبية في طشقند.

ويعدد - سيادته - أنواع الثروات الطبيعية التي تمتلكها أوزبكستان والتي هي من أشد عوامل جذب الشركات العالمية للاستثمار، بل ويطمئن إلى أن القسم الأساسي من هذه الثروة الهائلة خارج دائرة الاستخدام ويختزنه جوف أراضيها الغنية. إذ زادت المناجم المستخدمة عن 2700 منجم تضم أكثر من 100 معدن يدخل في الصناعات المختلفة، كما تم اكتشاف حوالي 900 منجم آخر قدرت قيمة مخزونها بحوالي 970 مليار دولار، إضافة إلى الطاقة الطبيعية والخامات المقدرة بـ 3.3 ترليون دولار تنتظر المستثمرين والشركات العالمية.

- التكامل في المجتمع الدولي:

بذلت جهود ضخمة في الفترة القصيرة منذ الحصول على الاستقلال، لبناء جمهورية ودولة ذات سيادة، وحتى الآن - وقت تأليف الكتاب - اعترفت 165 دولة بأوزبكستان، وأقيمت علاقات دبلوماسية رسمية مع أكثر من 120 بلدًا، وفتحت في طشقند سفارات 35 بلدًا، كما دخلت أوزبكستان المنظمات الدولية المرموقة، وإقامة علاقات صداقة وتعاون مع الكثير من بلدان ومنظمات وشركات العالم.

وبعيدًا عن تلك التفاصيل السياسية والاستراتيجية يمكننا من خلال الكتاب أن نستخلص المبادئ الأساسية التي وضعتها أوزبكستان كأساس في صياغة وإقامة علاقاتها السياسية والاقتصادية الخارجية وهي:

1 - سيادة المصالح القومية - الدولية مع مراعاة المصالح المتبادلة.

2 ـ التكافؤ، والمنفعة المتبادلة، وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى.

3 ـ الانفتاح على التعاون بمعزل عن النظرات العقائدية، والانحياز فقط للقيم الإنسانية العامة، والحفاظ على السلم والأمن.

4 ـ أولوية معايير وقواعد القانون الدولي على المعايير والقواعد الداخلية.

5 ـ تطوير العلاقات الخارجية على أساس الاتفاقيات الثنائية والمتعددة الأطراف.

ـ ويختتم سيادة الرئيس إسلام كريموف كتابه بالكلمات التالية:

" وأنا واثق بأن ما يدفع التاريخ إلى الأمام ليست النزاعات والعداوات، وإنما التعاون والثقة بين الشعوب، إن الأمن والاستقرار في العالم المعاصر لا يعنيان الجوانب العسكرية والسياسية فقط، وإنما أيضًا المكونات الاقتصادية والبيئية والثقافية، المهمة جدًا لإقامة البيت المشترك الهادئ، والمزدهر في المنطقة، بل وعلى صعيد الكرة الأرضية كلها ".

* * *

زعامة الأوزبك الجديدة على نهج العهد الذهبي للإسلام

زعامة الأوزبك الجديدة على نهج العهد الذهبي للإسلام في آسيا الوسطى

أ.د/ زكريا كتابجي
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية سابقا
بجامعة سلجوق - قونية - تركيا

إن لأوزبكستان وآسيا الوسطى ماض مشرف وتاريخ كبير مزدهر عمل لخير الدين الإسلامي، والأمة المحمدية، ونشر الإسلام في وسط آسيا، هذا الماضي المشرف لا يستوجب الفخر للمسلمين عامة فحسب، بل يستوجب أيضا كل الفخر للأوزبك. ولعل أزهى وأعظم صفحات هذا التاريخ المشرف هي تلك الصفحات التي تتضمن وصول العرب المسلمين - القادمين كالعاصفة الإلهية من أعماق صحراء بلاد العرب - في أول حملة لهم إلى نهر جيحون. ثم غاصوا بعد ذلك في أعماق تركستان بديناميكية دينية جديدة، مرفرفين راية الرسول ◘ في تلك الأقاليم الجديدة.

وهذه الحادثة من أعظم أحداث التاريخ الإسلامي في آسيا الوسطى، لأن هؤلاء الفاتحين المسلمين جاءوا ومعهم الدين الإسلامي إلى الأوطان التركية، وعرضوه على أهلها. ثم دخل الإسلام بعد ذلك تركستان من هذا الباب السياسي الذي فتحه هؤلاء العرب المسلمين. وفُتح بذلك طريق الهداية أمام قلوب وأرواح الناس. ثم أصبح الدين الإسلامي بعد ذلك في وسط آسيا وكأنه عاصفة إلهية إيمانية، فأسلمت كتلة كبيرة من الأهالي بعد أن وجدوا أنفسهم ينجذبون إلى هذا الدين الجديد. وكانوا يدخلون في دين

الله أفواجا، يمكن القول بأن كل فوج كان يضم 500 ألف أو كان يصل إلى مليون في بعض الأحيان.

نعم لقد هرع هؤلاء الأهالي إلى الدين الإسلامي والهداية الربانية أفواجا أفواجا كالسيل كأنهم ينظرون بعين العشق للنبي ◘، ويجدون حلاوة الإيمان. وهو ما يذكرنا بالبشرة الربانية التي بشر الله تعالى بها المسلمين وأمة محمد في سورة النصر؛ لأن الله تعالى بهذه الآيات كأنه بشّر النبي ◘ وأمته، بأن الدين الإسلامي سينتصر في تركستان، وأن أهل تلك المنطقة سيسلمون بفضل هذا السيناريو الإلهي. وهذه حقيقة لايجب إغفالها وهي أن أراضي تركستان بتلك الانتصارات الدينية التي حققها الدين الإسلامي بها، كانت ثورة حضارية وخيرية كبيرة، ثورة لا يوجد لها نظير أو شبيه في تاريخ الإنسانية. كما كانت في نفس الوقت نقطة تحول بالنسبة لتاريخ وسط آسيا، لأنه بإسلام الأتراك تغيرت مجريات التاريخ السياسي العالمي؛ لأن الدين الإسلامي بعد تلك الحادثة أصبح قوة سياسية لا يمكن لأية قوى أخرى أن تقف أمامه. واستمر هذا الوضع طيلة العصور الوسطى والعصور الحديثة. وبذلك بدأت رحلة جديدة للدين الإسلامي تحت راية النبي ◘ بدأت من وسط آسيا وامتدت حتى فيينا.

وبإسلام الأتراك، أصبح الدين الإسلامي - المجلوب للأوطان التركية على يد الفاتحين العرب المسلمين - في وقت قصير بمثابة الحركة الثقافية والحضارية. وحدثت حملات جديدة في العلوم العقلية والنقلية، وعاش الدين الإسلامي (عهد النهضة). وكنتيجة طبيعية لتلك التطورات الخيرية، أُنشئت آلاف الآثار الدينية والعمرانية كالمساجد والجوامع والأربطة والمدارس والحمامات والخانات وغيرها في كل مدن أوزبكستان وعلى رأسها بخارى وسمرقند وطشقند، والعديد من مدن تركستان مثل فرغانة

وفاراب وقاشغر وخوارزم، حتى أصبحت كل مدينة من تلك المدن المذكورة بمثابة المركز المزدهر الذي يشع بالحضارة والثقافة الإسلامية على كل الأرجاء.

وبفضل تلك النجاحات التي أظهرتها تلك المراكز الإسلامية الحضارية الجديدة - التي تحمل السمة التركستانية - أصبحت كل واحدة منها تضاهي المراكز الإسلامية في تفوقها في شتى فروع العلم كالعمارة والفنون والأدب والعلوم مثل البصرة وبغداد والكوفة، بل إنها كانت تضاهي المراكز الإسلامية الكلاسيكية مثل القاهرة والشام. بل ما يزيد على هذا أن مدن تركستان تلك أصبحت كل واحدة منها ملتقى لعلماء الإسلام الذين يفدون من شتى أرجاء الدنيا، وفي عهد النهضة الإسلامية نشأ في تلك المدن في كل عصر من العصور آلاف بل عشرات الآلاف من العلماء الإسلاميين في علوم الفقه والحديث والتفسير والفلسفة الإسلامية وعلم الكلام وغيرها من العلوم الإسلامية.

وإذا أردنا أن ندون أسماء هؤلاء العلماء فقط بترتيب أبجدي فلن تكفينا عدة مجلدات. تقع تلك المدن التي نتحدث عنها حاليا في الحدود السياسية لأوزبكستان، وعن دور بخارى في العلوم الإسلامية وخاصة علم الحديث يقول النرشخي وهو أحد العلماء الذين عاصروا العهد الذهبي لعلم الحديث في بخارى فيقول:

" لو أننا ذكرنا في كتابنا هذا أسماء العلماء الذين نشأوا في بخارى فقط في عهدنا، لاستوجب الأمر علينا أن نكتب عدة مجلدات أخرى، ويكفينا فخرا هنا أن نذكر هذا الحديث النبوي الشريف " علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل "

وهذا شاعر عاصر هذا العهد الذهبي لآسيا الوسطى أو لتركستان المسلمة ويشعر بالفخر من هذا، أنشد من أعماق قلبه هذا الشعر:

علماء الإسلام كانوا بدورا ::: وسماء البدور تركستان
إن أردت الدنيا ترى المجد فيها ::: قد أقمت لصرحها الأركان
أو أردت الدين الحنيف تجده ::: وهو للبر والهدى عنوان
وطن المسلمين دينا ودنيا ::: تتغنى بفضلها الأزمان

وهنا علينا أن نعترف بكل فخر أن الأوزبك الحاليين وأجدادهم القدامى أى الخانيات الأوزبكية قد حصلوا على نصيبهم من تلك التطورات الإسلامية بالمعنى القومي والإسلامي معا. فمن ناحية القومية، سنجد أن الأوزبك يختلفون عن بقية الأقوام التركية بأنهم ينحدرون من نسل يافث بن نوح مباشرة، وذلك على حسب ما أُخبر به في خاند نامه، التي صُرح فيها بأن الأوزبك هم أخير الأقوام التركية لتولي المسئولية والولاية لخلقتهم وهيبتهم. وهذا أيضا يجب أن يكون مصدرا للفخر عند الأوزبك حاليا. وقد قيل عن أخلاق الأوزبك:

" إن أخلاق أوزبك بخارى أفضل من أهالي خوراسان، وأخلاق أوزبك سمرقند أفضل من بخارى، وأوزبك طشقند أفضل من سمرقند. "

أما من ناحية التطورات الإسلامية، فيمكن القول بأن الوضع الحالي للأوزبك لا يختلف قط عن بقية القبائل التركية الأخرى. لأن كل القبائل التركية دخلت في الدين الإسلامي وانجذبت إلى الهدي الإسلامي بإرادتهم بمجرد أن اقتربوا من الدين الإسلامي. وأسلموا كلهم دون جبر، وما نرموا إلى قوله هنا إسلام القائد العظيم أوزبك خان (توفى 1341م) حفيد قوتلوق تيمور. وقد كانت حادثة إسلام هذا القائد على ما يلي:

بينما كان هذا القائد في ريق شبابه خرج عليه الشيخ السيد عطا أحمد

وهو من خلفاء زنكي عطا الولي الكبير المدفون في مكان يقع على مقربة من طشقند. وبفضل تلقين ونصح هذا الشيخ الزاهد ذو الوجه النوراني المشع بالنور أسلم أوزبك خان. وتسمى باسم محمد نسبة للنبي ﷺ. وكان قدوة للأوزبك في الهداية. أو بمعنى آخر كانت حكاية هذا الرجل وكأنها كُتبت بأقلام القدر الإلهي مثلما رأينا في حكاية صاتوق بغرا خان ودولة القراخانيين؛ لأن كل من كان يتبع أوزبك خان أسلم مثله. وعُرف أتباعه باسم الأوزبك. بعد ذلك ظهر هؤلاء الأوزبك المسلمون على مسرح التاريخ مثلهم مثل بقية الأقوام الأخرى. حيث نهضوا في سهول وسط آسيا، وقالوا ولأول مرة بصوت جهوري كله فخر مرحبا لأمة محمد والإنسانية جمعاء، في نفس الوقت الذي كان صوت الدين الإسلامي فيه عاليا مهيبا في أفق وسط آسيا.

وبذلك يكون قد بدأ العهد الجديد لخانات الأوزبك في الطريق الذاهب صوب أسلمة وسط آسيا، ولا شك في أن إسلام الأوزبك كلهم دفعة واحدة كان فيه الخير للدين الإسلامي والأمة المحمدية، وكل القبائل التركية. وذلك لأن الدين الإسلامي منح الأوزبك قوة إيمانية جديدة، وعزم على القتال، وبهذا أصبح للأمة الأوزبكية مكانتها بين كل الأمم الإسلامية. وربما أن الأهم من هذا كله هو أن هؤلاء الأوزبك أعطوا قوة مضاعفة للمراكز الإسلامية القديمة في وسط آسيا مثل طشقند وبخارى وسمرقند. وأصبحت تلك المدن بفضل الدين الإسلامي وطنا عزيزا للغاية على الأوزبك. ونحن على قناعة بأن هؤلاء الأوزبك كانوا من أهم وأعظم أحداث التاريخ الإسلامي. لذا فنحن مضطرون لأن نعرف قيمة هؤلاء الأوزبك، وألا ننسى دورهم في الحفاظ على الإسلام حتى وصل إلى وقتنا الحالي في تلك المناطق، وأن تلك الأراضي التي كانت تضم المراكز

الثقافية والحضارية الإسلامية القديمة مثل بخارى وطشقند وخوارزم، كيف وصلت إلى حالة الوطن العزيز المبارك لهم بفضل الدين الإسلامي.

لقد كان إسلام الأوزبك بهذه القوة الإيمانية الجديدة فيه الخير بلا شك للإسلام، وذلك لأن الإسلام عاش عهده الذهبي كثقافة وحضارة في عهد خانات الأوزبك المسلمين الجدد. وأنشئت في تلك الأراضي العديد من المساجد والجوامع والخانات والحمامات والنزل والمدارس. لقد كانت مدينة بخارى في عهد خانات الأوزبك أزهي وأفضل حالا من مدينة روما الإيطالية في أوربا، ووضع سمرقند أفضل من لندن إنجلترا، ووضع طشقند أفضل من باريس فرنسا. وذلك لأن تلك المدن التي تعد اليوم من أفضل مدن العالم الغربي كانت في العصور الوسطى أظلم مدن قارة أوربا. ولا شك أنهم تعلموا الحضارة الإسلامية الشرقية من المسلمين أثناء الحملات الصليبية.

نعم لقد نشأ في هذا العهد الذهبي للحضارة والثقافة الإسلامية آلاف بل عشرات الآلاف من العلماء المسلمين في شتى علوم الإسلام كالحديث والتفسير والفقه وعلم الكلام، وكان لهؤلاء العلماء السبق في النهضة الإسلامية وحركات الفكر الإسلامي، لقد كان هؤلاء العلماء هم بناة الحضارة والثقافة الإسلامية الكبرى التي أُسست في سهول وسط آسيا، أما المؤلفات القيمة التي ألفوها في شتى مختلف العلوم والفنون فكانت بمثابة الأحجار الأصلية لأبراج حضارتنا.

أما المدارس التي أمر ببنائها خانات الأوزبك في مدن بخارى وسمرقند وطشقند فكانت كل واحدة منها بمثابة الجامعات الدولية بمفهوم اليوم.من ذلك على سبيل المثال مدرسة كونل طاش التي بنيت عام 1426م، ومدرسة قوش التي بنيت على يد عبد الله خان عام 1382م.

ومدرسة مير عرب التي بنيت عام 1529م، ومدرسة كويبار التب بنيت عام 1586م، ومدرسة طورسون جام أمير، ومدرسة ديوان بك. وهذه المدارس أنشئت في بخارى فقط، ومثلها بالتأكيد أنشئ في سمرقند وطشقند والمدن الأخرى لأوزبكستان، تخيلنا جمال كل مدرسة، وكيف كانت مقرًا للعلماء سنجد كم كانت تلك المدارس عظيمة مهيبة.

كانت تلك المدارس كبيرة تبدو وكأنها جامعات دولية، يفد إليها الطلاب من كل مكان، ليس من المدن الصغيرة والكبيرة لتركستان فقط، بل من كشمير والهند وبلاد الأفغان وإيران وخوازرم، والأناضول من تركيا الشقيقة. وقد استمر هذا الوضع المزدهر لتلك المدارس الموجودة في بخارى وسمرقند وطشقند حتى القرن الثامن عشر، حتى أن المستشرق المجري ويبمري الذي زار بخارى قبل قرن ونصف من الزمان في زي متصوف محلي، رأى أنها لا تزال منتعشة بالطلاب والعلماء، لدرجة أنه اندهش من هذا الوضع، لأن عدد الطلاب الذين كانوا يدرسون في مدارس بخارى العلوم الإسلامية العليا في ذلك الوقت يزيد عن 5000 طالب، ولا شك أن تلك الفترة كانت عبارة عن صفحات مزدهرة كُتبت بأحرف من ذهب في تاريخ خانيات الأوزبك الإسلامي في الحضارة والثقافة الإسلامية في وسط آسيا. وإنهم لو يشعرون بالفخر لذلك فهذا قليل عليهم.

وبالرغم من هذا الوضع المشرف والتاريخ المزدهر إلا أن ثمة جانب مؤسف وسيئ في الموضوع، نود الوقوف عليه، وهو روسيا القيصرية، والشيوعية. فمن المعلوم أن روسيا القيصرية والشيوعية دخلت أوزبكستان في البداية على أنها بلاء قومي، ثم تحولت بعد ذلك إلى نظام وأيديولوجية. لقد كانت الشيوعية بلاء ومصيبة كبيرة للأوزبك والإسلام في وسط آسيا في القرن الثامن عشر، ولم يكن هذا الوضع لأوزبكستان فقط، بل كان

عاما أيضا على بقية الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا وهي آذربيجان وقزاخستان وقيرغيزستان، واستمر هذا الوضع قرابة النصف قرن. لم يكن الاحتلال الروسي لتلك الجمهوريات من أجل الاستيلاء على الثروات الاقتصادية فحسب، بل كان أيضا نظاما وأيديولوجية، تهدف إلى طمس الهوية الإسلامية عن المواطنين المسلمين.

ونحن على قناعة بأن الشيوعية لم تكن بلاء على الإنسانية فحسب، بل كانت أكثر بلاءً بالنسبة لوسط آسيا، والعالم التركي المسلم. ولم يكن الساتر الحديدي من أجل الفصل بين أوربا الغربية وروسيا، بل كان للفصل بين تركستان والعالم الإسلامي، كان هذا الساتر الحديدي مثل سور الصين العظيم، لأنه فصل وسط آسيا المسلمة عن العالم الإسلامي، وحُكم على أهل تلك المنطقة أن يعيشوا هذا البلاء، ولم يكتف الشيوعيون بهذا فحسب، بل طبقوا عليهم حصار اقتصادي، وأرادوا أن يجعلوا منهم مجتمع إنساني مادي لا نظير له في العالم.مجتمع لا مكان فيه للقيم القومية والدينية.

ومن ذلك أنهم عطلوا وظيفة المساجد والجوامع التي تدرس العلوم الدينية، ورأت الإدارة الشيوعية أن كل ما يمت للدين أو القيم الدينية بصلة إنما هو جريمة مثل المخدرات. وبذلك نما جيل في مجتمع جديد مجتمع ملحد لا يعترف بوجود الله، ليست عنده أى قيم دينية أو تاريخية أو ثقافية.

والآن الحمد والشكر لله فقد هُدمت الشيوعية، وتشتت الاتحاد السوفيتي، وكانت هذه الحادثة أعظم حادثة بالنسبة للعالم التركي المسلم، لأن مسلمو آسيا الوسطى الذين ظلوا قرابة النصف قرن تحت وطأة الاحتلال الشيوعي مطموسين الهوية الدينية والثقافية، قد تخلصوا من هذا الاحتلال، وبدأت راية الرسول ◘ ترفرف خفاقة من جديد في سماء وسط آسيا، وهدفنا من ذلك هو قيام الدول التركية الإسلامية في وسط آسيا وهي

أوزبكستان وقيرغيزستان وقازاخستان وتركمنستان وطاجكستان من جديد، وقولهم باسم آسيا الوسطى (مرحبا) لكل العالم الإسلامي وكل الإنسانية. ونحن على قناعة بأن هذا الصوت الذي قال مرحبا، إنما هو رمز جديد لراية النبوة، ورايات أخرى ستُرفع باسم الإسلام.

وهنا يظهر أمامنا سؤال ومشكلة كبيرة، ألا وهي ماذا سيحدث بعد ذلك وماذا يجب علينا فعله؟ ويجب أن يجيب على هذا السؤال قبل كل شخص وقبل كل الجمهوريات التركية الأخرى، رجال الإدارة في جمهورية أوزبكستان الحالية، فهم أحفاد خانات الأوزبك الذين أسسوا دولة قوية باسم الأوزبك قديما كانت تضم المراكز الحضارية والثقافية الإسلامية في سهول وسط آسيا وهي بخارى وسمرقند وطشقند، تلك الدولة صاحبة الماضي المشرف المزدهر في الحضارة والثقافة الإسلامية.

ولنوضح الآن أننا عند حلنا لتلك المشكلات، ومحاولة إيجاد حلول لتلك الأسئلة سيظهر أمامنا الدين الإسلامي الذي هو القوة الديناميكية المحركة لتلك الحضارة الكبرى. فقد نهض أهالي القيرغيز والأوزبك والقازاق والتركمان والآذاريون في تلك الأراضي المباركة التي أضاء نور الهداية الإلهية فيها الحضارة والثقافة الإسلامية، وأسسوا جمهوريات جديدة، إن هذا الميراث الحضاري المشترك وهذا الدين الإسلامي لا يجب أن يكون هو الحبل المتين الذي يوطّد الروابط بين الجمهوريات التركية الإسلامية في وسط آسيا فحسب، بل يجب أن يكون رابطا يربطها بكل العالم الإسلامي، ولهذا نقول ولمرة أخرى:

هلموا، واتجهوا لهذا الميراث الحضاري والثقافي العظيم، وأسسوا من جديد الجسور بينكم وبين تلك الحضارة العظيمة، لأن ما لم يكن سيئا في الماضي لن يمكن إعاشته في الحاضر أو المستقبل. أما المهمة والزعامة

الأصلية فتقع في الوقت الحالي على عاتق زعماء ورجال الدولة الأوزبك.

مصادر عامة

النرشخي. تاريخ بخارى. مصر 1965.

الثعالبي، يتيمة الدهر. القاهرة 1956.

الثعالبي، لطائف المعارف. مصر 1960.

أ. ويمبري. تاريخ بخارى. القاهرة 1965.

ج. ويل هواسن. الدولة العربية وسقوطها، استانبول 1960.

زكريا كتابجي. الترك في مؤلفات الجاحظ. بيروت 1972.

زكريا كتابجي. فتح العرب المسلمين لتركستان. قونية 2005.

زكريا كتابجي. الإسلام بين قبائل الترك المغولية. قونية 2005.

زكريا كتابجي. دور آسيا الوسطى في الحضارة الإسلامية، قونية 1996.

ابن النديم، الفهرست، طهران 1971.

البلازوري، فتوح البلدان، مصر 1959.

الطبري، تاريخ الأمم والملوك. بيروت 1967.

اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي. بيروت 1960.

و. بارتولد. تركستان حتى استيلاء المغول عليها. استانبول 1981.

Diez ،E ،Tha Anecient World of Asia ،London 1961.

Boulnois ،L ،Tha Sillg Road ،London 1996.

أحمد أمين، ظهر الإسلام، القاهرة 1965.

الأصطخري، المسالك والممالك، القاهرة 1961.

* * *

عمارة المدارس في أوزبكستان في القرن العاشر الهجري

عمارة المدارس في أوزبكستان في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي

د/ أحمد رجب محمد
على رزق
أستاذ الآثار الإسلامية
كلية الآثار - جامعة
القاهرة

مدخل

أوزبكستان أى أرض الأوزبك هي إحدي الجمهوريات السوفيتية الست التي تعرف باسم دول الكمنولث (دول آسيا الوسطى الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتي) وهي (أوزبكستان - طاجيكستان - تركمانستان - قرغيز ستان - كازاخستان) والتي استقلت عن الاتحاد السوفيتي في آواخر القرن العشرين وكان استقلال أوزبكستان سنة 1991م[1] وأرض أوزبكستان أو بلاد ما وراء النهر كما أطلق عليها العرب ذات حضارة قديمة أسست فيها العديد من الدول قبل الإسلام مثل مملكة تشاغنيان، ومملكة مارغيانة، ومملكة الصغد، ومملكة باركانة، ومملكة باقطاريا، ومملكة بيكند[2] وقد ازدهرت هذه المنطقة قبل الإسلام لوقوعها على طريق الحرير الذي يربط الشرق الأقصي بالبحر المتوسط والذي أنعش الاقتصاد بهذه المنطقة خصوصا في عهد سلطنة قانغا القرن الرابع قبل الميلاد[3] وكان أغلب الممالك التي تكونت في بلاد ما وراء النهر قبل العصر الإسلامي من العنصر التركي وعلى الرغم من أن

الفرس قد حاولوا السيطرة على تلك المنطقة إلا أن التكوين العرقي لسكان تلك المنطقة كان أغلبه من الترك[4] وكان الإسلام قد دخل إلى بلاد ما وراء النهر مبكرا حيث يذكر ابن الأثير في حوادث سنة 22هـ أن الأحنف بن قيس قد غزا خراسان وأن عمرا أذن للمسلمين فدخلوا بلخ وطاردوا الفرس إلى نهر سيحون ورغب المسلمون في مطاردتهم إلا أن عمر كتب إلى الأحنف أن يقتصر مطاردة الفرس على ما دون النهر ولا يعبرونه حتى يعفي المسلمين من التوغل في تلك الأقاليم خوفا عليهم لجهلهم بها وفي سنة 53 سار عبيد الله بن زياد إلى خراسان وفتح ما اعترضه من بلاد حتى وصل بخارى وهزم ملكتها حينذاك[5].

على أن الإسلام قد دخل إلى بلاد ما وراء النهر بصفة رسمية على يد الفاتح قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي الذي فتح بلاد ما وراء النهر خلال فترة امتدت حوالي عشرة سنوات على أربعة مراحل الأولي بدأت سنة 86هـ بالاستيلاء على منطقة طخارستان والطالخان وبلخ، والثانية سنة 87هـ استطاع فيها قتيبة دخول بخارى، والمرحلة الثالثة سنة 91هـ وفيها امتد النفوذ العربي إلى وادي جيحون وبلاد الصغد، والمرحلة الرابعة من سنة 94هـ إلى سنة 97هـ وفيها تم إخضاع المقاطعات الواقعة على نهر سيحون[6].

وبعد ذلك تعاقبت الدول الإسلامية التي حكمت بلاد ما وراء النهر فحكمها بعد الأمويون العباسيون ثم تأسست بها الدولة السامانية التي استقلت عن الدولة العباسية من سنة 261هـ إلى سنة 389هـ في خراسان وبلاد ماوراء النهر[7] ومن أشهر الدول التي حكمت بلاد ما وراء النهر الدولة السلجوقية ثم الدولة الخوارزمية[8] التي استقلت عنها بعد أن استطاع السلطان الخوارزمي علاء الدين تكش هزيمة السلطان السلجوقي

طغرل الثالث سنة 590هـ وأضحت الدولة الخوارزمية في أقصي اتساع لها[9] ثم كانت نهاية الدولة الخوارزمية في عهد السلطان جلال الدين منكبرتي على يد المغول الذين استولوا على أملاك الدولة الخوارزمية المدينة تلو المدينة حتى قضوا عليها تماما وقتل جلال الدين سنة 628هـ[10] وبعد ذلك تأسست دولة التيموريين على يد تيمور لنك ابن الأمير تارغاي والي كيش والذي اعتلي العرش سنة 771هـ واتخذ من مدينة سمرقند عاصمة له[11].

وفي القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي كانت بداية ظهور الأوزبك[12] كقوة حاكمة وانتزاعها الهيمنة من التيموريين الذين أفل نجمهم مع مطلع هذا القرن وصعود نجم الأوزبك وبداية حكم الشيبانيين[13] وكان شيباني خان قد انتصر على التيموريين وأخذ منهم المدينة تلو الأخرى في مطلع القرن السادس عشر[14] وقد انتصر الزعيم الأوزبكي شيباني خان على بابر حاكم فرغانه والذي أسس الامبراطورية المغولية في الهند فيما بعد واستولي الشيبانيون على العديد من المدن بعد هزيمتهم لبابر في معركة سريول وهي مدينة بين بخارى وسمرقند[15].

وقد اتسم القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي في بلاد ما وراء النهر بالصراع على السلطة وانتهي الأمر إلى أن تشكلت في النصف الثاني من القرن السادس عشر دولتان مستقلتان هما إمارة بخارى وخاقانية خيوة وبعد حروب أخرى قامت خاقانية خوقند[16] وعلى الرغم من الصراعات والحروب التي شهدها القرن السادس عشر الميلادي في بلاد ما وراء النهر إلا أن الشواهد الأثرية تشير إلى أن حركة التعليم وإنشاء المدارس كانت مزدهرة وأن هناك العديد من المدارس الكبيرة قد أسست في هذا القرن خصوصا في مدينتي بخارى وطشقند أما سمرقند

وخيوه فقد ازدهرت حركة بناء المدارس الكبيرة فيهما في القرن السابع عشر والثامن عشر وفيما يلي دراسة للمدارس في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي في أوزبكستان (بلاد ما وراء النهر).

الوصف المعماري للمدارس:

وصلنا من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ست مدارس كبيرة أربعة منها في مدينة بخارى واثنتين في مدينة طشقند.

أولاً: مدارس بخارى:

(1) مدرسة مير عرب:

تقع هذه المدرسة في وسط مدينة بخارى بالقرب من مجمع قوش وقد بنيت هذه المدرسة تحت إشراف الشيخ عبيد الله اليماني من مبلغ من المال أهداه إليه أمير بخارى عبيد الله خان في الفترة من 1533 - 1539م والشيخ عبيد الله اليماني من كبار رجال الصوفية في بلاد ما وراء النهر في القرن العاشر الهجري ارتقى إلى مراتب عالية وحظي بمكانة كبيرة عند الناس فلقبوه بلقب (مير عرب) موقرين له بمعنى الأمير العربي[13].

الوصف المعماري للمدرسة:

تشغل مدرسة مير عرب مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب حوالي 500متر بينما يبلغ امتدادها من الشمال إلى الجنوب حوالي 300متر وتتكون المدرسة من صحن أوسط مكشوف تحيط به الوحدات والغرف من جميع الجهات (شكل1).

الواجهات:

الواجهة الأساسية هي الواجهة الشرقية ويوجد على جانبيها برجين مرتفعين قليلا عن الواجهة التي يبلغ ارتفاعها حوالي 15متر بينما يبلغ

ارتفاع البرجين الطرفيين حوالي 17 متر وهذين البرجين قطرهما من أسفل أكبر من قطر سطحيهما مما يزيد في تدعيمهما وبالتالي تدعيم زوايا المدرسة (شكل 2 - ولوحة 2) ويتوسط الواجهة الأساسية كتلة المدخل وهي مرتفعة كثيرا عن الواجهة ارتفاعها حوالي 27متر يتوسطها دخلة معقودة بعقد مدبب ارتفاعه حوالي 22 متر على جانبي دخلة المدخل دخلات معقودة بعقود مدببة في طابقين وقد زخرفت كوشتي عقد دخلة المدخل بالفسيفساء الخزفية ذات الزخارف النباتية البيضاء والصفراء على أرضية زرقاء كما زخرفت كتلة المدخل من الخارج على جانبي دخلة المدخل بدخلات صماء غير عميقة معقودة بعقود مدببة وكوشاتها مزخرفة بزخارف الفسيفساء الخزفية النباتية والهندسية، أما باقي الواجهة فتطل على الخارج بطابقين من الدخلات المعقودة بعقود مدببة أسفلها نوافذ تطل بها غرف وقاعات المدرسة على الخارج، أما الواجهات الأخري للمدرسة فتفتح بها نوافذ قاعات وغرف المدرسة خصوصا غرف الطلاب وهي نوافذ تفتح مباشرة في الواجهة وليست داخل دخلات.

داخل المدرسة:

يؤدي مدخل المدرسة عبر فتحة باب مستطيلة إلى صحن المدرسة المكشوف الواسع الذي تفتح عليه الوحدات من جميع الجهات والوحدات الأساسية للمدرسة موجودة في الجانب الغربي حيث نصل عبر فتحة باب تتوسط هذا الضلع تقريبا إلى ممر يؤدي إلى قاعة كبيرة مغطاة بقبة على حنايا ركنية على جانبيها قاعتين تؤدي كل قاعة منهما إلى عدد من الغرف والقاعات الصغيرة الملحقة، أما القاعات والغرف الموجودة في الضلعين الشمالي والجنوبي فهي قاعات صغيرة كل قاعة نصل إليها عبر فتحة موجودة أسفل دخلة معقودة وهناك طابق ثاني لهذه القاعات التي هي أغلب

الظن قاعات سكنية للطلاب، أما قاعات الجهة الشرقية فهي أغلب الظن مخصصة لموظفي المدرسة وإدارتها وهناك بعض القاعات الصغيرة المخصصة كمرافق للمدرسة أو كمخازن لأدواتها.

الضريح:

يوجد بالقرب من الزاوية الجنوبية الشرقية للمدرسة ضريح مربع تعلوه قبة ذات رقبة عالية مزخرفة بالبلاطات والفسيفساء الخزفية التي يغلب عليها اللون الأزرق وقد اشتملت هذه الرقبة الطويلة على كتابات قرآنية باللون الأبيض على أرضية زرقاء، أما خوذة القبة فتغطيها البلاطات الزرقاء وقد دفن أسفل هذه القبة الشيخ عبيد الله اليماني المعروف باسم (مير عرب) منشئ هذه المدرسة والذي قام بالتدريس فيها إلى جانب العديد من مشاهير المشايخ الصوفية في عهده.

(2) مدرسة مادر خان:

تقع هذه المدرسة في مجمع قوش ببخاري وتعرف باسم مادر خان أي والد الخان لأن الأمير عبد الله خان الشيباني قد أنشأ هذه المدرسة على شرف والدته في سنة 1566م.

الوصف المعماري للمدرسة:

تشغل هذه المدرسة مساحة مستطيلة طولها من الشرق إلى الغرب حوالي 300 متر ومن الشمال إلى الجنوب حوالي 200متر وتتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به الوحدات من جميع الجهات.

الواجهات:

الواجهة الشرقية هي الواجهة الأساسية وهي تمتد حوالي 200متر وارتفاعها حوالي 16 متر تتوسطها كتلة المدخل وهي

أكثـر ارتفاعـا مـن الواجهـة ارتفاعهـا حـوالي 23متـر أسـفلها دخلـة معقـودة بعقـد مـدبب بهـا فتحـة الـدخول إلـى المدرسـة أمـا بـاقي الواجهـة فيشـغلها دخـلات معقـودة بعقـود مدببـة تفـتح بهـا نوافـذ هـذه الجهـة علـى الشـارع وقـد زخرفـت كوشـات عقـود هـذه الـدخلات وكـذلك كوشـتي عقـد المـدخل بالبلاطـات والفسيفسـاء الخزفيـة المزخرفـة بزخـارف نباتيـة وهندسـية وكتابـات بيضـاء علـى أرضـية زرقـاء، أمـا الواجهـات الـثلاث الأخـري فتفـتح علـى الخـارج بنوافـذ بـدون دخـلات وفـي زوايـا المدرسـة الأربعـة توجـد أبـراج اثنـان منهـا علـى طرفـي الواجهـة الأساسـية ويكسـوهما بلاطـات وفسيفسـاء خزفيـة ذات زخـارف هندسية ملونة أما الاثنان الآخران فبدون كسوة خزفية.

داخل المدرسة:

داخل المدرسة يتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به الوحدات من جميع الجهات. الوحدات الموجودة في الجهة الشرقية عبارة عن قاعتين كبيرتين كل قاعة موسعة بأربعة إيوانات في أضلاعها الأربعة ويغطي كل قاعة قبة كبيرة ذات رقبة كبيرة عليها كتابات قرآنية على بلاطات خزفية بينمـا كسيت خـوذتي القبتـين بالبلاطـات الخزفيـة الزرقـاء اسـتغلت إحدي هاتين القبتين كضريح لأم الأمير عبد الله خان، أمـا وحدات الجهـة الغربيـة فهـي عبـارة عـن إيـوان كبيـر للصـلاة فـي الوسـط وعلـى جانبيـه عـدد مـن القاعات الصغيرة وفي الطرفين قاعتين كبيـرتين كل قاعـة موسـعة بأربعـة إيوانـات مـن جهاتهـا الأربعـة كانـت تسـتخدم هـاتين القـاعتين للـدرس، أمـا الجهتـين الشـمالية والجنوبيـة مـن الصـحن فتفـتح عليهمـا غـرف يتقـدمها دخـلات معقـودة تفـتح علـى الصـحن هـذه الغـرف فـي الضـلعين الشـمالي والجنوبي للصحن في طابقين وهي أغلب الظن مخصصة لسكني الطلاب

وبعضها مرافق ومخازن للمدرسة.

(3) مدرسة كوكالداش:

تقع هذه المدرسة في مجموعة (لابي حاوض) في بخارى وتنسب إلى الأمير كولبا كوكالداش أنشأها تحت رعاية الملك عبد الله خان الشيباني حاكم بخارى سنة 1568م[16].

الوصف المعماري للمدرسة:

تشغل هذه المدرسة مساحة مستطيلة امتدادها من الشرق إلى الغرب 400متر ومن الشمال إلى الجنوب حوالي 200 متر وتتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به الوحدات من جميع الجهات وبالجهة الشمالية وكذلك بالجهة الغربية توجد كتلتين بارزتين عن المدرسة وبزوايا المدرسة الأربعة توجد أربعة منارات.

الواجهات:

الواجهة الأساسية لهذه المدرسة هي الواجهة الشرقية تمتد حوالي 200متر تتوسطها كتلة المدخل المرتفعة عن الواجهة بحوالي عشرة أمتار ارتفاعها حوالي 25 متر تتوسطها فتحة المدخل المعقودة بعقد مدبب يعلوها حشوة مستطيلة مكسوة بالبلاطات الخفية عليها كتابات قرآنية وقد قسمت الواجهة مثل باقي مدارس القرن السادس عشر إلى دخلات تفتح بها نوافذ القاعات، وبطرفي الواجهة منارتين مكسوتين ببلاطات القاشاني ذات الزخارف الهندسية الملونة على أرضية زرقاء يعلو كل منارة جوسق من ثمانية أعمدة تحمل خوذة مدببة، أما باقي الواجهات فبكل من الواجهة الغربية والشمالية مساحة بارزة أما المساحة الموجودة بالجهة الغربية بها شطف في زواياها الخارجية وتغطيها قبة ذات رقبة طويلة مكسوة

ببلاطات خزفية زرقاء أما المساحة الموجودة في الجهة الشمالية فتغطيها ستة قباب صغيرة وبزواياها الخارجية منارتين صغيرتين وتفتح باقي الواجهات على الخارج بنوافذ تمثل واجهات القاعات وغرف الطلاب.

داخل المدرسة:

داخل المدرسة تحيط الوحدات بالصحن المكشوف من جميع الجهات فمن الجهة الشرقية على جانبي كتلة المدخل يوجد ممرين طويلين يفتح كل ممر على قاعة مربعة موسعة بأربعة إيوانات وتعلوها قبة كانت أغلب الظن قاعات للدرس كل قاعة تغطيها قبة ذات رقبة مرتفعة مزدوجة من طبقتين الخارجية مكسوة ببلاطات الخزف الزرقاء (شكل 5) بالإضافة إلى مجموعة أخرى من القاعات المختلفة الأشكال والمساحات وبالتالي مختلفة في الوظيفة، أما الجهة الغربية فيتوسطها إيوان هو الإيوان الأساسي للمدرسة وهو موجود داخل المساحة البارزة عن الواجهة الغربية وبضلعه الجنوبي الغربي محراب وتغطي هذا الإيوان قبة مرتفعة لها رقبة عالية عليها بلاطات تحمل آيات قرآنية، أما الضلع الشمالي فيتوسطه إيوان يؤدي إلى مساحة مغطاة بستة قباب ضحلة أغلب الظن أنها كانت قاعة للدرس أو مكتبة وعلى جانبي الإيوان توجد مجموعة من الغرف في طابقين ربما كانت مخصصة لإقامة الطلاب ويشبه الضلع الجنوبي الضلع الشمالي ولكن مع عدم وجود المساحة البارزة (شكل 4، ولوحة4) ومن الظواهر الجديرة بالملاحظة في هذه المدرسة هو كثرة استخدام زخارف الطوب وصف الطوب أو ما يعرف بالطابوق بطريقة هندسية بديعة تعطي أشكالا غاية في الروعة والجمال (لوحة5).

(4) مدرسة عبد الله خان:

تقع هذه المدرسة بمجمع قوش ببخاري بالقرب من مدرسة

مادري خان وترجع لنفس منشئ مدرسة مادري خان وهوالملك عبد الله خان الشيباني لكن تاريخ إنشاؤها يرجع إلى مابعد مدرسة مادري خان بحوالي ربع قرن حيث يرجع تاريخ إنشاء هذه المدرسة إلى سنة 1590م[17].

الوصف المعماري للمدرسة:

تشغل هذه المدرسة مساحة مستطيلة امتدادها من الشرق إلى الغرب حوالي 300متر ومن الشمال إلى الجنوب حوالي 160 متر تتكون من صحن أوسط مكشوف مستطيل تفتح عليه الوحدات ويوجد مساحات بارزة في كل من الجهة الغربية والشمالية

واجهات المدرسة:

الواجهة الأساسية للمدرسة هي الواجهة الشرقية تمتد حوالي 160متر على جانبيها منارتين رشيقتين يرتفعان عن الواجهة بحوالي مترين ارتفاعهما حوالي 18متر وفي الزاويتين الأخرتين للمدرسة يوجد منارتين وتتوسط كتلة المدخل الواجهة الشرقية ويبلغ ارتفاعها حوالي 25متر وهي بارزة عن سمت الواجهة بحوالي 4 أمتار يتوسطها دخلة معقودة بها فتحة الدخول إلى المدرسة وقد قسمت الواجهة إلى دخلات معقودة بعقود مدببة زخرفت كوشاتها بالفسيفساء الخزفية شأنها شأن باقي مدارس القرن السادس عشر أما باقي الواجهات فتفتح بها نوافذ بلا زخارف ويوجد بروز في الواجهتين الغربية والجنوبية مثل مدرسة كوكالداش (شكل 6 - ولوحة 6).

داخل المدرسة:

يتوسط الصحن المكشوف المدرسة وهو محاط بالوحدات من جميع

الجهات بالجهة الشرقية توجد قاعتين مربعتين كل قاعة موسعة بأربعة إيوانات أغلب الظن أنها قاعات درس ويعلو القاعتين وكذلك دركاة المدخل قباب ذات رقاب مرتفع تكسوها بلاطات عليها كتابات قرآنية بيضاء بينما كسيت خوذاتها بالبلاطات الزرقاء، أما الجهة الغربية فيتوسطها الإيوان الأساسي وبصدره محراب مسطح ويعلو قبة تشبه القباب الموجودة بالضلع الشرقي وهذا الإيوان موجود داخل المساحة البارزة وعلى جانبي الإيوان تفتح القاعات على الصحن، أما الضلع الشمالي فتتوسطه مساحة بارزة بها منارة رشيقة ربما كانت قاعة كبيرة للدرس وعلى جانبيها وكذلك في الضلع الجنوبي تفتح القاعات وغرف الطلاب في طابقين ولا تفتح مباشرة على الفناء ولكنها تفتح على دخلات تفتح على الفناء المكشوف.

ثانياً: مدارس طشقند:

(1) مدرسة براق خان:

تقع هذه المدرسة في مجموعة حضرة الإمام بطشقند ضمن مجموعة تضم العديد من الآثار الإسلامية وخصوصا ضريح الشيخ أبو بكر قفال الشاشي[(18)] وتنسب هذه المدرسة إلى الأمير نوروز أحمد خان حفيد أبي الخير خان الشيباني والولد الأصغر لسيونج خواجه خان كان، نوروز حاكما على طشقند فيما بين سنة 1551 - 1556م وتولي الحكم في بلاد ما وراء النهر كلها وحكمها باسم براق خان[(19)] وقد أنشا نوروز خان المدرسة بجوار القبة الضريحية التي تنسب إلى أبو سعيد بن كجوكونجي ثالث خانات الشيبانيين والتي دفن فيها أيضا سيونج خان مؤسس فرع أسرة الشيبانيين بطشقند[(20)].

الوصف المعماري للمدرسة:

تشغل المدرسة مساحة مستطيلة أبعادها من الشرق إلى الغرب حوالي 400متر ومن الشمال إلى الجنوب حوالي200 متر وتتكون المدرسة من صحن أوسط مكشوف تحيط به الوحدات من جميع الجهات.

الواجهات:

للمدرسة أربعة واجهات الواجهة الأساسية هي الواجهة الشرقية يتوسطا كتلة المدخل وهي بارزة عن سمت الواجهة بحوالي أربعة امتار ومرتفعة عن الواجهة بحوالي عشرة أمتار تشغلها فتحة معقودة بعقد مدبب تشغل طاقيته أشكال مثلثات كروية وقد زخرفت كوشتي عقد المدخل وكذلك كوشات عقود دخلات الواجهة ببلاطات وفسيفساء خزفية ذات زخارف هندسية ونباتية كما زخرفتا عضادتي كتلة المدخل بالفسيفساء الخزفية الملونة خصوصا الحمراء والزرقاء داخل مساحات مستطيلة معقودة (لوحة 7) كما شغلت باقي واجهات المدرسة دخلات معقودة كوشاتها مزخرفة بالفسيفساء والبلاطات الخزفية الملونة.

داخل المدرسة:

تصل إلى داخل المدرسة عبر دركاة المدخل المغطاة بقبة ذات قطاع مدبب من طبقتين يتكون داخل المدرسة من صحن أوسط مكشوف تفتح عليه الوحدات فمن الجهة الغربية يطل إيوان المدرسة على الصحن بكتلة بارزة يشغلها دخلة معقودة أسفلها فتحة الدخول إلى الإيوان تعلوه نافذتين مزخرفتين بأحجبة من الجص المفرغ في زخارف هندسية بديعة (لوحة 8) وقد غطي الإيوان بقبة كبيرة من طبقتين مكسوة من الخارج ببلاطات القاشاني الزرقاء وبكل من الأضلاع الشمالي والجنوبي والشرقي توجد غرف الطلاب.

الضريح:

بالزاوية الجنوبية الشرقية للصحن يوجد ضريح سيوينج خان وهو عبارة عن مساحة مربعة يشغل كل ضلع من أضلاعها دخلة عميقة[21] وكانت تكسو هذه القبة بلاطات زرقاء انهارت وتم تجديدها في سنة 1994 تحت إشراف إدارة التراث بوزارة الثقافة الأوزبكية (لوحة 9 وشكل 9 - 10) وتتميز مدرسة براق خان بكتاباتها القرآنية البيضاء على أرضية زرقاء وكذلك بزخارفها المحفورة على مصاريع أبوابها الخشبية وهي زخارف نباتية وهندسية (لوحة 11 - 12).

(2) مدرسة كوكالداش بطشقند

تقع هذه المدرسة في مدينة طشقند في منطقة شرسو القديمة عند تقاطع شارع نوائي مع شارع أنجله بوشكن وتنسب إلى الأمير كوكالداش أنشأها في سنة 1569م[22].

الوصف المعماري للمدرسة:

تشغل هذه المدرسة مساحة مستطيلة أبعادها من الشرق إلى الغرب حوالي600 متر ومن الشمال إلى الجنوب حوالي 400 متر تتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به الوحدات من جميع الجهات.

الواجهات:

الواجهة الأساسية هي الواجهة الشرقية تتوسطها كتلة المدخل والتي ترتفع عن الواجهة بحوالي عشرة أمتار وتشغلها دخلة معقودة بعقد مدبب كما تشغل باقي الواجهة دخلات معقودة وقد زخرفت كوشات العقود وكذلك عضادتي كتلة المدخل بالفسيفساء الخزفية الملونة ذات الزخارف الهندسية كما توجد كتابات قرآنية فوق عقد المدخل وفي طرفي الواجهة

توجد منارتين مكسوتين بالفسيفساء الخزفية تعلو كل منارة جوسق يعلوه خوذة مغطاة بصفايح الرصاص، أما باقي واجهات المدرسة فتفتح على الخارج دون دخلات وتمثل واجهة غرف الطلاب.

داخل المدرسة:

داخل المدرسة عبارة عن صحن مكشوف محاط بالوحدات من جميع الجهات والجهة الغربية هي الأساسية وبها إيوان المدرسة على جانبيه عدد من الغرف كذلك يوجد قاعتين كبيرتين للدرس في طرفي الضلع الشرقي كل قاعة عبارة عن مساحة مربعة موسعة بإيوانات من جميع الجهات ومغطاة بقبة، أما باقي أضلاع المدرسة فتفتح فيها غرف الطلاب ومرافق المدرسة ولكن لاتفتح مباشرة على الصحن بل على دخلات تفتح على الصحن (انظر المسقط الأفقي شكل11).

مميزات عمارة المدارس في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي:

وأخيرا ومن خلال هذه الدراسة نستطيع أن نوجز أهم مميزات عمارة المدارس الأوزبكية في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي فيما يلي:

1- مدارس القرن العاشر كلها مستطيلة تمتد كتلتها من الشرق إلى الغرب مع انحراف بسيط جهة القبلة (الجنوب الغربي)[23].

2- تتكون المدارس من صحن أوسط مكشوف تحيط به الوحدات من جميع الجهات.

3- الواجهة الأساسية عادة هي الواجهة الشرقية وعادة يوجد على جانبيها منارتين أحيانا بنفس ارتفاع الواجهة وأحيانًا أكثر قليلا

وتتوسط الواجهة الأساسية كتلة المدخل.

4- المنارات الموجودة بطرفي الواجهة أحيانا يعلوها جوسق وأحيانا تمتد كأبراج قطرها من أسفل أكبر من قطر سطحها العلوي لتدعيم البناء وعادة تكسي بالبلاطات والفسيفساء الخزفية الملونة خصوصا اللون الأزرق.

5- الواجهة الأساسية عادة يشغلها دخلات معقودة بعقود مدببة عادة تزخرف كوشاتها بالبلاطات والفسيفساء الخفية ذات الزخارف النباتية والهندسية وتفتح النوافذ أسفل هذه الدخلات.

6- النوافذ في الواجهات الأخري غير الشرقية عادة تفتح بدون دخلات وعادة تمثل نوافذ غرف الطلاب المطلة على الخارج.

7- كتلة المدخل أحيانا تبرز عن الواجهة الأساسية وأحيانا تكون بنفس مستواها تتوسطها دخلة المدخل وهي عادة معقودة بعقد مدبب كوشتيه مزخرفتين بالبلاطات والفسيفساء الخزفية في زخارف هندسية ونباتية بديعة.

8- أحيانا توجد فوق عقد المدخل مساحة مستطيلة عليها بلاطات خزفية عليها آيات قرآنية باللون الأبيض على أرضية زرقاء وأحيانا تزخرف عضادتي المدخل بمساحات مستطيلة داخلها بلاطات وفسيفساء خزفية ذات زخارف ملونة.

9- تؤدي دخلة المدخل عادة إلى دركاة مغطاة بقبة أو بقبو مزخرف بالبلاطات الخزفية وتؤدي الدركاة إلى الفناء.

10- الإيوان الأساسي للمدرسة يوجد في الضلع الغربي منها وعادة تعلوه قبة ويوجد بصدره محراب صغير عليه آيات قرآنية.

11- يوجد على جانبي الإيوان الغربي قاعات للدرس عادة تتكون من مساحة مربعة موسعة بإيوانات (سدلات) من جوانبها الأربعة وتغطيها قبة.

12- وجدت بعض قاعات الدرس بالضلع الشرقي من المدرسة على جانبي كتلة المدخل كانت تتكون أيضا من مساحة مربعة موسعة بسدلات وتغطيها قبة أو قبو.

13- الضلعان الشمالي والجنوبي يوجد بهما غرف الطلاب والمخازن ومرافق المدرسة.

14- وحدات المدرسة لاتفتح مباشرة على الصحن وإنما تفتح على دخلات تفتح على الصحن وفي الطابق الثاني تفتح على ممر يشرف على الصحن بدرابزين.

15- بعض المدارس موسعة بمساحات تبرز عن سمت كتلتها خصوصا في الضلعين الغربي والجنوبي.

16- بعض المدارس تشتمل على أضرحة ملحقة بها عادة منشئ المدرسة سواء كان سلطانا أو شيخا.

17- القباب عادة في هذا القرن لها رقاب طويلة عليها بلاطات خزفية عليها آيات قرآنية بيضاء على أرضية زرقاء أما خوذات القباب فعادة تكسي بالبلاطات الزرقاء.

18- شاع استخدام الأجر المختلف الأشكال والأحجام في تلك الفترة في بلاد ماوراء النهر وهي في ذلك تشبه إيران وأفغانستان(24).

* * *

المراجـع

1- Uzbekistan organezation: Tashkent is a capital of Islamic culture, Tashkent, 2007، p11.

2- Poligral: Ancient Paikend, Tashkent 2007. p. 9.

3- د بونغـارد لـيفن: الجديـد حـول الشـرق القـديم، ترجمـة جـابر أبـي جابر، موسكو 198ص 121.

4- د عبد الشـافي محمد عبد اللطيـف: الفتح الإسـلامي لبلاد مـا وراء النهر وانتشار الإسلام هناك، المؤتمر الـدولي (المسـلمون فـي آسـيا الوسطي والقوقاز الماضـي والحاضر والمستقبل)، جامعـة الأزهـر القاهرة 1992 ص9.

5- د طـه نـدا: بخـارى، بحـث بمجلـة كليـة الآداب جامعـة الإسـكندرية، العدد التاسع عشر، الإسكندرية 1965، ص 39.

6- د حســن أحمــد محمــود: الإســلام والحضــارة العربيــة فــي آســيا الوسطي، القاهرة 1968م ص 125.

7- د محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، القاهرة 1965م، ص 81.

8- الخوارزميـة نسبة إلـى خـوارزم وهـو اسـم الإقلـيم وهـي كلمـة مـن مقطعـين خـوار بمعنـي لحـم ورزم بمعنـي الحطـب وجـري حـذف إحـدي الـراءين اسـتثقالا لتكرارهـا والمعنـي الإجمـالي أنهـا أرض اللحم والحطـب أي الطعـام الموفـور. انظـر يـاقوت الحمـوي: معجـم البلدان، الجزء الثاني، ص 395.

9- د صبري سليم: الأتراك الخوارزميون في الشرق الأدني الإسلامي 68 - 644هـ، القاهرة 2000م، ص 21.

10- د سعد حذيفة الغامدي: الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند وتاريخ الدول الإسلامية في المشرق حتى الغزو المغولي، الرياض 1417هـ، ص 556.

11- د إبراهيم إبرهيم عامر: العمارة في سمرقتد في العهد التيموري، بحث بندوة آثار شرق العالم الإسلامي - كلية الآثار جامعة القاهرة 1998م ص119.

12- كلمة أوزبك تعني سيد نفسه أو المستقل وقد أطلق سكان الإقليم الواقع بين الفولجا وبحر أرال هذا الاسم على قبيلتهم نسبة إلى الحاكم أوزبك تاسع الحكام من بيت جوجي والذي كان مشهورا بكرم وحسن سيرته فسموا علس اسمه اعتزازا به وحبا له، انظر أرمينيوس فامبري: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة د. أحمد محمود الساداتي 1982، ص296.

13- فيتالي تومكين: سمرقند، ترجمة د صلاح صلاح، المجمع الثقافي أبوظبي 1996، ص17.

14- د حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة 1983، ص 244.

15- أرمينيوس فاميري: تاريخ بخارى، ص 306.

16- Organization of Uzbekistan: The Monuments of Islam, Tashkand 2002, p112.

17- Г.А. Пугаченкова А.И. Ремиель Выдающиеся памятники архитектуры Узбекистана Ташкент 1958 стр. 197

18- Organization of Uzbekistan: The Monuments of Islam،p236.

19- Ibid، p237

20- Русский архив. Управление Охраны древних памятников

21- Узбекский архив Управление Охраны древних памятников

22- Управление Охраны древних памятников Узбекский архив

23- الحكومة الأوزبكية: إدارة حفظ التراث، مجموعة حضرة الإمام (حست إمام) مدينة طشقند 2002، ص 6.

24- وزارة الثقافة الأوزبكية: الآثار الإسلامية في أوزبكستان، طشقند 2002م، ص 240.

25- د شبل إبراهيم شبل عبيد: دراسة أثرية معمارية لمدرسة براق خان بمدينة طشقند، بحث بندوة آثار شرق العالم الإسلامي، كلية الآثار - جامعة القاهرة 1998م، ص 198.

26- د شبل عبيد: مدرسة براق خان، ص 173.

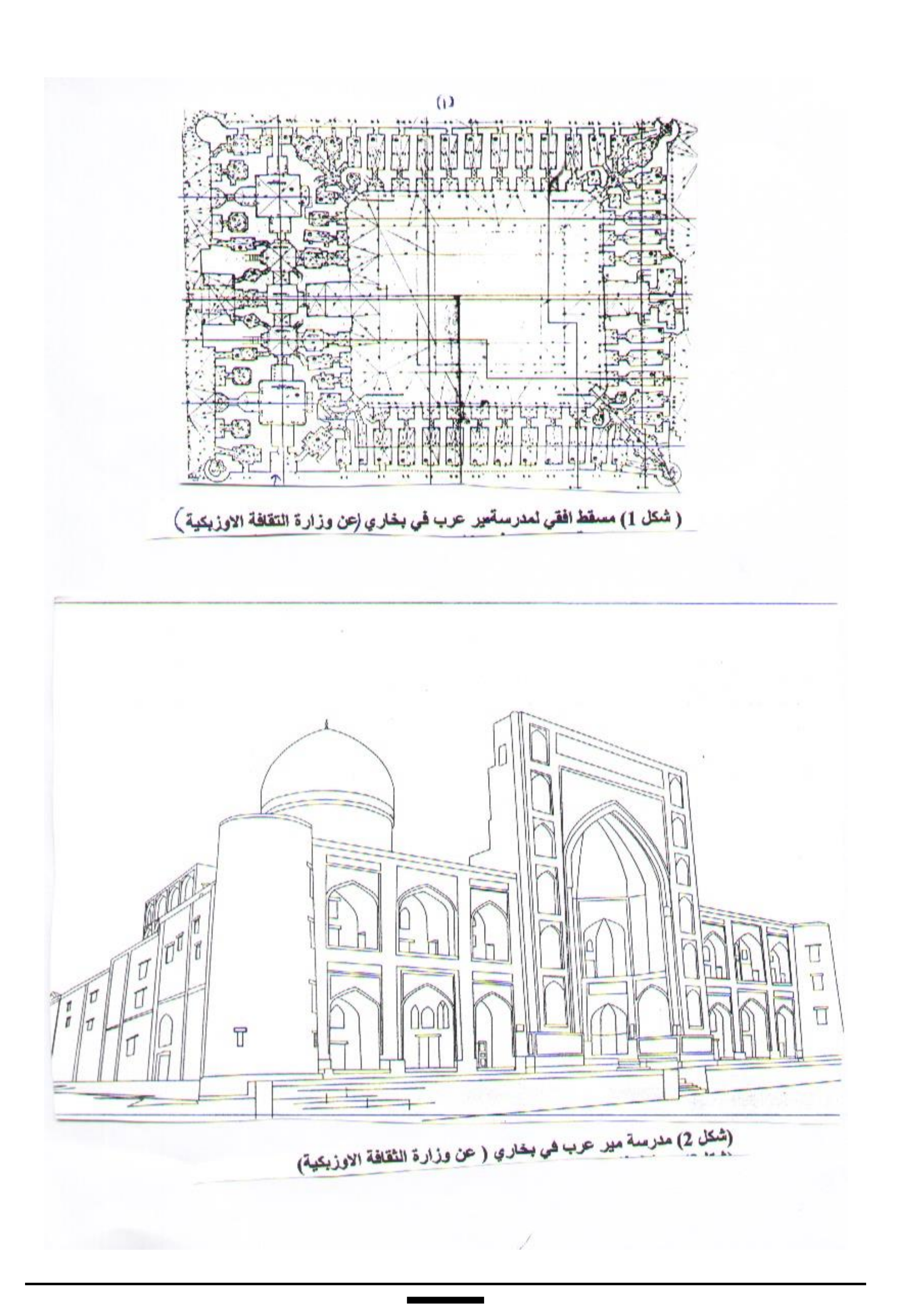
27- Энциклопедия Ташкент 1984 стр. 179

28- Dayid radzinowicz: Samarkand‹Bukhara‹khiva. lonon 2001, p200.

29- Andrew Peterson:Dictionary of Islamic architecture, London, 1999, p 303.

* * *

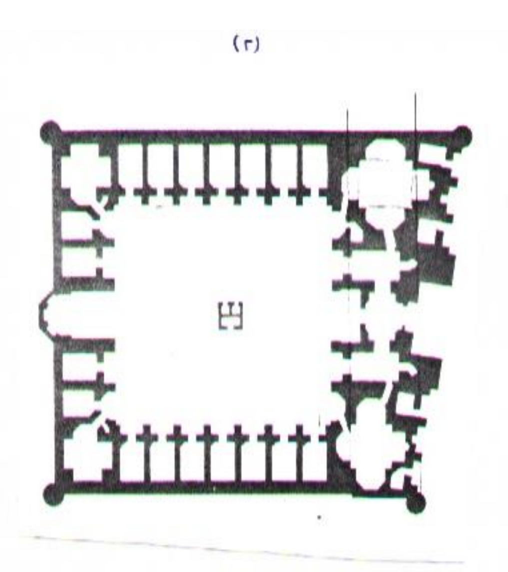
الأشكـال



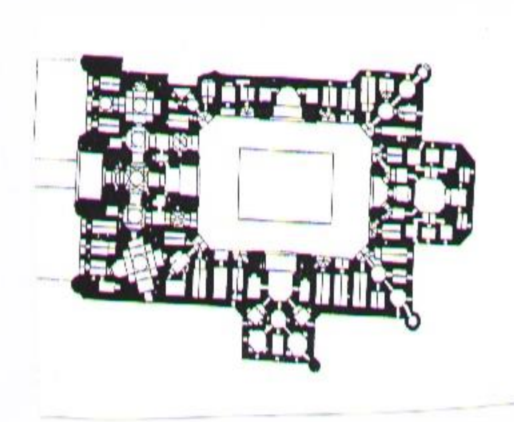
(شكل 1) مسقط افقي لمدرسةمير عرب في بخاري (عن وزارة الثقافة الاوزبكية)

(شكل 2) مدرسة مير عرب في بخاري (عن وزارة الثقافة الاوزبكية)

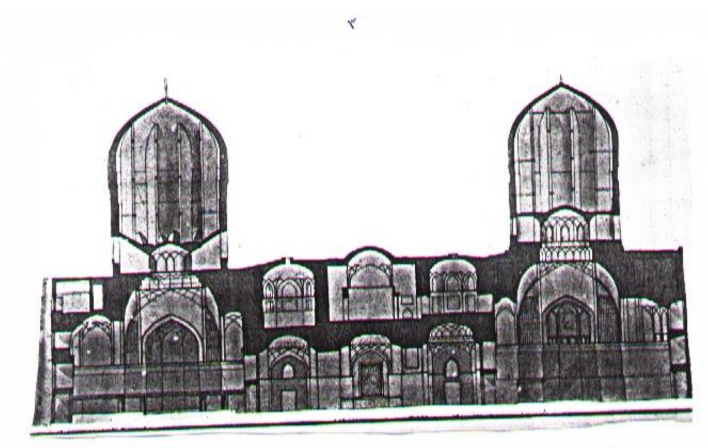
(٣)



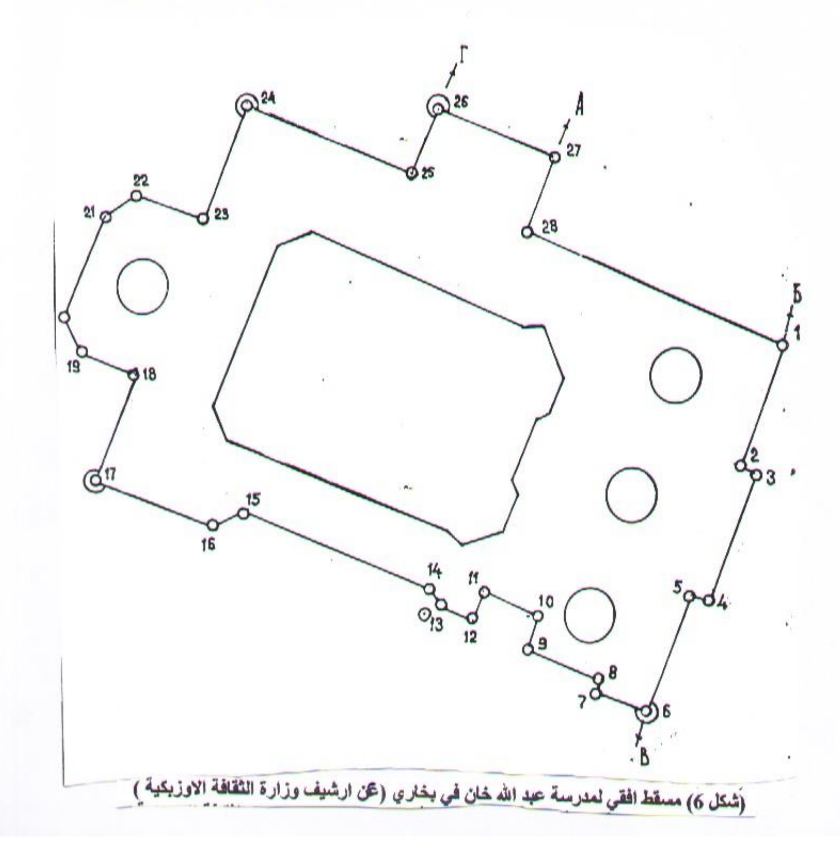
(شكل3) مسقط افقي لمدرسة مادر خان ببخاري (عن ارشيف وزارة الثقافة الاوزبكية)



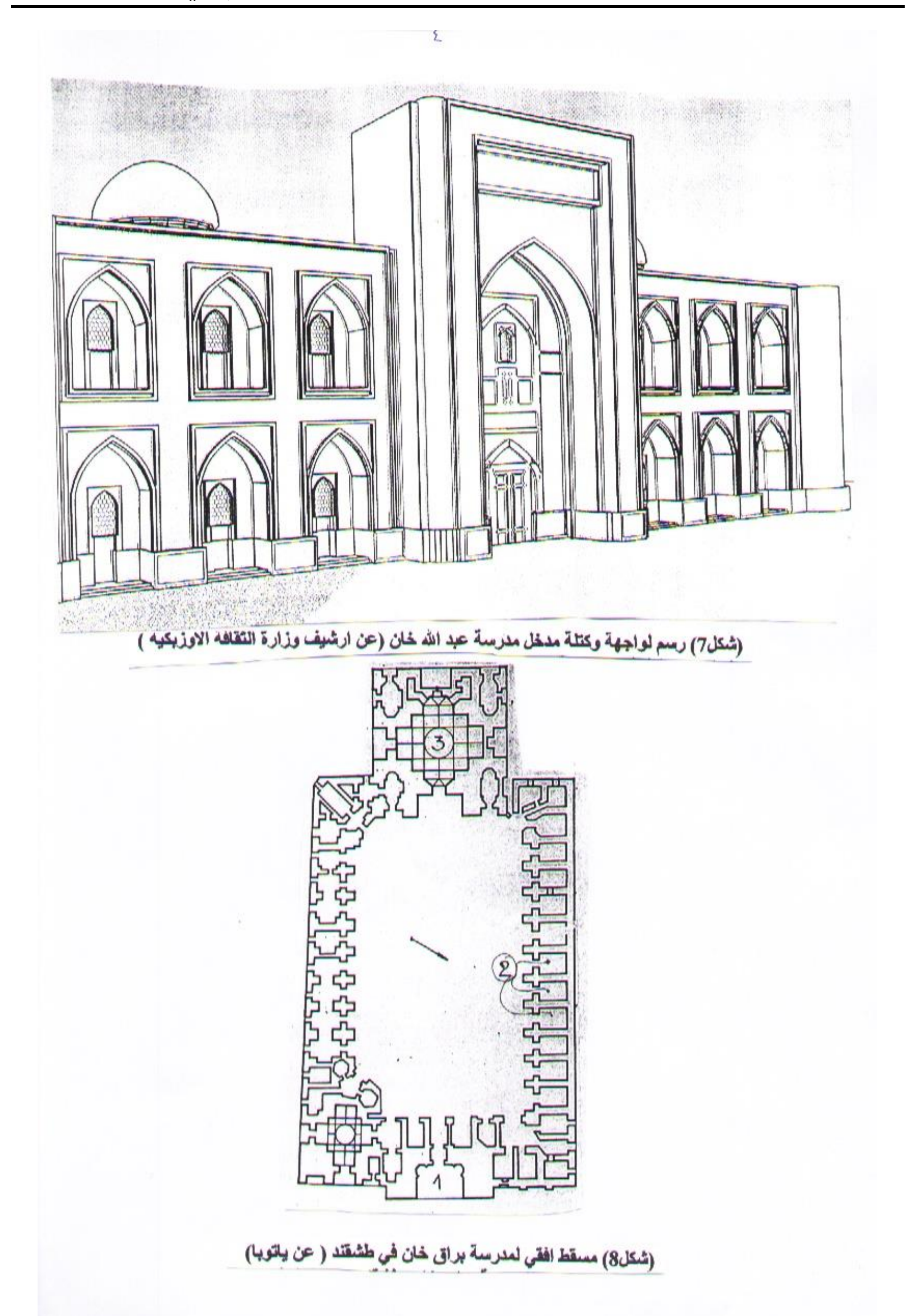
(شكل4) مسقط افقي لمدرسة كوكالداش ببخاري (عن فلامريون)



(شكل5) قطاع راسي بمدرسة كوكالداش ببخاري (عن ارشيف وزارة الثقافة الاوزبكيه)

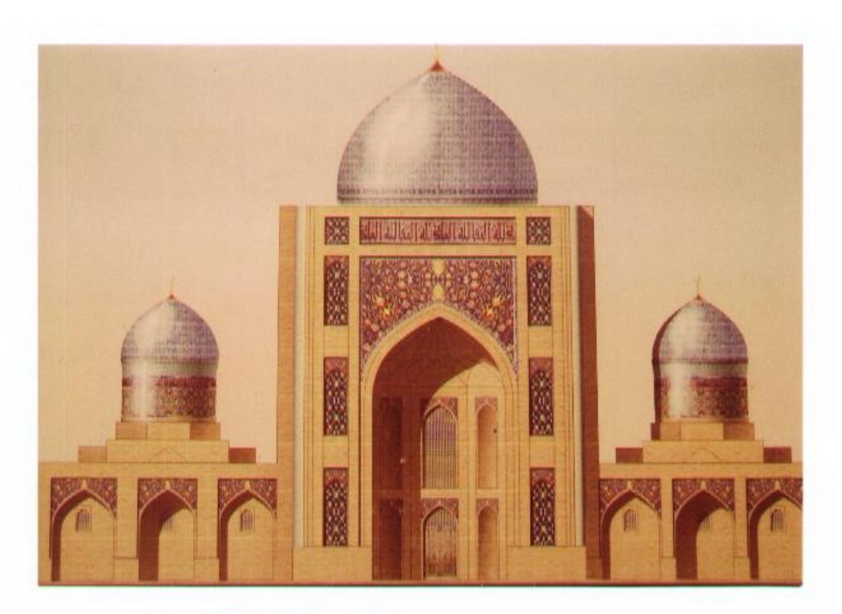


(شكل 6) مسقط افقي لمدرسة عبد الله خان في بخاري (عن ارشيف وزارة الثقافة الاوزبكية)

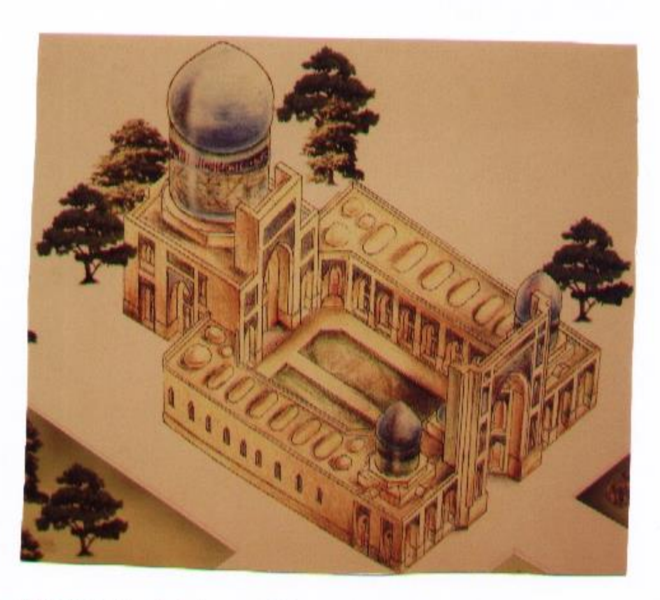


(شكل7) رسم لواجهة وكتلة مدخل مدرسة عبد الله خان (عن ارشيف وزارة الثقافه الاوزبكيه)

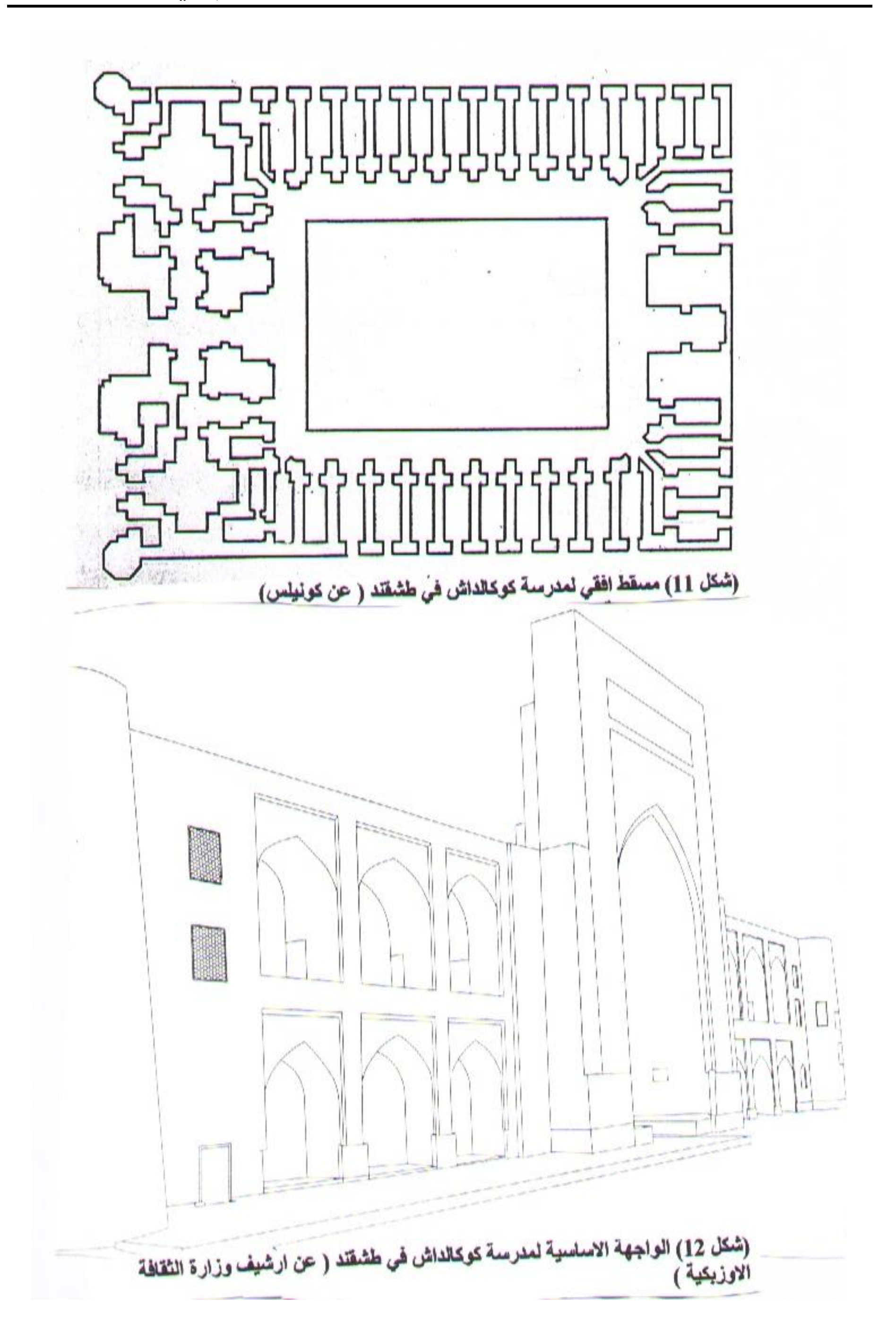
(شكل8) مسقط افقي لمدرسة براق خان في طشقند (عن ياتوبا)



(شكل9)رسم ملون لمدرسه براق خان بطشقند (عن ارشيف وزارة الثقافة الاوزبكية)



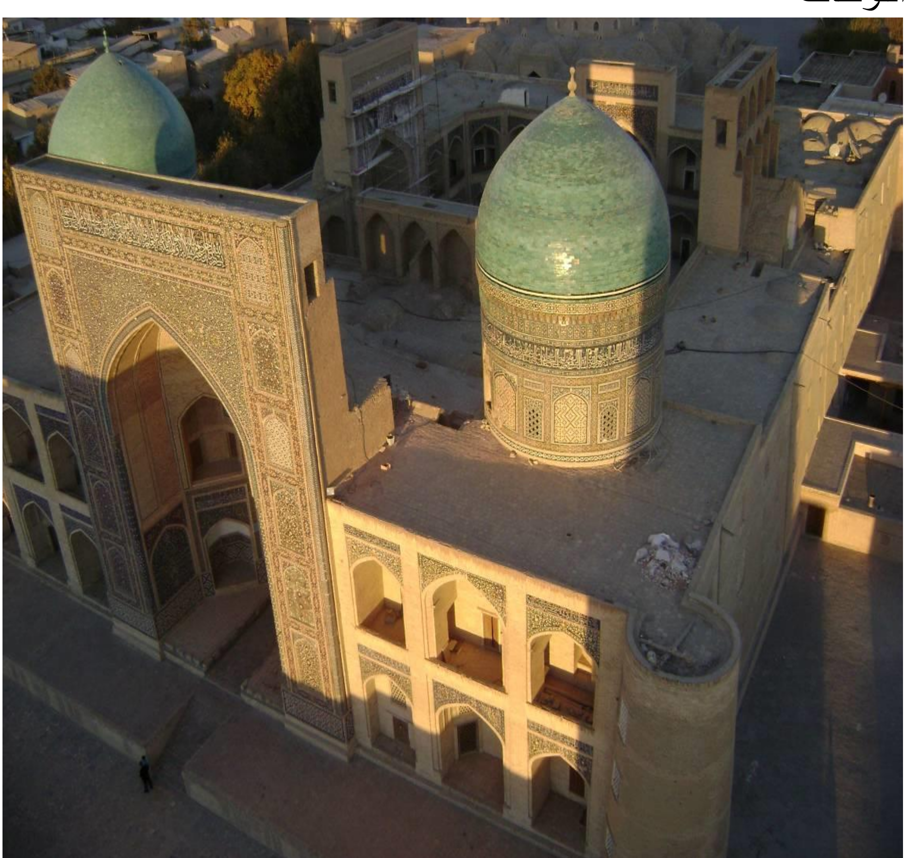
(شكل 10) منظور ملون لمدرسة براق خان في طشقند (عن ارشيف وزارة الثقافة الاوزبكية)



(شكل 11) مسقط افقي لمدرسة كوكالداش في طشقند (عن كونيلس)

(شكل 12) الواجهة الاساسية لمدرسة كوكالداش في طشقند (عن ارشيف وزارة الثقافة الاوزبكية)

اللوحات



لوحة (مدرسة مير عرب ببخاري صورة من أعلي)

(تصوير الباحث)



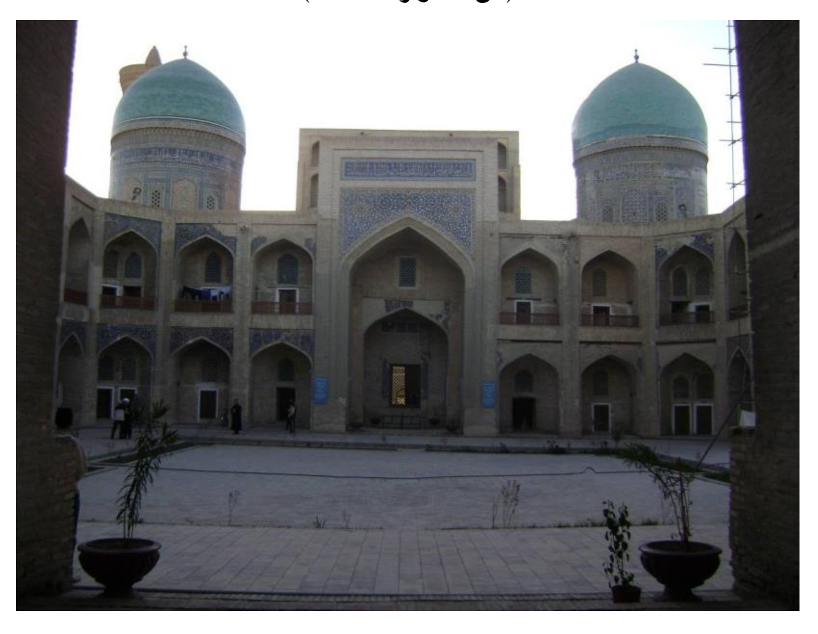
لوحة 2 مدرسة مير عرب منظر عام من الجهة الجنوبية الشرقية

(تصوير الباحث)



لوحة 3 مدرسة مير عرب من الداخلومباني الجهة الشرقية

(من تصوير الباحث)



لوحة 4 فناء مدرسة مير عرب ومباني الجهة الغربية (تصوير الباحث)



لوحة 5 الإيوان الشرقي بمدرسة مير عرب وأعمال الترميم به

(تصوير الباحث)



لوحة 6 كتابات قرآنية خزفية على جدران مدرسة مير عرب ببخاري

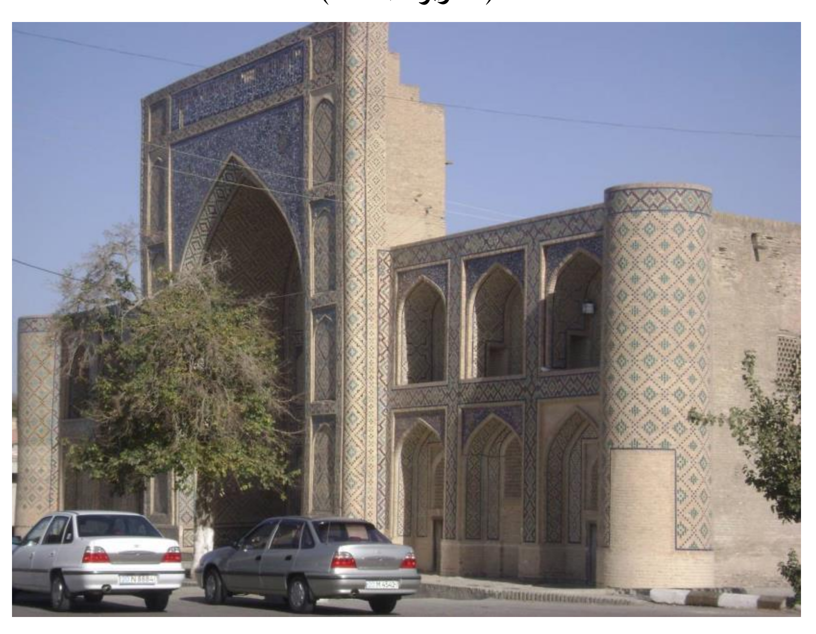
(تصوير الباحث)



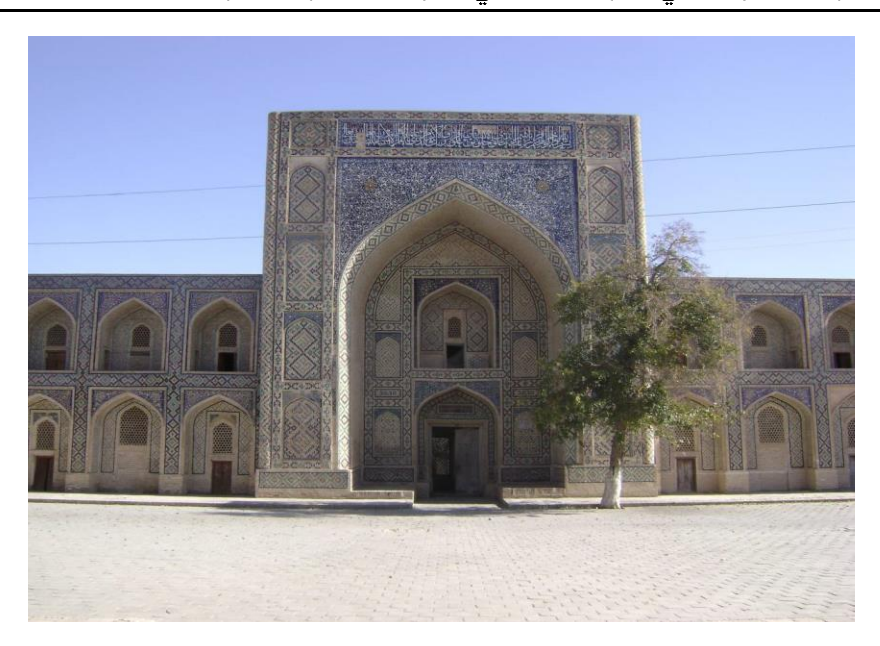
لوحة 7 زخارف هندسية خزفية داخل مدرسة مير عرب ببخاري (تصوير الباحث)



لوحة 8 التركيبة الخشبية فوق قبر مير عرب الملحق بمدرسته ببخاري (تصوير الباحث)



لوحة 9 منظر عام لمدرسة مادر خان ببخاري (تصوير الباحث)



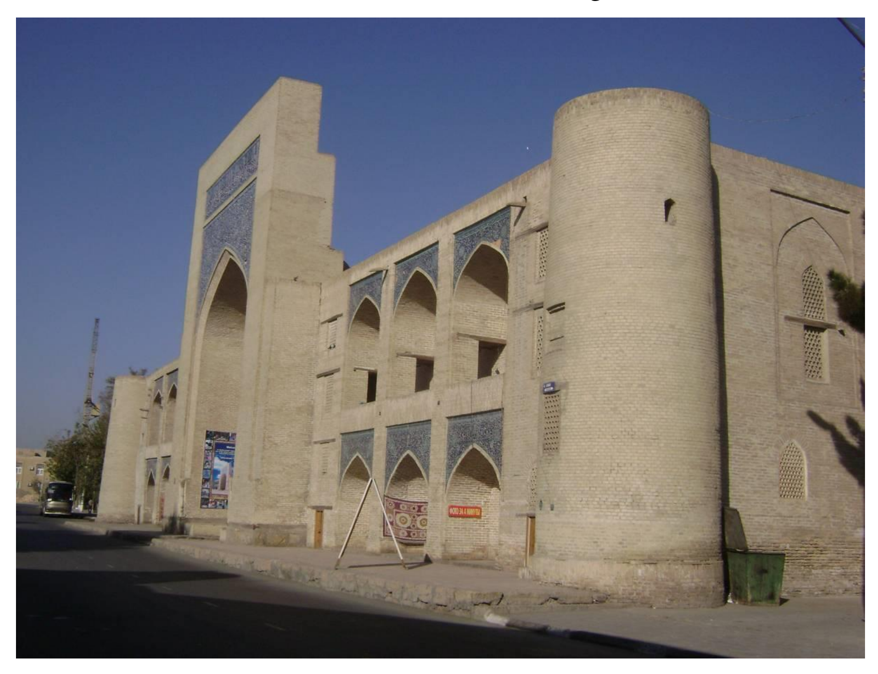
لوحة 10 الواجهة الرئيسية (الشرقية) لمد رسة مادر خان ببخاري (تصوير الباحث)



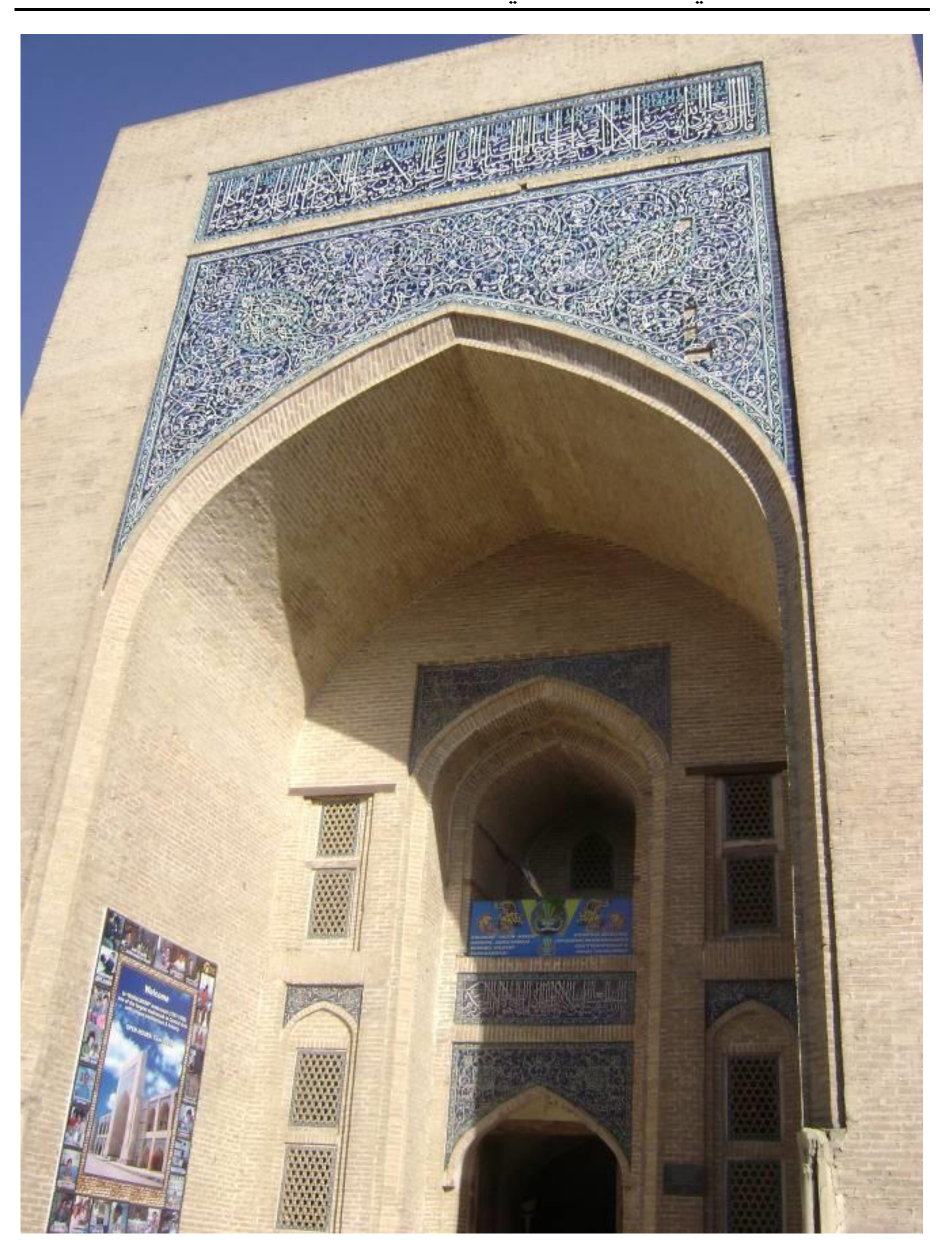
لوحة 11 الزخارف الخزفية بالجزء الأيسر من الواجهة الرئيسية لمدرسة مادر خان (تصوير الباحث)



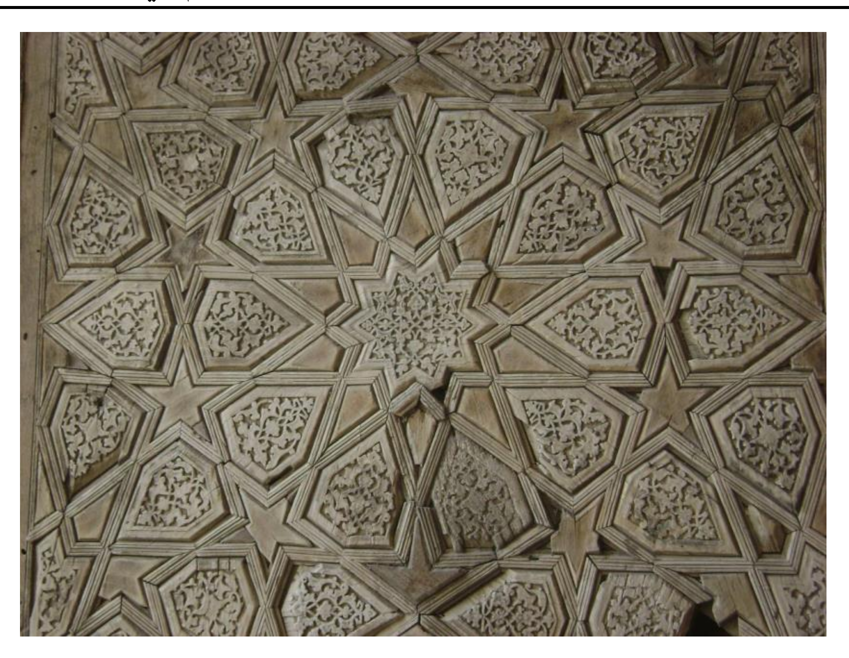
لوحة 12 داخل مدرسة مادر خان ببخاري (تصوير الباحث)



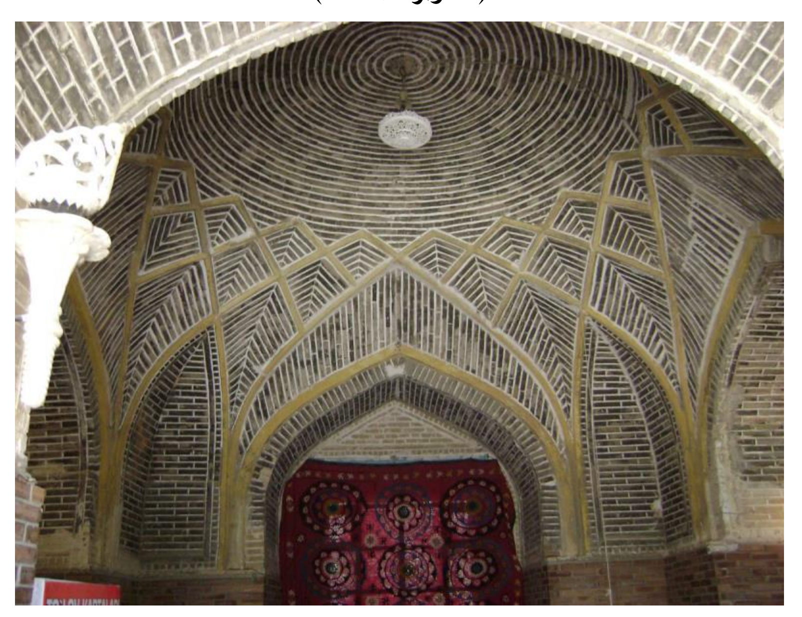
لوحة 13 منظر عام لمدرسة كوكالداش ببخاري (تصوير الباحث)



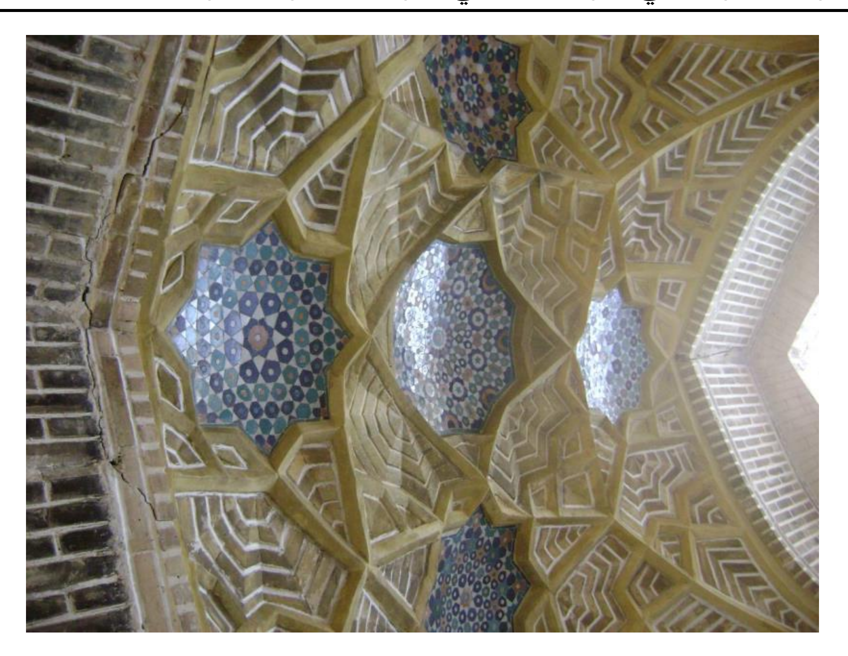
لوحة 14 كتلة مدخل مدرسة كوكالداش ببخاري (تصوير الباحث)



لوحة 15 حشوات خشبية (طبق نجمي) من باب مدرسة كوكالداش ببخاري (تصوير الباحث)



لوحة 16 دركاة مدخل مدرسة كوكالداش ببخاري (تصوير الباحث)



لوحة 17 الجمع بين زخرفة الطوب والفسيفساء الخزفية بمدرسة كوكالداش بخارى (تصوير الباحث)



لوحة 18 تفاصيل لزخارف الفسيفساء بمدرسة كوكالداش ببخاري (تصوير الباحث)



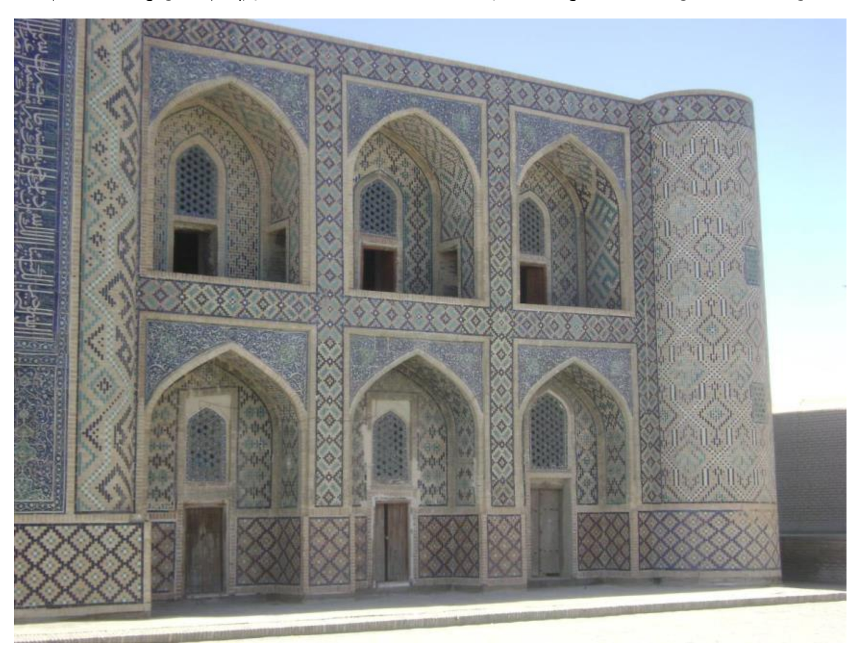
لوحة 19 فناء مدرسة كوكالداش بخارى والوحدات المطلة عليه (تصوير الباحث)



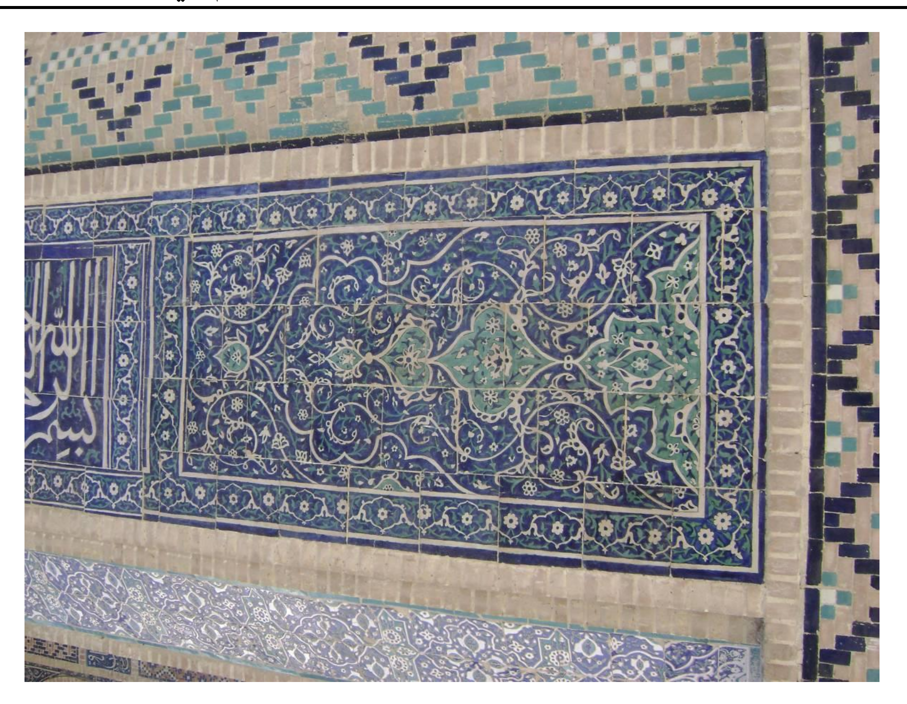
لوحة 20 منظر عام لمدرسة عبد الله خان ببخاري (تصوير الباحث)



لوحة 21 الواجهة الشرقية لمدرسة عبد الله خان ببخاري (تصوير الباحث)



لوحة 22 زخارف واجهة مدرسة عبد الله خان ببخاري (تصوير الباحث)



لوحة 23زخارف خزفية بمدرسة عبد الله خان ببخاري (تصوير الباحث)



لوحة 24 كتابات قرآنية خزفية بمدرسة عبد الله خان ببخاري (تصوير الباحث)



لوحة 25 زخارف فسيفساء خزفية بمدرسة عبد الله خان ببخاري (تصوير الباحث)



لوحة 26 منظر عام لمدرسة براق خان بطشقند (تصوير الباحث)



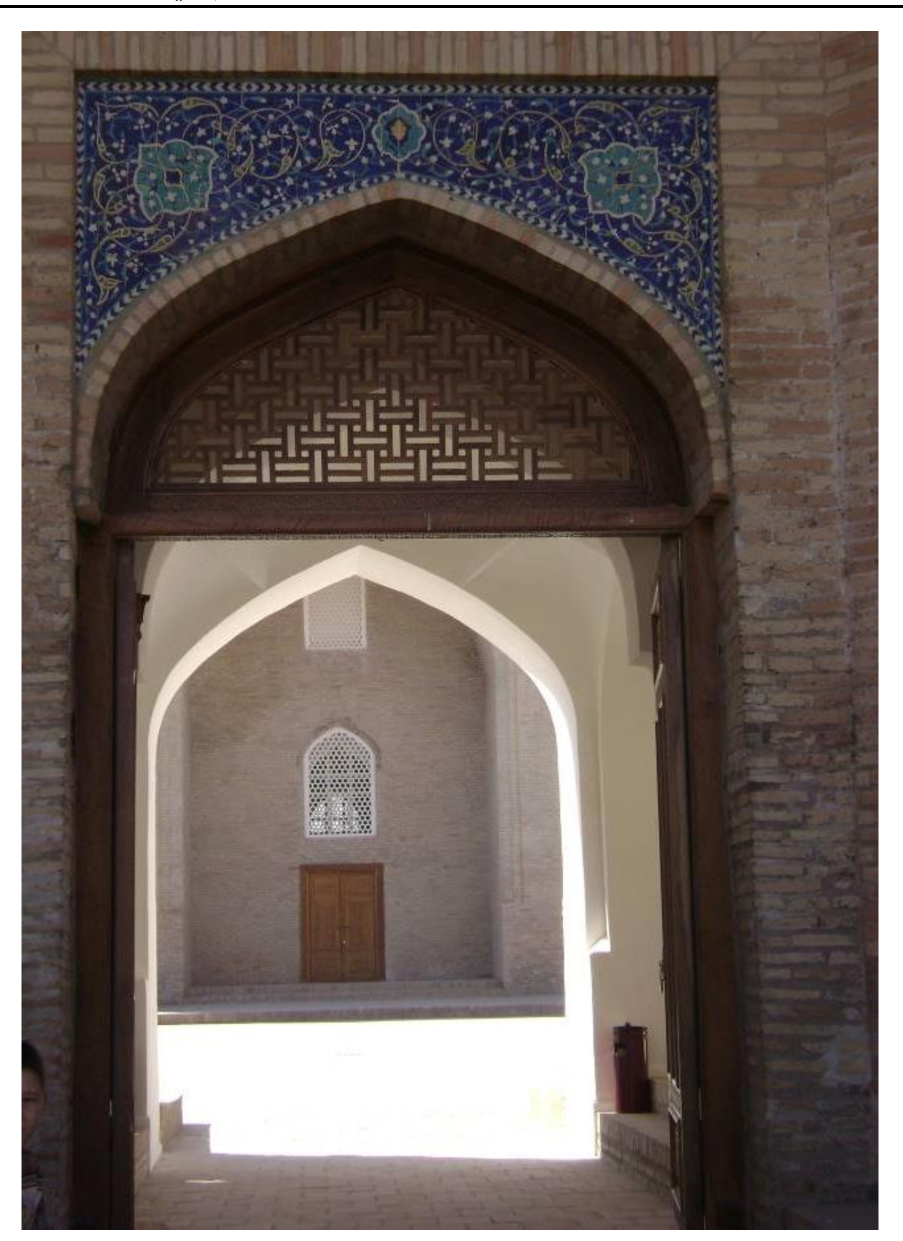
لوحة 27 كتلة المدخل بمدرسة براق خان بطشقند

(تصوير الباحث)



لوحة 28 داخل مدرسة براق خان بطشقند

(تصوير الباحث)



لوحة 29 الممر في الجهة الشرقية من فناء مدرسة براق خان

(تصوير الباحث)



لوحة 30 القبة الضريحية بمدرسة براق خان بطشقند

(تصوير الباحث)



لوحة 31 مدرسة كوكالداش طشقند (منظر عام) (تصوير الباحث)



لوحة 32 واجهة مدرسة كوكالداش طشقند (تصوير الباحث)



لوحة 33 تفاصيل من واجهة مدرسة كوكالداش طشقند (تصوير الباحث)



لوحة 34 داخل مدرسة كوكالداش طشقند (تصوير الباحث)



لوحة 35 احدي المنارتين الموجودتين بطرفي واجهة مدرسة كوكالداش طشقند

(تصوير الباحث)

*** * ***

الأوزبك في تركيا

الأوزبك في تركيا (*)
العلاقات الأوزبكية - التركية قديما وحديثا

د. أكرم كولشن

تعد تركستان من خلال الآراء المختلفة[1] في دنيا العلم - من حيث كونها الوطن الأول للأتراك - هي المكان الذي ظهر فيه اسم وتاريخ وثقافة وحضارة وتراث الأتراك. وقد تأسست أول دولة تركية معروفة في التاريخ وهي دولة الخون عام 209 ق.م وذلك على حسب ما أوردته المصادر. ثم ظهرت بعدها على مسرح التاريخ بالترتيب دولة الجوك تورك الأولى والثانية (552 - 742) تلك الدولة التي كانت مشهورة بآثار أورخون، ثم دولة الأيغور(**) (752 - 1209) التي خلفت ورائها آثارا حضارية كبرى. ومن المعلوم أن الكثير من الأقوام التركية أسست دولا قبل الإسلام، منها: دولة القيرغيز، والسيبير، والآق خون، والآوار، والخزر، والبلغار، والتورجيش، والقارلوق، والمجر، والبتشناك، والأغوز والقبجاق[2].

(*) Dr. Ekrem GÜLŞEN, Sakarya Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Türkiye. egulsen@sakarya.edu.tr

(1) Daha geniş bilgi için bkz. Mehmet Saray, Özbek Türkleri Tarihi, İstanbul 1993, s. 11-13.

(**) تقع في إقليم شينج يانج شمال غرب الصين ويسمى تركستان الشرقية، 90% من سكانه مسلمين (المحرر).

(2) Saray, a.g.e., s. 13.

وقد شكلت دول القرخانيين (920 - 1212) والغزنويين (962 - 1183)، والسلاجقة (1040 - 1157) أزهى عهود التاريخ التركي الإسلامي بدخول الأتراك في الإسلام في القرنين التاسع والعاشر[1]. وفي عهد جنكيز خان (1206 - 1227) سيطر المغول على منطقة وسط آسيا لفترة تزيد عن قرنا من الزمان، وبعد أن سيطر تيمور لنك على المنطقة (1369 - 1405) اتصل الأتراك بالدول التي تأسست في عهده[2]. وبعد انهيار دولة الجيش الذهبي (ألتين أردو) تأسست على أنقاضها العديد من الخانيات الصغيرة. منها خانية أبو الخير من الشيبانيين (الأوزبك)[3]. وقد عُرف الأوزبك بهذا الاسم نسبة لشيبان خان أحد أحفاد جنكيز خان. وثمة اتفاق على أن أبو الخير خان (1428 - 1468) هو مؤسس خانية الأوزبك الشيبانية[4]، وقد أخذ الشيبانيون والقبائل التابعة لهم اسم الأوزبك في القرن الرابع عشر الميلادي[5] وبعد وفاة أبو الخير خان - الذي جعل الأوزبك قوة كبرى في وسط آسيا في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي - عام 1469م[6] تولى بعده محمد شيباني خان (1491 - 1510) وكان عصره

(1) Saray, ayni yer, s. 13.

(2) A. Zeki Velidi Togan, XVI. Asırdan Günümüze Kadar Müstemleke Devrinde Asya Tarihi, s. 103-105; Saray, ayni yer, s. 13.

(3) Togan , a.g.e., s. 35; Saray, ayni yer, s. 13.

(4) Ebu’l-Gâzî Bahadır Han, Şecere-i Türk, Trc. Rıza Nur, İstanbul 1343 h., s. 190; Saray, ayni yer, s. 14.

(5) Rene Grousset, Bozkır İmparatorluğu, Trc. M. Reşat Uzmen, İstanbul 1980, s. 442.

(6) H. Roomer, “Timurlar” Maddesi, İslâm Ansiklopedisi, M.E.B.Yay., XI. s. 357. Ebu’l-Hayr’ın ölüm tarihi 1468 olarak verilir ve kendisinden ayrılan Kazak Oyratlar tarafından

بمثابة العهد الجديد لوسط آسيا أو آسيا الصغرى، فقد تطورت علاقات الأوزبك السياسية بالعثمانيين ووقفوا معهم في حربهم ضد القوة الشيعية في إيران، ومن ثم بدأت مرحلة جديدة من الصراع الصفوي - الأوزبكي(1).

العلاقات العثمانية - الأوزبكية:

بدأت أول علاقات سياسية بين العثمانيين وبين خانيات تركستان في عهد السلطان سليم الأول في القرن السادس عشر. ولم تكن العلاقات بين العالم التركي الشرقي والعالم التركي الغربي قد بدأت في تلك الفترة فقط، بل كانت تمتد لسنوات سابقة قبل تلك الفترة. فقد كانت السيادة التركية في عهد الامبراطورية السلجوقية العظمى تمتد من تركستان إلى غرب الأناضول. ولم يتمزق هذا الاتحاد إلا بعد سيطرة المغول على المنطقة. إلا أن الأتراك الذين استقروا في الأناضول وآسيا الصغرى بدأوا يجتمعون حول دولة سلاجقة الأناضول، ثم حول الدولة العثمانية في القرن الثالث عشر الميلادي(2).

وبالرغم من أن هناك اتفاقا على أن العلاقات العثمانية الأوزبكية بدأت في عهد السلطان سليم الأول، إلا أن تلك العلاقات بدأت قبل ذلك في عهد السلطان بايزيد الثاني، وذلك لأن الشاه إسماعيل الصفوي هزم شيباني

öldürüldüğü zikredilir.

(1) Saray, ayni yer, s. 15; Bkz. Mustafa Budak, Osmanlı Özbek Siyasi Münasebetleri, s.9. (Basılmamış Y. Lisans Tezi,) İst. Ünv. Sosyal Bilimler Ens., İstanbul 1987.

(2) Remzi Kılıç, “Yavuz Sultan Selim Devri (1512-1520) Osmanlı-Özbek Münasebetleri” , Türk Dünyası Tarih Dergisi, İstanbul Kasım 2000, s. 41-42.

خان زعيم الأوزبك في الحرب الأوزبكية الصفوية التي وقعت عام 1510م في محمود آباد بالقرب من مرو، وأرسل رأس شيباني خان مع رسالة تهديد [1] للسلطان بايزيد الثاني، وهو ما يُظهر أن العلاقات العثمانية الأوزبكية كانت قد بدأت قبل سليم الأول[2].

ويمكن القول بأن الفاعليات العدائية للشاه إسماعيل الصفوي التي استخدمها ضد الاتحاد السياسي والديني لتركستان في تطور يشكل تهديد للسيادة الأوزبكية[3]، كان لها دورًا هامًا في الفترة التي بدأ فيها هذا الاتحاد السياسي بين الدولة العثمانية وبين الأوزبك بقيادة محمود شيباني خان الذي قضى على الحكم التيموري في تركستان. من ناحية أخرى كانت التصرفات العدائية للشاه إسماعيل الصفوي على أراضي الأناضول تسبب في نشوب موقعة جالديران، وتأسست على أثرها علاقات سياسية بين الطرفين.

أما أول علاقات رسمية بين الأوزبك والعثمانيين فقد بدأت عندما أرسل السلطان سليم الأول رسالة باللغة الفارسية إلى كوج كونجو خان حاكم سمرقند عام 1514. وفي نهايات نفس العام أرسل حاكم سمرقند ردا للسلطان سليم أوضح له فيه نواياه الحسنة تجاه الدولة العثمانية، وأنه سيتفق معها في كل الأحوال[4].

---

(1) Bu hususta halka yapılan zulümleri anlatan mektuplar için bkz. Solakzâde Mehmet Hemdemi, Solakzâde Tarihi , İstanbul, 1298 h., s. 359.

(2) L. Bouvat, “Şeybâni Han” Maddesi, İ.A. M.E. B. Yay., II. s., 455.

(3) P. Sykes, History of Persia, London 1930, s. 159; Saray, a.g.e., s. 14-15 den naklen.

(4) Gönderilen mektubun metni için bkz. Ahmet Feridun Bey,

كما أن المظالم التي قام بها إسماعيل الصفوي في خوراسان، وامتدت إلى الأهالي جعلتهم يطلبون المساعدة من السلطان سليم، مما زاد من تقوية تلك العلاقات بين الدولتين. من تلك النداءات التي وجهت إلى السلطان سليم رسالة المولا الأصفهاني، كتب المولا الأصفهاني رسالته على شكل النظم، مدح فيها السلطان سليم[1]، وأوضح له المظالم التي قام بها إسماعيل الصفوي، وكيف حرق البلدة، وأنهم يرون في السلطان سليم حاميهم، لذا يطلبون منه المساعدة[2].

ولا شك في أن المظالم التي قام بها الصفويون ضد أهالي تركستان كانت سببا في تقوية العلاقات العثمانية الأوزبكية. وعندما نقيّم سياسة السلطان سليم التي كانت تتمثل في حماية كل البلدان الإسلامية في أى مكان، والنهوض لتقديم يد العون لها[3]، سيمكننا القول بأن هدفه من ذلك كان نشر مذهب أهل السنة، والقضاء على الدولة الصفوية الشيعية، وجمع كل الأتراك تحت مظلة واحدة.

ويمكن القول أيضا بأن العلاقات السياسية العثمانية الأوزبكية التي تمتد على مدى زمني يقترب من مائتان وخمسون عاماً، قد تكثفت بشكل

Münşeatü’s-Selâtin, İstanbul 1275 h., I, 377-379; Haydar Çelebi, Rûznâme, Baskıya hazırlayan: Yavuz Senemoğlu, Tercüman 1001 Temel Eser, s. 41-42.

(1) Mektup için bkz. Ahmet Uğur, Yavuz Sultan Selim, Kayseri 1989, s. 86-87.

(2) Feridun Bey, I, 417.

(3) Ahmet Asrar, Kanuni Sultan Süleyman Devrinde Osmanlı Devletinin Dini Siyaseti ve İslâm Âlemi, (Doktora Tezi No: 19), İstanbul Ünv. Edebiyat Fakültesi, İstanbul 1971, s. 48.

عام خلال الفترة التي استمر فيها النزاع الصفوي العثماني، وبالرغم من أنها كانت تتعرض في بعض الأحيان إلى الانقطاع، إلا أنها كانت في أحيان أخرى تستكمل سيرها بشكل طبيعي.

ومن الفترات التي تكثفت فيها العلاقات العثمانية الأوزبكية، تلك الفترة التي شهدت النزاع على العرش بين حاكم الأوزبك نظير خان وابنه عبد العزيز خان. ففي عام 1642م اضطر نظير خان حاكم الأوزبك لترك العرش لابنه الذي كان يعارضه، وينازعه على العرش. وبعد فترة رغب نظير خان في الجلوس على العرش مرة أخرى، فأرسل رسولا من عنده يدعى السيد عبد المنان برسالة إلى السلطان محمد الرابع الذي جلس على العرش العثماني يطلب منه المساعدة وذلك عام 1648م[1]. كتب نظير خان رسالته باللغة الفارسية، وأوضح فيها أن الضعف ساد الإدارة في مدن توران، وزادت فيها المظالم، وخربت المدارس، لذا يطلبون العون من السلطان العثماني[2] أخذ السلطان العثماني الرسالة باهتمام، وأرسل رسالة لعبد العزيز خان في محاولة منه لإصلاح الأمور بين الأب وابنه، وطلب منه أن يعقد اتفاقا مع أبيه[3]. وفي غضون فترة قصيرة أطل هذا الضعف في الإدارة برأسه، وأصبحت الخانيات التركية وجها لوجه أمام التهديدات الخارجية، والمشاكل الداخلية. ولم يكتف أتراك تركستان بالرسائل التي كانوا يرسلونها إلى العثمانيين فحسب، بل كانوا يبحثون عن وسائل أخرى

(1) Hammer, X. 148.

(2) Mektubun tamamı için bkz. Ahmet Feridun Bey, II, 150; Hammer, X. 148.

(3) Ahmet Feridun Bey,, II, 358-59.

لكسب مساعدة العثمانيين لهم[1]. كما طلب نظير خان المساعدة من شاه جهان الحاكم التركي في بلاد الهند (1628 - 1658)[2] ولأن شاه جهان لم تكن لديه المقدرة على تنفيذ هذا المطلب، أرسل رسالة مع سفيره الحاج محمد إلى السلطان العثماني يخبره بسوء الأحوال الداخلية في بلاد الأوزبـــــــــــــــــــــك، وأن عبد العزيز خان استقر على العرش هناك بعد وفاة والده نظير خان عام 1651م[3]. أما عبد العزيز خان الذي استمرت سلطنته فترة طويلة (1647 - 1680) فقد داوم على إرسال الرسائل والسفراء للدولة العثمانية لاستمرار علاقات الصداقة فيما بينهم[4].

تكية الأوزبك في أسكدار:

في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي حدثت طفرة في العلاقات العثمانية الأوزبكية. تتمثل تلك الطفرة في بناء الدولة العثمانية لتكية سميت باسم التكية الأوزبكية في أسكدار، بنيت لإيواء الحجاج والدراويش والرحالة المسلمين القادمين إلى استانبول من وسط آسيا بشكل عام، وأوزبكستان بشكل خاص[5].

---

(1) Saray, a.g.e., s. 15.

(1) Ahmet Feridun Bey, II, 281-82, 355-56.

(2) Hammer, X. 222-23

(3) Silahtar Mehmet Ağa, Silahtar Tarihi, İstanbul 1928 ts., I, 673.

(4) Özbekler Tekkesi hakkında daha geniş bilgi için bkz. Süleyman Beyoğlu, “illi Mücadele ve Özbekler Tekkesi” , Üsküdar Sempozyumu, Üsküdar Belediyesi Yayınları, İstanbul 2004, I, 201-210; Süleyman Beyoğlu, “Osmanlı Devleti’nin Üsküdar Özbekler Tekkesi’ne Yaptığı Tahsisatlar” , Bir, Türk Dünyası

فقد كان المسلمون الذين يريدون الذهاب إلى الحج من تركستان، يذهبون إلى استانبول (مقر الخلافة) أولا[1]، ويقيمون بها فترة قصيرة، ويصلون الجمعة مع السلطان، ويزورون قبر أبي أيوب الأنصاري، ثم يستأذنون السلطان بشكل رمزي في الذهاب إلى مكة[2].

قبل تأسيس تلك التكية كان الحجاج التركستانيون القادمون من تركستان إلى استانبول يؤسسون خيامهم في سلطان تبه سي بأسكدار، لذا أمر السلطان محمود الأول بتأسيس تلك التكية لهم في هذا المكان[3].

İnceleme Dergisi, İstanbul 1997, VII, 27-34; M. Baha Tanman, "Özbekler Tekkesi" , Dünden Bugüne İstanbul Ansiklopedisi, İstanbul 1994, VI, 200-202; Cengiz Bektaş, "Özbekler Tekkesi" , Tarih ve Toplum Dergisi, İletişim Yayınları, İstanbul 1984, Sayı 8 (Ağustos), II, 112-117, Sayı 9 (Eylül), II, 182-187; Mehmet Altun, "Kuvâyı Milliyecilerin Gizli Sandığı ve Ardındaki Bilinmeyenler: Özbekler Tekkesi" , Toplumsal Tarih, İstanbul 2003, 112, 18-23; Hasan Özönder, "Türk El Sanatlarında Bir Ekol: Üsküdar (İstanbul) Özbekler Tekkesi" , Prof. Dr. Sâim Sakaoğluna Armağan, Yayına Hazırlayan: Ali Berat Alptekin, Konya 2006, s. 674-682.

(1) Hasan Özönder, a.g.m., s. 674.

(2) Cengiz Bektaş, a.g.m., II, 113.

(3) Mehmet Altun, a.g.m., s. 18; İstanbul'da Susuzlubağ'da, Eyüp'te ve Aksaray'da Özbekler'e ait tekkeler kurulmuştur. Hacılar çok olduğu zaman Tahtakale'deki hanlarda misafir edilirdi. Bkz. Hasan Özönder, a.g.m., 4 numaralı dipnot; Beyoğlu, a.g.m., s. 209 'da ise, İstanbul'da Özbek Tekkeleri'nin Sultanahmet, Eyüp ve Üsküdar'da olmak üzere üç tane olduğunu zikredilir. Bkz. Azmi Özcan, "Özbekler Tekkesi Postnişini Buhâra'lı Şeyh Süleyman

والتكيـة الآن موجـودة بكامـل أبنيتهـا البالغـة 1190م^2 وحديقـة تبلـغ 11.570م^2(1) وفـي الناحيـة الشـمالية الغربيـة منهـا توجـد جبانـة مسـاحتها حـوالي دونـم ونصـف مـدفون بهـا المنتسـبين للطريقـة النقشـبندية، وبعـض أهالي الأوزبـك. ويوجـد بهـا أيضـا قبـر آخـر شـيخ للتكيـة وهـو الشـيخ عطـا أفنـــدي (1883 - 1935)(2). والتكيـة حاليـا تتكـون مـن حـريم يتكـون مـن ثـلاث طوابـق، وسـلاملك مـن طـابقين(3)، ومسـجدا بأبعـاد 6×7.5 م(4) وحديقـة ومطبخ وحمام(5).

وبالحديقة حوض مياه وصهريج مياه، وبئر، ومطبخ، ولأن تلك التكيـة كانت تابعة للطريقة النقشبندية فقد كانـت تعـرف بأسـماء (الحـاج جوخـه)(6) و(قلندري خانه)(7).

أما إسماعيل أيوانسراى فيقول بأن تكية الأوزبك تأسست عـام 1753م

Efendi bir” Double Agent “mi idi? ” , Tarih ve Toplum Dergisi, Sayı 100, Nisan 1992, s. 12-16.

(1) Hasan Özönder, a.g.m., s. 674; Cengiz. Bektaş, a.g.m., II, 114.

(2) Hasan Özönder, a.g.m., s. 676.

(3) Cümle kapısının üzerinde Sultan Abdülmecid’in tuğrasını taşıyan 1844 tarihli bir kitabe bulunmaktadır.

(4) Cengiz. Bektaş, a.g.m., II, 115.

(5) Hasan Özönder, a.g.m., s. 675.

(6) Tekke’nin bu adla anılmasının sebebi 1752 yılında yapılışının ardından “Hacı Hoca” diye anılan meşhur Nakşî Şeyhi Abdullah Efendiye tahsis edilmesindendir. Bkz. İsmâil Ayvansarâyî, Hadâiku’l-Cevâmî, Amire Matbaası, İstanbul 1864, I, 240.

(7) Beyoğlu, a.g.m., s. 201.

على يد عبد الله باشا والي مرعاش[1]. وكان أول شيخ لها الحاج خواجه عبد الله أفندي، وأوقف التكية على الطريقة النقشبندية التي كان ينتسب لها[2]. وقد قام هذا الشخص بعمل توسيعات وتطويرات للتكية[3]. وبمرور الوقت أصبحت التكية مقرا للطريقة النقشبندية. أما الدولة العثمانية فكانت تنظر لتلك الأبنية على أنها مؤسسات دينية واجتماعية، وكانت تمد يد العون لها[4]. حيث كانت كافة المصروفات والنفقات الخاصة بتلك الأبنية تُدفع من جانب الدولة[5]. من ناحية أخرى كان مشايخ التكية ينظرون في شئون المواريث التي يخلفها أهالي الأوزبك الذين يتوفون في الرومللى والأناضول بدون وارث لهم. من ذلك على سبيل المثال تقدم الشيخ عبد الرزاق أفندي شيخ التكية بطلب إلى بيت المال يطلب فيه أخذ مبلغ 1764 قرش بدل عن ميراث شخص يسمى حجة الإسلام توفي في أسكوب[6]. أما التركات التي لها وارث، فكانت تُحفظ في بيت المال، وإذا ما ظهر لها وارث تُسلم له على يد مشايخ التكية[7].

من ناحية أخرى كانت التكية الأوزبكية باستانبول بمثابة المدرسة التي تقدم فنون مختلفة في الفنون التركية اليدوية. فقد كانت غرفها بمثابة

(8) Hadîkatü'l-Cevâmî, II, 240; Beyoğlu, a.g.m., s. 201.

(1) Beyoğlu, a.g.m., s. 201.

(2) Hadîkatü'l-Cevâmî, II, 240.

(3) Süleyman Beyoğlu, a.g.m., s. 202.

(4) Tekkede yapılan tamir ve günlük tahsisat yazışmaları için bkz. Beyoğlu, a.g.m., s. 202-203; Özönder, a.g.m., s. 677.

(5) Beyoğlu, a.g.m., s. 203.

(6) Beyoğlu, a.g.m., s. 203.

الورش التي تُصنع بها الفنون المختلفة للفنون اليدوية التركية[1].

وقد كان لمشايخ التكايا السبق في هذا، وزادوا من دخل التكايا، على سبيل المثال طبع محمد صالح أفندي أحد مشايخ التكية كتابا، حيث تقدم بطلب لمجلس المعارف عام 1860م لطبع الكتاب، وبعد فترة قصيرة حصل على رخصة بطبعه[2].

وإلى جانب الفنون اليدوية التركية التي كانت موجودة بالتكية، كان للتكية دورا هاما أيضا من ناحية تاريخ الصناعة التركية. حيث يعد الشيخ محمد صادق أفندي الذي ولد في بخارى[3]، وهاجر بعد ذلك إلى استانبول، وتولي مشيخة التكية، أول من أدخل إلى استانبول فن (الأبر) الذي تعلمه في بخارى[4] وتعلم منه هذا الفن ابنه إبراهيم أدهم أفندي، وعلمه للعديد من الأشخاص في التكية، وأصبح بذلك وسيلة لنشر هذا الفن في المدينة[5].

هذا بالإضافة إلى أن الشيخ إبراهيم أدهم أفندي كان بارعا في العديد من الفنون اليدوية مثل الخط، والنقش والنجارة والطباعة وغيرها[6] وقد لاقت السجاجيد المنسوجة يدويا التي صنعها إبراهيم أفندي اهتمام كبير في معرض استانبول الدولي الذي أقيم في استانبول عام 1863م[7]. كما

(7) Özönder, a.g.m., s. 677.
(1) Beyoğlu, a.g.m., s. 204.
(2) Uğur Derman, Türk El Sanatlarında Ebru, s. 32.
(3) Özönder, a.g.m., s. 678.
(4) Özönder, ayni yer., s. 678.
(5) Beyoğlu, a.g.m., s. 205; Özönder, a.g.m., s. 678.
(6) Rıfat Özsoy, Tanzimat Dönemi Osmanlı Sanayii ve Sanayileşme Politikası, Ankara 1988, s. 87 vd.

حصل إبراهيم أدهم أفندي على ميدالية من معرض باريس الدولي عن الموتور الذي اخترعه ويشتغل ببخار الماء، كما حصل على شهادة تقدير من ألمانيا على آلة أخرى صنعها[1]. وهناك اتفاق في تركيا على أن إبراهيم أدهم أفندي هو أول من ابتكر موتور البخار. كما ابتكر آلة لسحب المياه من البئر الموجود في التكية[2]. هذا بالإضافة إلى أنه كان رياضيا بارعا في رياضة رمي السهام وكان يحث طلابه على تعلم هذه الرياضة[3] هذا إلى جانب ولعه باللغات، فقد كان على دراية كبيرة باللغة الفارسية والعربية والجغطائية والأرمينية لدرجة تجعله يستطيع أن ينظم الشعر بها، كما كان يعرف اللغة الأوزبكية والآذرية[4].

ونظرا لتلك المهارة التي أظهرها إبراهيم أدهم أفندي في المجال الصناعي، عُين مديرا على مكتب الصنايع الذي تأسس في استانبول عام 1869م على يد مدحت باشا[5]. وقد تربى على يديه في تلك المدرسة الكثير من الطلاب[6].

ولا تزال الآلات التي ابتكرها الشيخ محفوظة في التكية حتى الآن[7]. وقد استخدم الشيخ علمه في الكيمياء والفيزياء في صناعة النسيج. وقد سعى لصب أول ماسورة من الرصاص في المدرسة التي كان مديرا

---

(7) Özönder, a.g.m., s. 679.

(1) a.g.m., s. 679.

(2) a.g.m., s. 679.

(3) Beyoğlu, a.g.m., s. 205; Özönder, a.g.m., s. 678; Bektaş, a.g.m., II, 184.

(4) Beyoğlu, a.g.m., s. 205; Bektaş, a.g.m., II, 184.

(5) Özönder, a.g.m., s. 680; Bektaş, a.g.m., II, 184.

(6) Özönder, a.g.m., s. 680; Bektaş, a.g.m., II, 184.

عليها[1] كما أُعجب السلطان عبد الحميد بمهارة الشيخ إبراهيم أدهم أفندي في النسيج تلك المهارة التي تعلمها من حاج هندي كان قد وفد إلى التكية، حتى أنه عُهد إليه بنسيج كل سجاد القصر[2]. وقد عُين إبراهيم أدهم أفندي قائدا على الموكب الهمايوني[3] الذي تشكل في أسكدار أثناء الحرب العثمانية الروسية عام 1877 - 1878[4].

ويتضح لنا من خلال تلك المعلومات أن التكية الأوزبكية كانت في عهد الشيخ إبراهيم أدهم أفندي خاصة بمثابة المدرسة العلمية الفنية، وكانت ملتقى الكثير من العلماء أمثال صالح زكي بك، والفيلسوف رضا توفيق، والخطاط سامي أفندي، ونجم الدين أوقياي[5]. لا سيما وأن تلك التكية كانت بمثابة الملتقى الأوحد للمثقفين الأوزبك والجغطائيين الذين زادت علاقاتهم بتركيا بعد حرب القرم، وأعطت الأعمال التي قام بها هؤلاء المثقفين في مجال التاريخ واللغة القوة لحركة القومية التركية[6].

من ناحية أخرى كانت تلك التكية من الأماكن الأولى التي تمت فيها دراسات عن اللغة التركية. ومن ذلك المعجم المسمى (لغات جغطائي وتركي عثماني)[7] للشيخ سليمان البخاري، الذي وفد من بخارى إلى

(7) Özönder, a.g.m., s. 680; Bektaş, a.g.m., II, 184.

(1) Beyoğlu, a.g.m., s. 205; Mehmet Altun, a.g.m., s. 18.

(2) Padişah alayı. bkz. Ferid Develioğlu, Osmanlıca-Türkçe Ansiklopedik Lügat, Doğuş Matbaası, Ankara 1970, s. 759.

(3) Beyoğlu, a.g.m., s. 205.

(4) Tekkeye devam eden aydınlar için bkz. Beyoğlu, a.g.m., s. 205; Cengiz. Bektaş, a.g.m., II, 185.

(5) Stanford j. Shaw, Osmanlı İmparatorluğu ve Modern Türkiye, İstanbul 1983, II, 318; Mehmet Altun, a.g.m., s. 18'den naklen.

(6) Beyoğlu, a.g.m., s. 206, 32 numaralı dipnot.

استانبول عام 1847م، وتولى مشيخة التكية، وهذا المعجم من الأعمال الأولى التي أوضحت أن جذور اللغة العثمانية مختلفة عن اللغة العربية(1).

وإلى جانب كل ما ذكرنا كانت تلك التكية أيضا بمثابة مركز التأييد لمن يريدون الدخول في التبعية العثمانية من القادمين من تركستان، ومن ذلك أن شخصاً بخارى المولد كان يشتغل بالتجارة في استانبول، أراد الحصول على الجنسية العثمانية، ولم تمنحه الحكومة الجنسية إلا بعد سؤال الشيخ صادق أفندي شيخ التكية عنه(2).

كما كان لتكية الأوزبك في استانبول دورا هاما في حرب الاستقلال القومية، فقد كانت ملتقى الجنود الذاهبين من استانبول إلى الأناضول، وفيها كان يتم مداواة الجنود الجرحى، كما كانت مركزا للاتصال بين الجنود الاستانبوليين وعائلاتهم(3). كما كان الشيخ عطا أفندي من أوائل مؤسسي جمعية المخافر التي كانت مهمتها التصدي لجنود الاحتلال الغربيين(4). حيث كان يسير بين العلماء والأهالي في الأناضول لحثهم على القتال في حرب الاستقلال القومية(5). حتى أنه بعد ذهابه إلى الأناضول لمشاركته في الحرب القومية، سعى لإزالة الخلاف الموجود بين مصطفى كمال باشا، وبين أنور باشا الذي كان يحارب في جبهة

(1) Stanford j. Shaw, II, 318; Mehmet Altun, a.g.m., s. 18’den naklen.
(2) Başbakanlık Osmanlı Arşivi, Dahiliye-İdare, Nr. 61-1/58; Beyoğlu, a.g.m., s. 206’den naklen.
(3) Mehmet Altun, a.g.m., s. 18; Beyoğlu, a.g.m., s. 207.
(4) Razi Yalkın, “İstiklal Savaşı’nın Meçhul Kahramanlarından: Rahmetli Şeyh Atâ” , Tarih Hazinesi Dergisi, Sayı 5, 15 Ocak 1951, s. 217-18.
(5) Cengiz. Bektaş, a.g.m., II, 186.

تركستان في ذلك الوقت[1]. وبناء على طلب أنقرة ذهب الشيخ إلى تركستان الغربية عام 1920م لمقابلة الباشا، وبعد أن ظل هناك ثلاث سنوات، عاد إلى الوطن بعد أن أمّن الحصول على مساعدات مالية كبرى[2] وقد عبر إلى الأناضول عبر هذه التكية العديد من الشخصيات الهامة يأتي على رأسها ناظر الحربية فوزي جاقمق وعصمت إينونو وجلال بايار ومحمد عاكف[3].

ظلت تلك التكية على حالها هذا حتى بدايات عهد الجمهورية، وكان لها أهمية خاصة من حيث أنها كانت التكية الوحيدة التي تجرى فيها مراسم الطريقة اليسوية، والمراسم الصوفية الخاصة بمنطقة وسط آسيا. وكانت هناك دفاتر يسجل بها أسماء وألقاب وتاريخ ميلاد، وحرفة كل من يأتي إلى التكية كضيف[4].

وبعد إغلاق التكايا عام 1925م، أغلقت تلك التكية أيضا، وكان يعيش بها الشيخ نجم الدين أفندي (توفى 1971م) وأسرته وطوفان بابا وبعض المنتسبين للتكية. وحاليا تُقام بعض الاحتفالات كالمولد والاجتماعات

(6) Mehmet Saray, Doğu Türkistan Türkleri Tarihi I; Başlangıçtan 1878'e Kadar, İstanbul Kitabevi, 1997, s. 165-172; Ayrıca bkz. Timur Kocaoğlu, "Türkistan'da Osmanlı Türk Subaylarının Faaliyetleri" , (1914-1923), Türk Dünyası İncelemeleri Dergisi, (Ege Üniversitesi, İzmir) Sayı IV, 2000, s. 21-35.

(1) Sefa Kaplan, Tarih Tereddütten İbarettir, İstanbul 1990, s. 213; Beyoğlu, a.g.m., s. 208.

(2) Bkz. Yücel Özkaya, "İstanbul'un İşgali Üzerine Aydınların İstanbul'dan Ankara'ya Kaçışı Olayı" , Uluslararası Atatürk Sempozyumu, Ankara 1994, s. 897-903; Beyoğlu, a.g.m., s. 208-9.

(3) Beyoğlu, a.g.m., s. 209.

الخاصة في التكية وتجرى بها المراسم الصوفية الخاصة بوسط آسيا، وتُطهى فيها الأكلات الأوزبكية[1]. وفي عام 1983م تم ترميم المسجد والتوحيد خانه والمطبخ وأقسام السلاملك فقط، ويقيم الشيخ نجم الدين أفندي حفلاته بها، ولا تزال التكية موجودة حتى الآن.

العلاقات الأوزبكية - التركية:

تسير العلاقات بين الدولتين الصديقتين تركيا وأوزبكستان في الميادين السياسية والثقافية كما كانت تاريخيا. فقد وقفت تركيا إلى جانب إخوانها الأوزبك في مقاومتهم ضد الروس، وأمدتهم بالمعونات السياسية والتكنيكية في الفترة التي استولت فيها روسيا على الخانيات التركستانية[2]. وأول من بدأ تلك النشاطات السياسية أنور باشا الذي ذهب إلى تركستان عبر باكو بعد الحرب العالمية الأولى (1920 - 1922م)، وسقط شهيدا عام 1922م، وسار جمال باشا على نفس نهجه. كما يجب علينا أن نذكر نشاطات إسماعيل صبحي بك الذي أُرسل إلى تركستان عام 1921م بأمر من مصطفى كمال باشا، ودوره في تأسيس (الاتحاد القومي التركستاني) في طشقند، ونشاطاته بين المثقفين هناك[3].

وقد كانت مساعدات الأتراك لإخوانهم الأوزبك مبرراً تاريخياً لحرص الأوزبك على تقديم المساعدة للأتراك بالمثل، حيث أرسلوا لهم

---

(4) Beyoğlu, a.g.m., ayni yer.

(1) Daha geniş bilgi için bkz. Mehmet Saray, Rus İşgali Devrinde Osmanlı Devlet İle Türkistan Hanlıkları Arasındaki Siyasi Münasebetle r (1775-1875), s. 29 vd.; Timur Kocaoğlu, a.g.m., s. 21 vd.

(2) Timur Kocaoğlu, a.g.m., s. 23 vd.

100 مليون روبية من ميراث إمارة بخارى، وذلك كمساعدة للأتراك في حربهم القومية، ولم يصل تركيا من تلك المساعدات إلا 11 مليون فقط، والباقي استولى عليه الروس، وبسبب تلك المساعدة أظهر مصطفى كمال أتاتورك اهتماما كبيرا لعثمان قوجه أغلو رئيس جمهورية بخارى التي احتلها الروس عام 1922 الأمر الذي جعل رئيس الجمهورية يتركها ويذهب إلى تركيا ليستقر بها، وخصص مصطفى كمال راتب له يعادل راتب النائب في مجلس الأمة.

وفي الحرب القومية التركية كان هناك بعض العناصر الأوزبكية (البخاريون المحمديون)، ومنهم الحاج يولداش الأوزبكي. فقد خرج هذا الرجل من بخارى لأداء فريضة الحج، وهو في تركيا اندلعت حرب القرم، فقطع فريضة الحج، وشارك في الحرب، ثم شارك في الحرب العالمية الأولى. وبعد انتهاء الحرب عام 1918م قرر الذهاب إلى الحجاز ليؤدي فريضة الحج.

وأثناء عودته من الحج، رأى أن جقور أوه قد وقعت تحت الاحتلال الفرنسي، فشارك في الحرب القومية. وظل يحارب مع المجاهدين القوميين حتى استشهد في 29 مايو 1920م في طرسوس، ودفن بها[1].

ومن المجاهدين الأوزبك الآخرين الذين شاركوا في الحرب القومية التركية ستارخان تورا طناش، وهو مثل غيره من آلاف الشباب الأوزبك الذين شاركوا تركيا في الحرب العالمية الأولى، توفي الغازي ستارخان

(1) Kadir Dikbaş, “Buhara’lı Mehmetçikler” , Aksiyon, Haftalık Haber Dergisi, Sayı 567, 17 Ekim 2005, s. 46 vd.

تورا في تركيا عام 1964م، ودفن في مزار آطنه[1].

وعلـى مـدار التـاريخ كانـت هنـاك علاقـات ذات أبعـاد سياسـية وثقافيـة دائمة بين المثقفين الأتراك والأوزبك. منها وربما أولها تلك العلاقـات التـي بدأت عام 1911 - 1912م. فقد أتى إلى تركيا سرا كل من صـادق عاشور أوغلو، وعثمان خوجه، وعبد الرؤوف فرات، وجـول جـالى عبـد العزيـز. وفتحـوا فـي اسـتانبول شـعبة لمدرسـة (تربيـة الأطفـال) التـي افتتحوهـا فـي بخـارى مـن قبـل[2]. وكـان هـدف تلك المدرسـة، تربيـة الأطفـال البخـاريين والتركستانيين حتى عمر معين، ثم إرسـالهم إلى ألمانيا وتركيا لـتعلم العلـوم العليـا، حيـث أرسـل عـام 1911م 15 طـالبـا، وفـي عـام 1912م أرسـل 30 طـالبا[3].

وبعد أن ظـل هؤلاء المثقفين فـي تركيـا فتـرة، عـادوا إلـى بلـدهم، ولمـا قامـت قـوات الاحـتلال الروسـي فـي عـام 1918م بتفريـق حكومـة ألاش أوردا، وحكومـة المختـار فـي خوقنـد[4]، هـاجر ذكـي وليـدي طوغـان رجـل العلم والثقافة الباشقورتي الأصل إلى استانبول عام 1925م، وفي استانبول اجتمع زكي وليدي طوغان مع رجال تركستان الموجودين في استانبول،

(2) Şu an Türkiye'de buluna Özbek asıllı bilim adamı, Doç. Dr. Kutluk Han Şakir Bey'in 28.06. 2007 tarihin bize aktardığı notlardan

(1) Bkz. Dr. Baymirza Hayıt Armağanı, "Türkistanlı Göçmenlerin Siyasi Faaliyetleri Tarihine Bir Bakış" , Hazırlayanlar: Rasim Ekşi, Erol Cihangir, Turan Kültür Vakfı, İstanbul 1999, s. 159-182.

(2) "Türkistanlı Göçmenlerin Siyasi Faaliyetleri Tarihine Bir Bakış" , s. 159.

(3) Baymirza Hayıt, Türkistan, s. 251.

وقرروا بدء النزاع السياسي من أجل تحرير تركستان، وكانت أول خطوة لهم في ذلك نشر مجلة سياسية باسم (تركستان الجديدة) باللغة التركية في عام 1927م، كما تم تأسيس (اتحاد الشباب التركستاني) في عام 1927م، ولا يزال هذا الاتحاد موجودا حتى اليوم[1]. وبعد أن أتم الطلاب الموفدين إلى ألمانيا وتركيا للتعلم تحصيلهم العلمي، قرروا البقاء في البلدان التي تعلموا فيها لأنهم كانوا يعلمون وضع الاتحاد السوفيتي جيدا، حتى أن قسما منهم هاجر من ألمانيا بعد نشوب حركة النازية، إلى استانبول وأنقرة، واشتغلوا في الجامعات التركية كأعضاء هيئة تدريس في الجامعات هناك[2].

وفي عام 1944م قضى الصينيون على حكومة تركستان الشرقية، ومن بعدها تم إخماد ثورة عثمان باطور عام 1949م، لذا تقرر إرسال قسم كبير من الأهالي إلى تركيا في الفترة من عام 1950 إلى عام 1957م، وتم إسكانهم في المحافظات المختلفة لتركيا ومنها قيصري وساحللي[3].

ولا تزال نشاطات هؤلاء الأهالي قائمة سواء في المجال السياسي أو

(4) Bu derneğin adı 1940'da Türk Kültür Birliği, 1950'den sonra ise, Türkistanlılar Kültür ve Sosyal Yardımlaşma Derneği olmuştur. Bkz. "Türkistanlı Göçmenlerin Siyasi Faaliyetleri Tarihine Bir Bakış" , s. 159.

(1) Bkz. "Türkistanlı Göçmenlerin Siyasi Faaliyetleri Tarihine Bir Bakış" , s. 160. Bu durum zamanımızda da geçerli olup, Türkiye'deki bazı Üniversitelerde Özbek asıllı bazı bilim adamları bulunmaktadır.

(2) "Türkistanlı Göçmenlerin Siyasi Faaliyetleri Tarihine Bir Bakış" , s. 161.

في المجال الثقافي، من خلال نشر المجلات والجرائد والنشرات والأوقاف والاتحادات[1].

أما في العصر الحديث فكانت تركيا أول دولة في العالم تعترف باستقلال أوزبكستان، والعلاقات بين الدولتين تزداد يوما بعد يوم، حتى أن أول زيارة رسمية قام بها الرئيس إسلام كريموف بعد الاستقلال عام1991 كانت لتركيا[2]. وفي أثناء الزيارة وقعت عدة اتفاقيات بين البلدين في مجالات الاقتصاد والثقافة والتعليم والإعلام والاتصال، وفي شهر أبريل عام 1992م أعطيت منحة تعليمية لألفي طالب أوزبكي[3] ليدرسوا في الجامعات التركية[4].

(3) Bu hususta daha geniş bilgi için bkz. "Türkistanlı Göçmenlerin Siyasi Faaliyetleri Tarihine Bir Bakış" , s. 162 vd.

(1) A. Taşıgil, "Türkiye'nin Orta Asya Türk Cumhuriyetleri İle İlişkilerinin Dünü, Bugünü ve Yarını" , Stratejik Araştırmalar Dergisi, Şubat 2004, Sayı 3, Yıl 2, s. 36 vd.

(2) Özbek öğrencilerin Türkiye'deki uyum problemleri için bazı üniversitelerde tez çalışmaları yapılmıştır. Bkz. Fatma Açık, Özbekistan'dan Eğitim-Öğretim Amacıyla Türkiye'ye Gelen Öğrencilerin Dil-Kültür Uyum Problemleri ve Çözüm Teklifleri, (Yüksek Lisans Tezi 1995), Gazi Üniversitesi Fen Edebiyat Fakültesi, Türk Dili ve Edebiyatı Anabilim Dalı; İlham Amanov, Özbekistan Cumhuriyetinden Bursa'ya Yüksek Öğrenim Görmek İçin Gelen Öğrencilerin Uyum Problemleri, (Yüksek Lisans Tezi 1996), Uludağ Üniversitesi, Eğitim Bilimleri Anabilim Dalı , Psikolojik Danışma ve Rehberlik Bilim Dalı

(3) Taşıgil, a.g.m., s. 36.

ويعد المجال الثقافي هو أكثر المجالات المشتركة بين الدولتين في الوقت الحالي، ويسير حاليا في إطار الاتفاقيات الثنائية التي وقعت بين الدولتين[1].

* * *

(4) Haktan Birsel, Gizli Çember ve Özbekistan, IQ Kültür Sanat Yayıncılık, İstanbul 2005, s. 204.

مدن أوزبكستان التاريخية المشهورة

مدن أوزبكستان التاريخية المشهورة

عرض وتحليل
محمد بن موسى الشريف
باحث ـ المملكة العربية السعودية

أنديجان (أندوكن):

وهي من بلاد فرغانة، قال ياقوت:

" ينسب إليها أبو حفص عمر بن محمد بن طاهر الأنذُكاني الصوفي. كان شيخاً مقرئاً عفيفاً صالحاً عالماً بالروايات. مات بقرية قلشان في جمادى الأولى سنة 545هـ " [1]

أوزجند (أوزكند) (يوزكند):

كانت من أكبر الثغور مع الترك، وكانت مركزاً للتجارة مع الترك، وهي باقية إلى اليوم، وكانت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي عاصمة لفرغانة [2].

وقال ياقوت:

" بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانة، ويقال أوزجند[3]، وخُبرت أن كَند بلغة أهل تلك البلاد معناه القرية... ولها بساتين ومياه جارية، ينسب

(1) " معجم البلدان " : 262/1.
(2) " تركستان من الفتح العربي " : 267، 268.
(3) وذلك لأنه سماها أوزكند.

إليها جماعة منهم: علي بن سليمان بن داود الخطيبي، أبو الحسن الأُوزكَنْديّ... " (1)

أُوش:

كانت تعد ثالث مدن فرغانة من حيث المساحة، وكان يوجد بالقرب منها رباط كبير يقصده المجاهدون من كل صوب (2).

ومن علمائها عمران بن موسى الأوشي، ومسعود بن منصور الأوشي، سكن سمرقند، والعجيب أن هذا العالم وزوجه وولده ماتوا جميعاً في ليلة واحدة بمنتصف ذي الحجة سنة 519 (3).

بخارى:

قد ذكرها قدماء المؤرخين وأثنوا عليها، فمن هؤلاء القزويني حيث قال:

" بخارى مدينة عظيمة مشهورة بما رواء النهر، قديمة، طيبة... ولم تزل بخارى مجمع الفقهاء ومعدن الفضلاء، ومنشأ علوم النظر... وكانت الرئاسة في بيت مبارك ونسبهم ينتهي إلى عمر بن عبدالعزيز، وتوارثوا تربية العلم والعلماء كابراً عن كابر... ولم تُر مدينة كان أهلها أشد احتراماً لأهل العلم من بخارى " (4).

وقال ياقوت الحموي:

" بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها... مدينة قديمة، نَزِهة،

---

(1) " معجم البلدان " : 280/1.
(2) " تركستان من الفتح العربي " : 267، 268.
(3) " الأنساب " للسمعاني : 288/1، 289.
(4) " آثار البلاد وأخبار العباد " : 509، 511.

كثيرة البساتين، واسعة الفواكه، جَيِّدتها ".

ثم ذكر حديثاً طويلاً في فتحها، وأن الذي تولى ذلك عبيد الله بن زياد صلحاً، ثم أكّد فتحها ووثقه سعيد بن عثمان بن عفان سنة 55 هـ صلحاً أيضاً بعد حصار وحروب، ثم فتحها فتحاً نهائياً قتيبة بن مسلم سنة 87هـ، ولما دخلها وجد فيها قدوراً يُصعد إليها بالسلالم [1].

وقال الحميري: " بخارى من بلاد خراسان، وهو بلد واسع... والمسجد الجامع بها معدوم المثال، كثير الاحتفال، وببخارى بشر كثير لا يحصيهم العدد، وجُلّ أهلها مياسير، ويشق رَبَضها نهر الصَغْد، ويخترق أكثر ديارها وشوارعها وأسواقها، ولأهل بخارى عليه أرحاء[2] عدة، وبضفتيه المنارة والبساتين والجنات والحدائق المتسعة والأشجار والمزارع، ويقع فاضل هذا النهر في بحيرة كبيرة هناك...

ويرجع أهلها من العفة، والدماثة، والأمانة، وحسن السيرة، وحسن المعاملة، وقلة الشر، وإفاضة الخير، وبذل المعروف، وسلامة النية إلى ما يفضلون به سائر الناس " [3]

ويذكر الأستاذ عبد المؤمن السيد أكرم محمد كتابه " أضواء على تاريخ توران " [4] أن اسمها مشتق من بخار وهو العلم بلسانهم، وذلك لكثرة ما أخرجت من علماء أفاضل وحكماء بارعين [5].

---

(1) " معجم البلدان " : 353/1 - 356.

(2) جمع رحى، وهي الطاحونة.

(3) " الروض المعطار " : 82 - 84.

(4) ص 36.

(5) وهناك قول آخر وهو أن بخارى اشتقت من قيهارا، وهي كلمة سنسكريتية وتعني دير، وقد جاءت الكلمة من معبد بوذي وُجد هنالك وهو قديم من قبل الإسلام: انظر كتاب

ومن آثار بخارى:

منارة كالون الشهيرة، وهي مبنية بشكل هندسي ملولب لطيف من القاعدة إلى الرأس، وقد بناها أحد السلاطين السلاجقة سنة 1127م[*].

وقال د. خالد المطري:

" تعتبر بخارى محطة قديمة للقوافل التجارية القديمة... تشتهر مساجدها بروعة العمارة الإسلامية وفنونها الجميلة... كما تشتهر بمدارسها الإسلامية الجميلة إلى جانب شهرتها بالسجاد الفاخر ذي النقوش الجميلة والصناعة المتينة والصوف الناعم...

وقد تعرضت مدينة بخارى للتخريب في عام 616هـ على يد جنكيزخان، وفتحها الأوزبك عام 905هـ.

وكان بها 197 مسجداً و167 مدرسة لم يبق منها الآن غير مسجد واحد مفتوح للعبادة ومدرسة دينية واحدة.

- ومن مساجدها الباقية من أكثر من ثمانية قرون مسجد " مغاك عطاري " [1].

- ومن مدارسها الباقية مدرسة " أولوغ بك " أسست سنة 1417م. ومدرسة " مير عرب " وأسست سنة 1535م [2].

وبها قبر إسماعيل الساماني عميد الأسرة السامانية التي حكمت البلد.

واليوم بها زراعات متعددة، ومصانع، وقد اكتشف فيها الغاز

" بخارى " : 21.

(*) شيد أمير بخارى أرسلان خان مسجد ومنارة كالان في منطقة " شهرستان " (المحرر).

(1) " الموسوعة التاريخية الجغرافية " : 113/2.

(2) المصدر السابق: 115/2.

الطبيعي، وفيها صناعات بتروكيميائية، وفيها ثروات معدنية تستثمر حول المدينة، وهذا أدى إلى توافد الآلاف من المهندسين الروس وأسرهم للسكنى فيها بجوار الأوزبك والطاجيك[1].

ومن أشهر علمائها الإمام البخاري (ت 256هـ) وابن سينا (ت 428هـ) وصدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري (ت 747 هـ) والمحدث الكبير يزيد بن هارون شيخ الإمام أحمد (ت 206 هـ).

- وقد احتفلت منظمة اليونسكو بمرور 1500 سنة على إنشاء مدينة بخارى.

وتحدث صاحب " الموسوعة التاريخية الجغرافية ": 41/4 حديثاً مفيداً عن بخارى في القرن الماضي فقال:

" كانت من القرن السادس عشر إلى بداية القرن العشرين عاصمة دولة " خانات بخارى "... في 1868م اعتبرت " خانات بخارى " مقاطعة من الامبراطورية الروسية[2]. وفي 1920م أصحبت " جمهورية بخارى الشعبية السوفياتية " ثم " جمهورية بخارى الاشتراكية السوفياتية " حيث قُسمت بموجب الحدود التي رسمها ستالين بين أوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان، وذلك بعد إلغاء إقليم " آسيا الوسطى " سنة 1924م.

وبخارى أهم مدن جمهورية أوزبكستان... وقبيل تحول بخارى إلى الاشتراكية السوفياتية كان سكانها ينتمون إلى جماعات عرقية مختلفة كالأوزبيك الذين شكلوا 50% من المجموع وسكنوا في الوديان وعملوا

(1) " المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز " : 249-250.

(2) وكان لها حكم ذاتي معتبر، وعليها أمراء، لكن لما دخل البلاشفة ضموها بالقوة والقهر.

في الزراعة وتربية المواشي، والطاجيك الذين سكنوا المدن والمناطق الجبلية إلى جانب التركمان والفرس والعرب والروس والتتار والهندوس واليهود والأفغان، وكانت المجموعات الثلاث الأخيرة ناشطة في بخارى في التجارة والحرف.

وآخر أمير لبخارى - من 1910م حتى أوائل أيلول 1920م - هو عليم خان[1] الذي طرد من عرشه بعد احتلال قوات من الجيش الأحمر لمدينة بخارى، فهرب وحاول تنظيم مقاومة ضد الحكم الجديد، ثم توجه إلى أفغانستان حيث أمضى عشر سنوات يشرف على المقاومة المسلحة داخل بخارى قبل أن يتوفى في كابول " [2].

- ومن اللافت للنظر في بخارى وجود قريتين على مقربة منها: جوكاري وعربخانة، هاتان القريتان يتكلم سكانهما - وعددهم حوالي ثلاثة آلاف نسمة - لغة عربية تختلف في لهجتهما عن اللهجات العربية الأخرى سميت: لهجة بخارى [3].

ويذكر بعض المؤرخين أن عرب بخارى يسوقون رواية مفادها أنهم من العرب الذين أسرهم تيمورلنك ووّطنهم في هذه الديار [4].

ترمذ:

(1) ويسمى في بعض المصادر سيد مير عالم خان، ولد سنة 1880م، ودرس في مدرسة الامبراطور نقولا الحربية في بطرسبيرج، وعينه إمبراطور روسيا الكسندر الثالث رسمياً ولي عهد بخارى وهو من سلالة " ألمانجيت "، ويقال إنها شريفة النسب. انظر كتاب " بخارى " : 35.

(2) " الموسوعة التاريخية الجغرافية " : 42/4، 43.

(3) " الموسوعة التاريخية الجغرافية " : 115/2.

(4) المصدر السابق.

- مدينة مشهورة، على نهر جيحون، في أقصى جنوب أوزبكستان اليوم.

- فتحها المسلمون في عهد عبدالملك بن مروان، وقد حكمها بعد ذلك السلاجقة والمغول والأوزبك.

- وترمذ القديمة هدمها جنكيزخان، وكانت تقوم على ضفة نهر سرخان ويصب في نهر آموداريا (جيحون)، والمدينة الجديدة التي بنيت بعد جنكيزخان هي اليوم خرائب[1].

- من علمائها المشهورين محمد بن عيسى بن سورة الترمذي صاحب السنن، وقد توفي بترمذ سنة 279هـ، ومحمد بن على بن الحسن الحكيم الترمذي المتوفى سنة 320هـ وله كتاب " نوادر الأصول في أحاديث الرسول ◘ "، وله اليوم ضريح في ترمذ [2].

وفي ترمذ اليوم بعض العرب، وقد تحدث عنهم الرحالة ميندروف في كتابه: " رحلة من أورنبروغ إلى بخارى " فقال:

إن العرب في العشرينات من القرن التاسع عشر كانوا يعيشون في ضواحي مدينتي قارشي وترمذ [3].

ومن المحتمل أن يبقى منهم جماعات إلى اليوم لكنهم ذابوا في السكان المحليين.

خُجَنْد (خُجَنْدة):

من أعمال فرغانة، ومن كبريات مدن ما وراء النهر، وكان عدد

(1) " تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي " : 159.
(2) " الموسوعة التاريخية الجغرافية " : 42/4.
(3) المصدر السابق : 117/2. وقارشي هي نَسَفْ، وستأتي إن شاء الله.

سكانها كبيراً. وتبعد عن سمرقند حالياً 184 ميلاً [1].

وقال صاحب " مراصد الاطلاع ":

" بلدة مشهورة بما وراء النهر، على شاطئ سيحون - (أموداريا) - بينها وبين سمرقند عشرة أيام، نَزِهة، في وسطها نهر جار، والجبل متصل بها، طولها أكثر من عرضها، يمتد أكثر من فرسخ[2]، كلها دور وبساتين " [3].

وانظروا كيف كانت المسافة التي هي 184 ميلاً تقطع في عشرة أيام، فسبحان من يسر السفر وسهله.

وقال السمعاني:

" فتحت سنة ثلاث ومائة في خلافة يزيد بن عبدالملك. خرج منها جماعة من أهل العلم في كل فن، منهم... أبو زكريا يحيى بن الفضل الوراق الخجندي، من كبار الناس، ممن جمع الآثار، وخرَّج كثيراً، ورحل... " [4]

خوارزم (خِيْوَة):

بلد قديم جداً، تنتمي غالبية أراضيه حالياً إلى أوزبكستان.

امتد نفوذ خوارزم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ليضم مناطق واسعة من آسيا الوسطى وأفغانستان وبلاد الفرس قبل أن تقضي عليها جيوش جنكيزخان، وبعدها قوات تيمورلنك الذي سيطر على

(4) " تركستان من الفتح العربي " : 277.
(1) الفرسخ ستة عشر ميلاً.
(2) " مراصد الاطلاع " : 453/1.
(3) " الأنساب " : 327/2.

خوارزم نهائياً سنة 1388م.

وفي القرن السادس عشر وما بعده حكمت خوارزم قبائل أوزبكية مختلفة اتخذت في سنة 1593م مدينة خيوة عاصمة لها، ومنذ ذلك الوقت عرفت تلك الدولة في روسيا وأوربا بولاية خيفا [*] على أن خوارزم بقيت مصطلحاً محلياً.

ومن أهم علمائها الخوارزمي واضع علم الجبر واللوغاريتمات.

وأبو الريحان البيروني الباحث في الرياضيات والفلك والطب.

وفيها مئذنة كوتلغ تيمور، وهي أعلى مئذنة في آسيا الوسطى، وبنيت ما بين 1320 - 1335م.

وفي سنة 1873م صارت خيفا ولاية روسية، وفي سنة 1920م أُعلنت " جمهورية خوارزم السوفياتية " في خيفا، واستمرت حتى سنة 1924م حين قسمت الأراضي الخوارزمية بين أوزبكستان وتركمانستان.

ولا تزال خيفا تشتهر إلى اليوم بمبانيها الرائعة ومئذنتها " كالتا مينار " العالية [1].

وقال صاحب " مراصد الاطلاع " مفرقاً بين خوارزم وخيوة (خيفا):

" بلد من نواحي خوارزم وحصن، بينهما نحو خمسة عشر فرسخاً[2] وأهلها شافعية دون بلاد خوارزم كلها، فإنها كلها حنفية معتزلة " [3].

(*) خيفا هي الترجمة الروسية لكلمة خيوه (المحرر).
(1) " الموسوعة التاريخية الجغرافية " : 4/42-43.
(2) والفرسخ ستة عشر ميلاً.
(3) " مراصد الاطلاع " : 1/498.

وقال القزويني:

" ينسب إليها الشيخ الإمام قدوة المشايخ أبو الجناب أحمد بن عمر بن محمد الخِيوَقي المعروف بكَبْرَىْ. كان أستاذ الوقت وشيخ الطائفة وفريد العصر. له رسالة: " الهائم الخائف من لومة اللائم " من حقها أن تكتب بالذهب... " [1]

سمرقند:

ومعنى هذا الاسم: وجه الأرض.

وقال الحميري: " وهي كثيرة الخصب والنعم والفواكه... وفي المدينة ديار شامخة وقصور عظيمة، وقلما يكون فيها قصر ولا دار كبيرة إلا وفيها بستان ومياه متدفقة " [2]

وقد وصفها ابن بطوطة بقوله:

" إنها من أكبر المدن[3]، وأحسنها، وأتمها جمالاً، مبنية على شاطئ واد يعرف بوادي القصّارين، وكانت تضم قصوراً عظيمة وعمارة تنبئ عن همم أهلها ".

(1) " آثار البلاد " : 528.

(2) " الروض المعطار " : 322-323.

(3) ظلت سمرقند من حيث الرقعة وعدد السكان أولى مدن ما وراء النهر قاطبة حتى في تلك العهود التي كانت فيها بخارى عاصمة للبلاد كما حدث في عهد السامانيين، وهذه المكانة التي نالتها سمرقند إنما ترجع قبل كل شيء إلى موقعها الجغرافي الفريد عند ملتقى الطرق التجارية الكبرى القادمة من الهند مارة ببلخ ومن إيران مارة بمرو، ومن أراضي الترك، كما أن ما امتازت به المنطقة من خصب غير عادي جعل من الميسور لعدد هائل من السكان أن يجتمعوا في بقعة واحدة. انظر " تركستان من الفتح العربي " : 170.

وقال القزويني:

" وليس على وجه الأرض مدينة أطيب ولا أنزه ولا أحسن من سمرقند " [1].

فتحت على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي سنة 87هـ/705م، وأعاد فتحها سنة 93هـ/712م، ثم ملكها السامانيون بتفويض من المأمون العباسي سنة 204هـ، ثم توالى عليها الحكام إلى أن خربها المغول، ثم بعد إسلامهم عمروها، واتخذها تيمور لنك عاصمة لملكه، ونقل إليها الصناع وأرباب الحرف، وشيد فيها قصوراً جليلة وآثار جميلة.

ثم خضعت سمرقند لحكم الشيبانيين لأكثر من قرنين، ثم حدث فيها صراع داخلي وغزاها نادر شاه الفارسي، ثم استولى عليها الروس في القرن التاسع عشر وصارت المدينة الثانية بعد طشقند في الأهمية، ثم استولى عليها البلاشفة في القرن العشرين.

وكانت سمرقند - وهي المنافسة التاريخية لبخارى - وبخارى قاعدتين لنشر الإسلام في الصين والهند وروسيا حتى أن دوق روسيا كان يدفع الجزية سنوياً لأمير بخارى.

ومن أهم أعلام سمرقند أبو منصور محمد بن أحمد السمرقندي وهو فقيه حنفي له كتاب " تحفة الفقهاء "، وأبو الليث نصر بن أحمد السمرقندي المتوفى سنة 375هـ صاحب كتاب " بستان العارفين وتنبيه الغافلين "، وأبو منصور الماتريدي المشهور.

وهي اليوم قد تغيرت بما استحدث فيها من مناطق صناعية ومباني

(4) " آثار البلاد " : 535.

سكنية على نمط الطراز الروسي، وفيها صناعات متعددة، ومراكز للبحث العلمي، ومعاهد علمية وتجارية، وسكانها 400.000 بإحصاء سنة 1995م(1)، وهي ثاني مدن جمهورية أوزبكستان.

وفي سمرقند آثار جليلة شيد كثير منها في عهد تيمورلنك، وفيها ضريح قثم بن العباس رضي الله عنه - فيما يقال -، وفيها ضريح الإمام البخاري رحمه الله تعالى، وهو في ضاحية من ضواحي سمرقند، وفيها قبر تيمورلنك الذي يعد آية في الفن المعماري الآسيوي (2).

ومن صناعاتها القديمة المهمة الكاغد، وهو الورق السمرقندي الذي انتقل سر صناعته من الصين، ثم من سمرقند شاع في العالم كله.

وفيها مدارس قديمة كثيرة حولها الروس إلى مبان أثرية سياحية.

ومن مدارسها الباقية مدرسة شيردار " وأسست سنة 1619م، ومدرسة " طلا كاري " وأسست سنة 1646م (3).

وفي المدينة مسجد جامع ضخم باسم بيبي هانم زوجة تيمورلنك الأخيرة لديه، وأطواله 100×140م تقريباً، وعلو قبته 44م، وعلو منارته 50م، وقد بناه تيمور لنك تخليداً لانتصاراته في الهند، وهو من أكبر مساجد العالم الإسلامي، وأكبر مسجد في آسيا الوسطى، وقد جلب تيمورلنك المعماريين والحرفيين المهرة من كل بلاد الشرق لإتمام بنائه، وجلب الأفيال من الهند لتساعد في النقل والحمل.

ومن أعظم من ملك سمرقند بعد تيمورلنك حفيده أولوغ بيك،

(1) المسلمون في آسيا الوسطى: 248.
(1) " الموسوعة التاريخية الجغرافية " : 43/4.
(2) المصدر السابق: 215/2.

وكان محباً للثقافة والفنون والعلوم والعمران، وأتى لها بالعلماء من كل حدب وصوب، وكان هو نفسه عالماً فلكياً ومدرساً للرياضيات، وبنى مدرسة عليا للطلاب يدرسون فيها العلوم كافة، وبنى مرصداً فلكياً ضخماً ومهماً اكتشف العلماء الروس ما تبقى منه سنة

1908م، ورمموه بعد عام 1920م وبنو بجواره متحفاً يحتوي كتب الفلك النادرة.

ويتوقع أن تحتفل منظمة اليونسكو بمرور 2750 عاماً على إنشاء المدينة(*).

وهناك كتاب باق إلى اليوم جزء منه محقق اسمه " القند في ذكر علماء سمرقند "، ومؤلفه نجم الدين عمر بن محمد النسفي (ت 537هـ) ذكر فيه المصنف تراجم لآلاف من علماء سمرقند!! [1].

طشقند (الشاش):

قال القزويني:

" من أنزه بلاد الله وأكثرها خيراً، وكانت عامة دورهم يجري فيها الماء، وكلها مستترة بالخضرة ".

وقال الحميري:

" الشاش مدينة جليلة من عمل سمرقند وليس بخراسان وما وراء النهر كورة ولا إقليم على مقدارها في المساحة أكثر منابر وقرى عامرة

(*) احتلفت اليونسكو عام 2007 بمرور 2750 عامًا إلى إنشاء سمرقند كما تبنت اليونسكو تنظيم مهرجان " ألحان الشرق " يقام منذ عام 1997 كل عامين بالمدينة (المحرر).

(1) والكتاب مطبوع في مكتبة الكوثر. الرياض : سنة 1412هـ/1991م.

مـن هـذه الناحيـة... والشـاش فـي أرض مسـتوية لا جبـل فيهـا ولا أرض مرتفعـة، وبسـاتينها ومتنزهاتهـا كثيـرة، وهـي مـن الثغـور التـي فـي ناحيـة الترك، ولأهلها سطوة ومَنَعَة ".

وقال ياقوت الحموي:

" خـرج منهـا العلمـاء، ونسـب إليهـا خلـق مـن الـرواة والفصـحاء... وأهلها شافعية المذهب، وإنما أشـاع بهـا هذا المذهب مع غلبـة مذهب أبـي حنيفة في تلك البلاد أبـوبكر محمد بـن علـى بـن إسماعيل القفـال الشاشـي، فإنه فارقها وتفقه، ثم عاد إليها فصـار أهل تلك البلاد علـى مذهبـه، ومـات سنة 366هـ، وكان أوحد أهل الدنيا في الفقه والتفسير واللغة ".

وهي اليوم عاصمة جمهورية أوزبكستان، ولما دخل الروس تركستان نقلوا العاصمة من سمرقند إلـى طشقند لأن سكان سمرقند رفضـوا تغيير الطابع الإسلامي لمدينتهم لما احتلهـا الـروس فنقلوا العاصمة إلـى طشقند لأن كثيراً من أهلها كانوا من الروس.

وتقع اليوم على رافد لنهر سيحون بـالقرب من قزقستان، وترتفـع عن سطح البحر بـ521 متراً، وفيهـا صـناعات ثقيلـة وخفيفـة وتعد اليوم أكبـر مجمع صناعي في آسيا الوسطى، وفيهـا زراعـة القطـن والأرز والفواكـه، وعدد سكانها يربو على المليونين ونصف حسب إحصاء سنة 1995م.

وفـــي طشـــقند اليـــوم " الإدارة الدينيـــة لمســـلمي آســـيا الوســـطى وكازاخستان... وتتبع هذه الإدارة دائرة دولية تعد مستلزمات السفر إلى بيت الله الحرام، ولغتها أوزبكية، ولهذه الإدارة ممثلون في الجمهوريات الأخـرى يطلـق علـى كـل واحـد مـنهم " القاضـي ". أسسـت هـذه الإدارة فـي عـام 1946م، وعقـدت أول مـؤتمر إسـلامي لهـا فـي عـام 1976م فـي طشـقند بمناسـبة مـرور ثلاثـين عامـاً علـى تأسيسـها. وهـي أكبـر الإدارات الأخـرى

وأهمها، حيث تشرف على إصدار جميع المطبوعات الإسلامية، ولديها مكتبة إسلامية عامة "[1].

وفي طشقند " معهد الإمام البخاري "، ويشرف عليه " الإدارة الدينية لمسلمي شمال القوقاز " ومقرها مدينة أوفا وهي عاصمة بشكيريا [2] [*].

وفيها مدرسة " براق خان " وأسست سنة 1600م[3].

فرغانة:

قال القزويني:

" فرغانة ناحية مشتملة على بلاد كثيرة بعد ما وراء النهر، متاخمة لبلاد الترك، أهلها من أتم الناس أمانة وديانة، على مذهب أبي حنيفة، وأحسن الناس صورة، كانت ذات خيرات وغلات وثمرات... ".

وقال ياقوت:

" كثيرة الخير، واسعة الرستاق - البساتين - يقال: كان بها أربعون منبراً، وبفرغانة - في الجبال الممتدة بين الترك - وبينها من الأعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه، والورد والبنفسج وأنواع الرياحين، مباح ذلك كله لا مالك له ولا مانع يمنع الآخذ منه، وكذلك في جبالها وجبال كثيرة مما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس ببلد غيره.

قال الأصطخري:

---

(1) " الموسوعة التاريخية الجغرافية " : 111/2.

(2) المصدر السابق.

(*) يقع معهد الإمام البخاري بمنطقة حست امام التاريخية ومنذ الاستقلال تشرف عليه الإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان الواقعة بنفس المنطقة (المحرر).

(1) المصدر السابق: 115/2.

فرغانة اسم الإقليم، وهو عريض موضوع على سعة مدنها وقراها، وقصبتها - أي عاصمتها - اخسيكث، وليس بما وراء النهر أكثر من قرى فرغانة.

وقال الحميري واصفاً عاصمتها اخسيكث الآنفة الذكر:

" وهي على شط نهر الشاش، على أرض مستوية، بينها وبين الجبل نحو نصف فرسخ، وهي على شمال النهر... ومصلى العيد على النهر، وبفرغانة معادن الذهب والفضة بناحية اخسيكث، ولها مدن كثيرة... ".

ومن مشاهير علماء فرغانة القاضي حسن بن منصور الأوزجندي الفرغاني المشهور بقاضي خان، وله فتاوى مشهورة (ت 592هـ).

وقال السمعاني: " وفيهم كثرة وشهرة في كل فن ونوع من العلوم "[1] وهذه الكلية عجيبة.

وهي ممتدة في وادٍ على نهر سرداريا " سيحون " في أوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان. يزرع فيه القطن والكروم[2].

في النصف الأول من القرن التاسع عشر كان معظم أراضي فرغانة خاضعاً لسيطرة خانية قوقند وحكامها الأوزبكيين الذين خاضوا حروباً ضد دويلات مجاورة وخصوصاً إمارة بخارى التي انشقت عن خانية قوقند، إضافة إلى اشتباكات مستمرة مع الإمبراطورية الروسية الزاحفة على آسيا الوسطى من الشمال.

وبعد سقوط خانية قوقند في أواخر سبعينات القرن التاسع عشر وضم

(1) " الأنساب " : 367/4.
(2) " الموسوعة التاريخية الجغرافية " : 44/4-45.

أراضيها إلى روسيا شهد سهل فرغانة تقدماً اقتصادياً وازدهر فيه زراعة القطن التي كانت تغذي مصانع النسيج الروسية.

وبعد الثورة الشيوعية شهدت المنطقة حرباً طويلة شنتها مجموعة من المجاهدين وعلى أن الحركة قُمعت فإن السكان ظلوا متمسكين بالدين.

لما قُسم وادي فرغانة على الجمهوريات الثلاث نشبت المشكلات بسبب تداخل القوميات، فأصبح كثير من الأوزبك داخل قيرغيزستان [1].

كَش (شهر سبز):

كانت تعد أَعظم مدن الصَغْد، وتدهورت على عهد السامانيين، وهي اليوم معروفة باسم شهر سبز، وينطقها الأهالي شرسبز [2].

وقال القويني:

" مدينة بقرب سمرقند حصينة... وفي عامة دورها الماء الجاري والبستان... ومن مفاخرها أبو إسحاق الكَشي المشهور بالجود والكرم. ومن العجائب ما حُكي عنه أن بعض أصدقائه شكا إليه سوء حاله وكثرة ديونه فسأله أبو إسحاق عن مقدار دينه ووزن في الحال وقال: اصرف هذا في دينك. ثم وزن مثلها وقال: اصرف هذا في مصالحة شأنك، وجعل يعتذر إليه اعتذار المذنب. فلما ذهب الرجل بكى بكاءً شديداً، فسئل عن بكائه فقال: بكائي على غفلتي عن حال صديقي حتى افتقر إلى رفع الحال إلى، والوقوف

(3) " الموسوعة التاريخية الجغرافية " : 70/15.

(1) " تركستان من الفتح العربي " :238.

موقف السؤال!!! " [1]

ويقال لها أيضاً كِسْ [2]. والأول أشهر وأكثر.

مرغلان:

وتعرف قديماً باسم مرغينان، وتقع في الجنوب الشرقي من وادي فرغانة، وهي مدينة قديمة، (وفي سنة 2007 تم احتفال اليونسكو بها كمدينة تاريخية بمناسبة مرور ألفين عاماً على تأسيسها)، (المحرر).

ومن علمائها على بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني (ت 593هـ)، من أكابر فقهاء الحنفية، من تصانيفه " بداية المبتدي " وشرحه: " الهداية ".

ويصفها السمعاني بأنها " من أشهر البلاد من نواحي فرغانة، وقد أصبحت منذ عهد القراخانيين أهم مدن المنطقة [3].

نَسَف (نَخْشَب) (قَرْشي):

ونسف مدينة مشهورة في التاريخ الإسلامي، أما اسم المدينة الحالي فلم تتسم به المدينة إلا قبل ستة قرون، وقرشي: قصر بلغة المغول، الذين سيطروا على المدينة في القرن الرابع عشر الميلادي، وكان النهر يجري وسط المدينة، وعلى ضفته دار الإمارة، وبها مسجد جامع وموضع لصلاة العيد، والأسواق بين دار الإمارة والمسجد الجامع. والمسافة من بخارى

(2) " آثار البلاد " 554.

(3) " الأنساب " : 78/5.

(1) " تركستان من الفتح العربي " : 269، 270.

إلى نسف حوالي تسعين ميلاً [1].

وكان اسمها قديماً نخشب ويقال إن نسفاً تعريب لنخشب، وقال ياقوت:

" من مدن ما وراء النهر بين جيحون - (أموداريا) - وسمرقند... كثيرة الأهل والرستاق - (البساتين) - خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم في كل فن... ولها نهر واحد يجري في وسط المدينة... وقد خرج منها خلق كثير من العلماء... " [2].

وقال القزويني:

" مدينة مشهورة بأرض خراسان منها الأولياء والحكماء يُنسب إليها الحكيم بن المقفع... وينسب إليها أبو تراب عكر بن الحصين النخشبي صاحب حاتم الأصم " [3]

ومن أهم علمائها أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، أحد الزهاد المتأخرين، والأئمة المعتبرين، وقد ألف تفسير النسفي المشهور المسمى بـ " مدارك التنزيل وحقائق التأويل " ومؤلفات أخرى. توفي سنة 701هـ رحمه الله تعالى [4].

وقد خرج منها من العلماء في كل فن جماعة لا يُحصون، كما ذكر السمعاني.

المدن التي كانت معروفة ثم اندثرت:

1 - اسفيجاب:

(2) " تركستان من الفتح العربي " : 240.
(3) " معجم البلدان " : 285/5.
(1) " آثار البلاد " : 466
(2) انظر " التفسير والمفسرون " : 304/1.

كانت ثغراً جليلاً، ودار جهاد، وقال المقدسي أنه كان فيها 1700 دار للمتطوعة الجهاديين، ولعلها اليوم قرية سيرام،[1] وكان منهم جماعة من العلماء، منهم أبو على الحسن بن منصور الأسفيجلي [2].

2 - بِيْكَند:

وكانت حصناً على بعد خمسة فراسخ من بخارى، واشتهرت قبل الإسلام وبعده، وكانت لها تجارات مع الصين وغيرها حتى أطلق عليها مدينة التجار، ثم خربت بعد ذلك في القرن السادس الهجري [3]. وهي اليوم أطلال [4]. وقد قال ياقوت الحموي وهو من أهل القرن السابع الهجري:

" كانت بلدة كبيرة حسنة، كثيرة العلماء، خربت منذ زمان " ثم ذكر أن بها قرابة ألف رباط للغزاة!!، وذكر عالمها المشهور محمد بن يوسف البيكندي شيخ البخاري [5].

وقال الحميري:

" افتتحها قتيبة بن مسلم سنة سبع وثمانين " [6].

3 - فِرَبْر:

وهي بلدة قريبة من بخارى، وقد خربت منذ وقت بعيد [7]. ومن أشهر علمائها محمد بن يوسف الفِرَبْري راوية صحيح الإمام البخاري رحمه الله

(3) " تركستان من الفتح العربي " : 290-292.
(4) " الأنساب " : 434/1.
(5) " تركستان من الفتح العربي " : 217، 218.
(1) المصدر السابق: 218.
(2) " معجم البلدان " : 533/1.
(3) " الروض المعطار " : 123.
(4) " تركستان من الفتح العربي " : 216.

عليهما [1].

* * *

(5) " معجم البلدان " : 245/4، 246.

المراجع

1 - " آثار البلاد وأخبار العباد ": زكريا بن محمد القزويني. نشر دار صادر. بيروت.

2 - " الأنساب " أبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني (ت 562هـ) تعليق عبدالله البارودي. نشر دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى سنة 1408هـ.

3 - " بخارى ": فيتالي نومكين وأندريه فيتسكي. ترجمة صلاح صلاح. نشر المجمع الثقافي. أبو ظبي الطبعة الأولى سنة 1995م.

4 - " تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ": فاسيلي بارتولد، وترجمة صلاح هاشم. نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت سنة 1401هـ/1981م.

5 - " التفسير والمفسرون " د. محمد حسين الذهبي. الطبعة الثانية سنة 1396هـ/1976م بدون دار نشر.

6 - " الروض المعطار في خبر الأقطار ": محمد بن عبدالمنعم الحميري. تحقيق: د. إحسان عباس. نشر مكتبة لبنان. بيروت.

7 - " سمرقند ": فيتالي نومكين. ترجمة صلاح صلاح. نشر المجمع الثقافي. أبو ظبي. الطبعة الأولى سنة 1996م.

8 - " الموسوعة التاريخية الجغرافية والسياسية ": مسعود الخوند. نشر بيروت سنة 2003م.

9 - " مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع " صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي (ت 739هـ). تحقيق الأستاذ على

البجاوي. دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة.

10 - " معجم البلدان ": ياقوت الحموي. نشر دار صادر. بيروت. سنة 1397هـ/1977م.

* * *

أوزبكستان والأمـم المتحـدة

أوزبكستان والأمم المتحدة

د. عبد الوهاب بكر
كلية الآداب - جامعة
الزقازيق
جمهورية مصر العربية

تعد أوزبكستان نموذجا مشرفا للدولة التي تحاول أن توفر العيش الطيب والحياة الكريمة لمواطنيها.

لقد قبلت أوزبكستان عضوا في الأمم المتحدة في 2 مارس 1992 بعد تفكك الاتحاد السوفيتى وحصولها على استقلالها. فهى في إطار السعى لتحقيق الأهداف الوطنية تعتبر دولة جديدة. ومع هذا فإن السياسة التي اتبعتها القيادة الأوزبكية في مجال تحقيق هذه الأهداف أثبتت فاعليتها وأنها تسير على الطريق الصحيح.

جمهورية أوزبكستان التي نحن في ضيافتها اليوم تضم قلباقستان و12 ولاية تحتوى على 163 منطقة ريفية و19 مدينة، وسكانها يبلغون حوالى 25 مليون نسمة (*) أى أنها تضم ثروة بشرية هائلة تساعد على تحقيق خطط التنمية الإنتاجية الطموحة. ويبلغ مستوى التعليم المتوسط فيها 99.15% وذلك وفقاً لأرقام سنة 1998، فهى هنا من أكثر دول العالم نجاحا في القضاء على الأمية.

ورغم تعدد القوميات في أوزبكستان (130 قومية وشعب) فإن القيادة

(*) تجاوز عدد السكان في أوزبكستان 28 مليون نسمة وفقًا لتعداد 2007 (المحرر).

الأوزبكية حرصت على صهر هذه التركيبة البشرية في بوتقة الانتماء للدولة الواحدة وهو ما فشلت فيه السلطات السوفيتية في السابق.

وأعتقد أن نجاح القيادة الأوزبكية في عملية الصهر هذه إنما كان في الواقع نتيجة للجهد الخارق الذي بذل في صدد تحقيق (المواطنة) في عملية بناء الدولة، وهو ما ترجم عمليا في الدستور الدائم لجمهورية أوزبكستان الصادر في نهايات سنة 1992.

وقد فطنت أوزبكستان مبكراً إلى أهمية السلام الاجتماعى والذى يعد التعاون الدولى أحد أهم أركانه، فسرعان ما انخرطت في الأمم المتحدة كعضو في مارس سنة 1992، وأسهمت في نشاطات برنامج الأمم المتحدة الإنمائى UNDP الذي يسعى إلى تغيير ووصل البلاد المختلفة من خلال المعرفة، والخبرة والمصادر لمساعدة الناس على بناء حياة أفضل، وتعمل الآن في أوزبكستان ثمانية منظمات تابعة للأمم المتحدة بهدف مساعدة الحكومة في تطبيق إصلاحات التطوير وتوفير أهداف التنمية في الألفية الجديدة.

وتحمل هذه الخطة التعاونية بين الأمم المتحدة وأوزبكستان اسم أهداف الألفية للتنمية Millennium Development Goals وتختصر بـ MDG. وأهداف هذه الخطة وفقاً لمنشورات الأمم المتحدة هى:

- تحسين مستويات المعيشة وتخفيض سوء التغذية.
- تحسين نوعية التعليم المدرسى والثانوى العام.
- تحقيق المساواة بين الناس في النوع Gender وتقوية وضع المرأة.
- تخفيض معدل وفيات الأطفال.

- تحسين الصحة النسائية.

- ضمان تقوية البيئة.

- تأكيد مشاركة أوزبكستان في التنمية العالمية لتحقيق السلام الاجتماعى.

ويتضح من هذه الأهداف أن أوزبكستان تسعى من خلال التعاون مع الأمم المتحدة إلى بذل الجهود لمحاربة الفقر، تحسين الوصول إلى الخدمات الأساسية، تقليل انتشار الأمراض، والعناية بالبيئة، وذلك من خلال المشاركة في خارطة الطريق للتقدم حتى عام 2015.

إن ما تركز عليه هذه الورقة هو التعريف بالدور الرائد لأوزبكستان في توفير السلام الاجتماعى من خلال التعاون النموذجى مع الأمم المتحدة.

وإذا نحن ناقشنا أهداف (الألفية) MDG التي تسهم فيها أوزبكستان فإننا نجد أنها تنحصر في تركيز جهود المجتمع الدولى على تحقيق تحسينات معينة ومضبوطة في حياة الناس بتأسيس مقاييس معيارية لنتائجها.

يمكن تلخيص أهداف MDG في الآتي:

1 - التخلص من الفقر المدقع والجوع.

2 - تحقيق نوع من التعليم الابتدائى العالمى.

3 - تحقيق مساواة النوع وتقوية المرأة.

4 - تخفيض معدل وفيات الأطفال.

5 - تحسين الصحة النسائية.

6 - محاربة الإيدز والملاريا والأمراض الأخرى.

7 - ضمان استقرار وتعزيز البيئة.

8 - تنمية مشاركة عالمية للتنمية.

والأهداف السبعة الأولى موجهة كما هو واضح نحو تخفيض الفقر بأشكاله المختلفة: الجوع، نقص الدخول، الرعاية التعليمية والصحية، التفرقة في النوع Gender inequality. وتآكل البيئة Environmental degradation.

أما الهدف الثامن فهو يوفر الوسائل لتحقيق الأهداف السبعة السابقة. بكلمات أخرى فإن المشاركة العالمية في التنمية - من خلال المشاركة في برامج الأمم المتحدة بالطبع - هى الوسائل لتحقيق هذه الأهداف.

وكدولة موقعة على إعلان الألفية في سنة 2000، فإن أوزبكستان تفى بوعودها لمواجهة الأهداف المحددة في الألفية (الأهداف الثمانية). والحكومة الأوزبكية تلاحظ باهتمام التطابق والحدة القائمين في هذه الأهداف في إطار التنمية. وقد استندت أوزبكستان بتعاونها مع الدولة المانحة أو المجتمع المانح Donor Community والمجتمع المدنى على سند صلب لتحقيق الإنجاز المطلوب بتكوين وتشكيل أهداف الألفية فيما يخصها كدولة.

لقد حقق (فريق الخبراء الوطنيون) National experts team خطوات كبرى في تحليل محيط التطور والتنمية لكل هدف من خلال إقامة الخطوط الأساسية Baselines والمؤشرات الملائمة.

ومجموعة الأهداف القومية فيما يخص (الألفية) في أوزبكستان هى:

- تحسين مستويات المعيشة وتخفيض سوء التغذية.
- تحسين نوعية التعليم الابتدائى والثانوى العام.
- تنمية المساواة في النوع وتحسين وضع المرأة.
- تخفيض معدلات وفيات الأطفال.
- تحسين الصحة النسائية.
- مقاومة الإيدز والالتهاب الرئوى tuberculosis والملاريا.
- تأمين وتعزيز البيئة.
- المشاركة العالمية في التنمية.

ويلاحظ المراقب التقارب الشديد بين أهداف الألفية (MDG) والأهداف الأوزبكية القومية، لذلك فإن التعاون الوثيق وتبادل الخبرات متوافر في العلاقة بين الدولة والأمم المتحدة في هذا الصدد.

كانت الدراسة الأساسية الأولى للتوفيق بين أهداف الألفية ومحيط التطور والتنمية الأوزبكى، قد أعدت في إطار قومية النشاط Nationalization. وقد قامت الدراسة بفحص تطابق كل هدف من أهداف الألفية على المفهوم الأوزبكى، وتم تحديد التحديات في مواجهة الأهداف والمعايير.

ومن المتطلبات الأساسية في هذه الدراسة (حملة التوعية campaign awareness بالأهداف الوطنية في إطار أهداف الألفية. ولذلك فإن الحكومة والأمم المتحدة هما الداعيان الأساسيان لهذا النشاط الخاص بالألفية في أوزبكستان. ومن هذا المنطلق فهما يركزان على رفع الوعى بأهداف الألفية في الأوساط القومية، المجتمع المدنى، الإعلام

والرأى العام، بهدف تنبيه صناع السياسة والمواطنين العاديين على السواء.

فإذا انتقلنا إلى مجال التطبيق العملى لتحقيق أهداف التعاون بين الأمم المتحدة وأوزبكستان في إطار تحقيق أهداف الألفية فإن الأمثلة غير قليلة أمامنا. ففى مايو سنة 2007 نظم مكتب المنسق المقيم للأمم المتحدة حملة للألفية (MDG) لأطفال المدارس في مدينة (طشقند). وقد عقدت الحملة في كل منطقة بها مدارس لغتها الأوزبكية أو الروسية، وشارك في الحملة حوالى 600 تلميذ يتراوحون بين المراحل 5 - 9 من التعليم. وقد قام على فصول الحملة مدربون ومتطوعون من طلبة المدارس.

وفى أبريل سنة 2007 عقد سمنار لمدة يومين بالتعاون ما بين برنامج الأمم المتحدة الإنمائى في (فرغانة) EU - UNDP enhancement of living standards in Fergana ومع مكتب المنسق المقيم للأمم المتحدة في أوزبكستان. وقد تناول السمنار محلية Localization أهداف الألفية (MDG). وقد ضم السمنار مدربين محليين ودوليين من مكتب المنسق المقيم، والاتحاد القومى للمنظمات غير الحكومية في أوزبكستان ومكتب براتيسلافا لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائى UNDP لأوروبا وبعض المنظمات ذات الصلة بالعمل مع الألفية (MDG) لترقية التنمية البشرية ونشاط تكوين استراتيجيات تنموية مؤسسة على الأهداف المحلية للألفية، النظرية والمنظور القابلين للتطبيق في أوزبكستان.

ويهمنى أن أنوه في هذه الورقة إلى ما ناله الهدف الثالث من أهداف كل من الألفية MDG، والمستوى القومى لأهداف الألفية، وأعنى به ما يخص المرأة من اهتمام على المستوى الحكومى في أوزبكستان.

ففى تقريره أمام اللجنة المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة المنعقد في يناير سنة 2001 أبرز ممثل أوزبكستان التطورات السياسية والاجتماعية والقانونية التي حدثت في بلاده على اعتبار أن النهوض بالمرأة يمثل واحدا من أهداف الألفية الثمانية.

وأوضح ممثل أوزبكستان أنه وإن كان الدستور الأوزبكى لا يتضمن إشارة إلى (التمييز ضد المرأة)، وإن كان مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة يمثل أساسا لدستور جمهورية أوزبكستان الصادر في سنة 1992، إلا أنه قد ظهرت في أوزبكستان ستة اتجاهات رئيسية للعمل في مجال النهوض بالمرأة كانت على التوالى.

1 - إنشاء منظومة قوانين وأنظمة تراعى قضايا الجنسين وتكفل تهيئة الظروف اللازمة لاشتراك المرأة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

2 - إنشاء آليات وطنية للنهوض بالمرأة لحمايتها ومصالحها في مختلف المجالات.

3 - إنشاء شبكة تضم المؤسسات الوطنية العاملة في مجال حقوق الإنسان، ووضع سياسات وبرامج تستهدف تحسين حالة المرأة.

وذكر ممثل أوزبكستان أن زيادة كبيرة قد حدثت في عدد المنظمات غير الحكومية المعنية بقضايا المرأة، وأن التعاون في تزايد بين الهيئات الحكومية والمنظمات غير الحكومية فيما يختص بوضع السياسات والبرامج لصالح المرأة. ونوه ممثل أوزبكستان بما استفادته بلاده من المنظمات الدولية ولاسيما صندوق الأمم المتحدة الإنمائى للمرأة، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائى، ومن التعاون الذي تم بين بلاده وهذه التنظيمات.

وبفضل مساعدات البرنامج الإنمائى أنشأت لجنة النساء الأوزبكيات في سنة 1997 المكتب المعنى بدور الجنسين في التنمية لوضع وتنفيذ برامج هادفة إلى تمكين المرأة اقتصاديا في خلال عملية انتقال أوزبكستان إلى (اقتصاد السوق)، وحدث نوع من التعاون المشترك بين المنظمات النسائية غير الحكومية ومثيلاتها في بلدان أخرى.

وأوضح ممثل أوزبكستان أن الحكومة وضعت ـ وفقا لتوصيات الأمم المتحدة لثقافة حقوق الإنسان برنامجا وطنيا للعمل في مجال حقوق الإنسان يشمل حقوق الإنسان للمرأة، ووفقا لهذا البرنامج فقد أدخلت في المدارس والجامعات مقررات دراسية خاصة معنية بحقوق الإنسان.

وقد لاقت هذه الإيضاحات من جانب حكومة أوزبكستان على لسان ممثلها أمام اللجنة (لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة) التابع للأمم المتحدة، لاقت ترحيبا شديدا باعتبارها تعرض للمستجدات في أوزبكستان وزيادة إيضاح الحالة الراهنة لتنفيذ اتفاقيات الأمم المتحدة للقضاء على التمييز ضد المرأة.

ليس السلام هو فض المنازعات الإقليمية وتجنب الحروب المسلحة فقط... لكنه في تصورنا ـ ومن منظور أكثر شمولا، التمكين لحياة أفضل بما يتضمنه ذلك من تحسين للصحة وضمان مستوى ملائم من التعليم، وتقليل فرص اضطهاد الإنسان لأخيه الإنسان، وتحقيق المساواة بين الناس، وتخفيض معدلات الوفيات بين الأطفال، الخ هذه الأهداف التي تبنتها (أهداف الألفية للتنمية MDG) واتخذت أوزبكستان منها أهداف على المستوى القومى.

وفى ظنى أن تحقيق أهداف كهذه، في بلد يسعى للعيش بسلام بين دول

العالم من خلال التعاون مع الهيئة التي يتجمع فيها المجتمع الدولى الحر، مطلب من أهم المطالب التي تحاول بلدان كثيرة أن تحققه.

وقد بادرت أوزبكستان إيمانا منها بأهمية التعاون مع الأمم المتحدة باعتبارها التجمع الدولى الرئيسى في العالم، بادرت بالإسهام في أنشطة كثيرة للأمم المتحدة من أجل خير العالم بصفة عامة، والأمة الأوزبكستانية بصفة خاصة. وإذا كنا قد اخترنا التعاون الأوزبكى مع (ألفية التنمية MDG) كنموذج أو مثال، فلا يعنى هذا أن هذا هو غاية المطاف بالنسبة للدور الأوزبكى في الأمم المتحدة من أجل تحقيق السلام الدولى والحفاظ عليه. فقط فإننا اخترنا هذا النموذج الطيب لدور أوزبكستان في الأمم المتحدة، لنكشف عن وجه من وجوه الحفاظ على السلام المتعددة، ألا وهو سلام الإنسان بما يتضمنه من حياة آمنة كريمة، واطمئنان على مستقبل واعد، وظروف أفضل للحياة.

وفى ظنى أن أوزبكستان قد حققت هذا من خلال تعاونها مع الأمم المتحدة لتقديم صورة أفضل لإنسان الغد.

* * *

المحور الرابع

تاريخ تطـور العلاقـــــات العربية مـع آسيا الوسطى

التطور التاريخي للعلاقات العربية مع أوزبكستان

التطور التاريخي للعلاقات العربية مع أوزبكستان

أ.د. جمال محمود حجر
عميد كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تتمتع آسيا الوسطى بموقع قاري وسط، جعلها منطقة عبور بين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب؛ ففيها تتقاطع طريق الحرير وطريق الفراء. وشهرة طريق الحرير الذي ازدهر في عصر الإمبراطورية الرومانية شهرة تاريخية لا تزال أصداؤها تتردد إلى اليوم، وشهرة طريق الفراء بين الشمال والجنوب لا تزال ماثلة أمام الباحثين والدارسين في العلاقات الدولية. في هذا الموقع الوسطي تقع أوزبكستان اليوم.

هذه الطرق ذاتها هي التي قادت التجار العرب إلى هذه المنطقة منذ القرن السابع الميلادي، حين اجتازوا نهر أموداريا (جيحون). فعرفت البلاد التي تليه باسم " بلاد ما وراء النهر " أوزبكستان اليوم.

هكذا كانت العلاقات العربية مع إقليم آسيا الوسطى في البداية علاقات تجارية، ولعل هذا ما يسر للعرب نشر الدعوة الإسلامية بين أقوام ذلك الإقليم في القرنين السابع والثامن الميلاديين. فأصبحت مدن مثل سمرقند وبخاري مراكز تجارية وثقافية متميزة، ظلت هكذا على تميزها وروعتها حتى القرن السادس عشر.

وعندما خطى العرب المسلمون خطاهم الأولى إلى آسيا الوسطى أيام

عثمان بن عفان، استشهد فيها رجال على شاكلة قثم بن العباس، ابن عم الرسول ◘ الذي استشهد عام 57 هجرية ودفن في سمرقند، ولا يزال قبره مزاراً شاهداً على بدايات التواصل العربي مع المنطقة.

وتابع الخلفاء الأمويون إرسال رجالهم إلى بلاد ما وراء النهر لتعميق علاقاتهم بها ولمواصلة الدعوة إلى الإسلام وتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم، وكلها روافد ساهمت بشكل غير مسبوق في إعادة صياغة حياة وثقافة المنطقة التي ساهمت في نشر الإسلام حتى الصين. وفيها أرسى قتيبة ابن مسلم الباهلي الحكم العربي إلى أن توفى ودفن في بلدة فرغانة.

وبدأت بلاد ما وراء النهر بعد ذلك تعتمد على نفسها في تنمية ثقافتها ونشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية، فبزغ من أبنائها من حمل الراية الوافدة، وأتاح للبذرة التي وضعها العرب أن تضرب جذورها في الأرض. فأنجبت عدداً من الفقهاء والعلماء والأئمة الأعلام الذين لا يجهلهم المسلمون، وكان ذلك باكورة نتاج التفاعل بين الثقافة العربية الإسلامية وثقافة بلاد ما وراء النهر. يأتي على رأس هؤلاء الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في القرن الثاني الهجري. وهو الذي رحل إلى المدينة المنورة، وبقى فيها ليضع خلال ستة عشر عاماً كتابه " الجامع الصحيح " المشهور بين المسلمين بصحيح البخاري، جمع فيه كل صحيح من الأحاديث النبوية الشريفة، ثم عاد إلى بلاده بثروة غير مسبوقة، فتوفر على تدريسها لنحو تسعين ألف مسلم، فتخرج على يديه عدد من العلماء البارزين. وهكذا أتى التفاعل أكله حين خدم أهل هذه البلاد الإسلام والثقافة العربية خدمة جليلة.

ويعرف المسلمون من رجالات هذه المنطقة الحاج محمد بهاء الدين النقشبندي الذي درس في بخارى وأسس اتجاهاً صوفياً، له أتباع ومريدون

في آسيا الوسطى كما في البلاد العربية. كما يعرفون علماء وفلاسفة وفلكيين وأطباء وشعراء مشهورين لا نزال نقتات على علمهم إلى اليوم، منهم: الخوارزمي والفارابي والبيروني وابن سينا والرازي.

والتراث العربي الذي تركه الأوائل في هذه المنطقة بقيت آثاره إلى اليوم رغم المتغيرات السياسية عبر ما يزيد على ألف ومائتي سنة. على رأسه العقيدة الإسلامية واللغة العربية ومصحف عثمان أول مصحف في الإسلام، الذي ظلت السلطات تتناقله إلى أن استقر في طشقند. ويبقى موسم الحج السنوي مظهراً من مظاهر التواصل الذي لم ينقطع بين أهل هذه المنطقة والعرب، رغم كل الضغوط الإقليمية التي نعرفها.

وإذا كانت العلاقات الدولية في شكلها الحديث تعتمد على التفاعل بين الحكومات التي تمثل الأنظمة الاجتماعية الكبرى، فإن العلاقات بين الشعوب تقوم على المصالح المباشرة وعلى الإرث الثقافي وعلى رصيد العلاقات التاريخية. وهذا في شأن العلاقات العربية مع أوزبكستان التي توظف فيها الخلفيات الثقافية توظيفاً سياسياً لتعميق عرى التواصل؛ لأن الدبلوماسية الثقافية تتميز بقدرتها على اختراق الحواجز دون تدخل من الحكومات، ولا يمكن فهم طبيعة هذه العلاقات، أو تفسير المنعطفات التي مرت بها دون استعراض التطور التاريخي للأمة الأوزبكية في ما بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا حتى بحر آرال، حيث شيدت في القرن السادس عشر كيانات قوية، تمركزت في بخارى وسمرقند وطشقند، وأصبحت سمرقند عاصمة لهم، ثم تركز نفوذهم بعد ذلك في خانات بخارى وخيوة وخوقند. وأصبحت بحكم موقعها الذي يحتل طرق التجارة القديمة موضع اهتمام القوى الإقليمية والدولية؛ كالدولة العثمانية وروسيا وإيران.

في هذه الظروف التي بدأت بالقرن السادس عشر واستمرت حتى مطلع القرن العشرين لم يكن للعرب مع الأمة الأوزبكية وبلدان آسيا الوسطى صلات رسمية إلا من خلال الدولة العثمانية. وبقى لهذا التواصل أن يستمر من خلال المصالح المباشرة للأفراد والإرث الثقافي ورصيد العلاقات التاريخية. أما الأمة الأوزبكية فقد بقيت كياناتها مزدهرة حتى القرن التاسع عشر، حين خضعت لسيطرة التجار الروس الذين جلبوا نفوذ الدولة من ورائهم، في إطار التنافس الاستعماري مع بريطانيا حول المنطقة. وهكذا اختفى التأثير المباشر للعلاقات الأوزبكية العربية نتيجة خضوع كلا الطرفين لقوى أخرى.

ومع نهاية القرن التاسع عشر انتشرت الحركات القومية الإسلامية في إقليم آسيا الوسطى متأثرة بكثير من الأيديولوجيات الوافدة من ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وتركيا وإيران. وكانت هذه الحركات شبيهة بمثيلاتها في البلدان الإسلامية الأخرى كالدولة العثمانية وأندونيسيا وإيران والبلاد العربية. وكانت أهدافها جميعاً: الاستقلال والحرية والمساواة.

وأثر تداخل اللغات المستخدمة لدى الأمة الأوزبكية، إلى غياب لغة مشتركة. لكن مع مطلع القرن العشرين ظهرت لغات أدبية حديثة ساعدت في إيجاد أدب إسلامي حديث يكافح من أجل الاستقلال الذاتي والإصلاح الاجتماعي والسياسي.

وفي مجال الإصلاح السياسي كانت " حركة الرابطة الإسلامية المشتركة " في روسيا تهدف إلى تجميع المسلمين في إطار من التعاون بين روسيا والعالم الإسلامي، ولكن هزيمة روسيا أمام اليابان في عام 1905 شجعت المسلمين على المطالبة بالتحرر، ولعل ذلك كان البداية الحقيقية للحياة السياسية لمسلمي روسيا. وفي هذا الإطار عقد مؤتمر

إسلامي للنظر في هذا الأمر في العام نفسه، ومؤتمران إسلاميان في العام التالي مباشرة، ولكن ظهور تيار يساري إسلامي أضعف جهود المسلمين. وفي عام 1908 تأثرت " الحركة القومية الإسلامية " في آسيا الوسطى بحركة " تركيا الفتاة ". وفي عام 1909 نشأ " تجمع الشباب البخاري "، وهو جمعية ثورية سرية ممن تثقفوا في استانبول ويسعون من أجل الاستقلال. وفي 1917 نشأ " تجمع الشورى الإسلامي " في طشقند بزعامة رجال دين معتدلين، بهدف تحقيق برنامج سياسي محافظ ديني انفصالي.

في هذه الظروف، وبينما استقل العرب عن الدولة العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وقع معظمهم فريسة السيطرة الغربية، كما انتقلت بلدان آسيا الوسطى من السيطرة الروسية إلى سيطرة الدولة الجديدة (الاتحاد السوفيتي) ولم يقدر لعلاقات رسمية مباشرة أن تنشأ بين أوزبكستان والبلدان العربية.

ومع الثورة البلشفية أصبحت بلدان آسيا الوسطى معضلة شائكة في النظام السوفيتي، فالبلاشفة الذين أصبحوا سادة في طشقند، كانوا يعتبرون المسلمين أصحاب البلد الحقيقيين فسلكوا ضدهم مسلكاً استعمارياً، ومن طشقند بدأ السوفيت يهاجمون التجمعات الإسلامية المجاورة في فرغانة وبخاري. وتعاون سكان القرى والمدن والبدو في حركة معادية بدأت في عام 1918 واستمرت حتى عام 1936، وهي الفترة ذاتها التي شهدت حركات وطنية عربية معادية للاستعمار الغربي. هذه الحركة المعادية الفدائية أطلق عليها الروس حركة " البصمتشية " (قطاع الطرق) وهي حركة شبيهة بحركة " رجال الدقيقة " في الثورة الأمريكية. كان موطن الحركة الرئيسي في

وادي فرغانة، وحين غزا الجيش الأحمر بخارى في عام 1920 انطلقت الحركة من أوزبكستان.

ورغم التشابه الذي رصدناه في مسيرة الأمة الأوزبكية السياسية مع مسيرة الأمة العربية، فإن ذلك لم يحل دون التواصل بين الأمتين على المستويات الشعبية والثقافية؛ ذلك أن التواصل العربي ظل مستمراً مع شعوب آسيا الوسطى الإسلامية منذ الفتوحات الإسلامية الأولى، وعلى فترات متفاوتة.

ففي أوزبكستان تعيش جاليات عربية، لا تزال تحتفظ بلغتها العربية وبتقاليدها العربية الإسلامية. وبعض هذه العناصر العربية تمتد جذوره إلى فترة ما بعد الفتوحات العربية الإسلامية، وبعضها ينحدر من العناصر العربية التي رافقت تيمور لنك في عودته من حملته على بلدان المشرق العربي إلى سمرقند في أوزبكستان. وتتوزع هذه العناصر العربية على عدد من القرى في بخارى وما حولها، تحمل أسماء دالة على عروبتها مثل: عرب، عرب خانة، عربليار، عرب قشلاق، عرب مزار، وغيرها.

ولا تخلو كتب الرحالة الروس الذين زاروا إقليم آسيا الوسطى خلال القرن التاسع عشر من إشارات واضحة إلى العناصر العربية التي تعمل بالزراعة في ضواحي بخارى وسمرقند، وبعضهم رعاة متنقلون، يبلغ عددهم حوالي خمسين ألفاً. وإذ استطاعت هذه العناصر العربية أن تصمد في هذه المنطقة محافظة على عقيدتها ولغتها، فإن ذلك يعني أن روافد إمداد المنطقة بعناصر عربية جديدة كانت مستمرة، كما يعني أن ارتباط الإسلام بالعروبة في التفاعل مع أهل أوزبكستان كان لا يزال مستمراً.

هذا التدفق العربي المستمر على أوزبكستان والبلدان الإسلامية

المجاورة، جعل العرب المنطقة مجالاً للدراسات الأكاديمية من قبل الباحثين السوفيت في القرن العشرين، فتناولتهم من النواحي العرقية واللغوية والأنثربولوجية والثقافية والاجتماعية.

أما اللغة العربية التي استطاعت أن تصمد في أوزبكستان فهي أقرب ما تكون للهجة العراقية، وربما يكون ذلك طبيعياً نظراً للقرب الجغرافي، واستناداً إلى نظرية أن أصول العناصر العربية هناك تعود إلى أيام تيمور لنك. ولا يخلو الأمر من وجود لهجات تنتمي إلى شبه الجزيرة العربية، يبدو ذلك حين نعلم أن عرب بخارى قد لا يفهمون عرب قاشتادريا والعكس صحيح. وربما يفهم من ذلك أيضاً أن المجموعات العربية المهاجرة عاشت بعيداً عن بعضها لفترات طويلة، أو أنها لم تنتقل إلى المهجر دفعة واحدة، وإنما انتقلت في عهود مختلفة، فضلاً عن أن امتزاجها بالعناصر الأوزبكية جعل تأثير اللغة الأوزبكية يطغي على اللغة العربية.

ومن ناحية أخرى فإن استخدام العرب لأكثر من لغة أخرى في أوزبكستان لابد وأن تكون له آثاره السلبية على لغتهم الأم، وأن عدم اعتبار اللغة العربية في آسيا الوسطى لغة رسمية زمن الاتحاد السوفيتي أضاع هذه اللغة عند الأجيال الناشئة. وعلى هذا النحو اقتصرت دراسة اللغة العربية على الدراسات المتخصصة في الجامعات لإعداد المستعربين والمستشرقين والدبلوماسيين.

وقد أثبت المستشرقون الذين اهتموا باللغة العربية والآداب العربية وعلى رأسهم أغناطيوس كراتشكوفسكي (1883 - 1951) الذي قضى 45 عاماً في دراسة اللغة العربية وآدابها، أن هناك أدباً عربياً يستحق الاهتمام ويعكس حياة العصر، وعدت دراساته التي صدرت مختارات

منها في ستة مجلدات، عند وفاته عام 1951 حدثاً هاماً في الحياة الثقافية والعلمية للاتحاد السوفيتي، خصص المجلد الثالث منها لدراسات الأدب العربي الحديث.

ويبين اهتمام كراتشكوفسكي بالآداب الحديثة صورة العرب والإسلام في عهود الازدهار. وهي الدراسات التي بدأها عام 1911 ببحث عن الرواية التاريخية في الأدب العربي المعاصر، في إشارة إلى روايات جرجي زيدان ويعقوب صروف وفرح أنطون وجميل نخلة وغيرهم. ثم أخذ كراتشكوفسكي يحاضر منذ عام 1918 في الأدب العربي في جامعة لينينجراد، بمنهج علمي حديث. وفي عام 1930 دُعي كراتشكوفسكي إلى الكتابة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، وكان قد منح عضويته، فكتب مقالاً في مناهج ومقاصد الأدب العربي المعاصر. وفي عام 1934 كتب في دائرة المعارف الإسلامية مادة " تاريخ الأدب العربي الحديث ". وقدم لأعمال أمين الريحاني فصدرت مترجمة إلى اللغة الروسية وغير ذلك من الدراسات المتنوعة للأدباء العرب وأعمالهم، ومنهم ميخائيل نعيمة، وطه حسين، وجبران، كما قدم لكتاب كلثوم فاسيليفا (1892 - 1965) المعروفة بأم المستعربين الروس بعنوان " المنتخبات العصرية لدرس الآداب العربية ". وكتب تحليلاً لشعر يوسف غصوب ومحمد مهدي الجواهري.

ومن المستشرقين الروس الذين أجادوا اللغة العربية والثقافة العربية وآدابها عبد الرحمن سلكانوف، وله دراسات عدة في اللغة والآداب العربية، منها دراسة عن مؤلفات عبد الرحمن الرافعي وتاريخ الحركة الوطنية في مصر، وأخرى عن عبد الرحمن الشرقاوي ورواية " الأرض ".

واهتمت كلثوم فاسيليفا بالمرأة العربية المعاصرة في مطلع الثلاثينيات، كما اهتمت بالحركة الأدبية في مختلف الأقطار العربية خلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين.

وعنى فالنتين بوريسوف بالتيارات الجديدة في الأدب العربي، وتناول دراسات لمحمود تيمور، وإحسان عبد القدوس، ونجيب محفوظ. كما عنى دانييل سيمينوف بمؤلفات المازني وجورجي زيدان. واهتم دانييل يوسوبوف المهتم بعمر فاخوري، وجبران، وميخائيل نعيمة، وأمين الريحاني. في النصف الثاني من القرن العشرين اهتم خالدوف بأدب طه حسين.

وقد ترجمت أعمال توفيق الحكيم منذ منتصف الثلاثينيات إلى الروسية. إلى غير ذلك من المؤلفات المعنية بالأدب في مصر الحديثة، والعراق الحديث. وحتى مطلع الستينيات من القرن الماضي كان عدد المؤلفات العربية المترجمة إلى اللغات السوفيتية حوالي 124 كتاباً، وهي نسبة عالية جداً بالمقارنة بما ترجم من اللغات الأخرى إلى لغات الاتحاد السوفيتي. كل هذا يعكس مظاهر الاهتمام المتزايد بالبلاد العربية وآدابها وثقافتها.

أما معاهد الاستشراق في موسكو ولينينجراد فقد عنيت بالآداب واللغة العربية ويحمل نقل معهد موسكو إلى فرغانة في آسيا الوسطى في عام 1943 دلالة خاصة في هذا السياق، وكانت كلثوم فاسيليفا أول امرأة من أصل عربي تنال درجة أستاذ نتيجة عملها في هذه المعاهد. واستطاعت أن تضع في اللغة العربية نحو 23 مؤلفاً فيما بين عامي 1926 و1965.

ومن مظاهر الروابط الثقافية بين أوزبكستان والعرب أن معهد

الاستشراق لأكاديمية العلوم الأوزبكية في طشقند يضم عدداً من رسائل الفارابي في الفلسفة والطبيعيات، وقد جمع المعهد هذا التراث من أكبر مستودعات الكتب والمخطوطات في لندن وباريس وبراتيسلافا وبغداد والقاهرة واستانبول وطهران وحيدر أباد وكابل وغيرها. هذا فضلاً عن مؤلفات ابن سينا التي تحتل المكان الأول من حيث العدد في المعهد. فضلاً عن المجموعة الرائعة من المخطوطات الشرقية في معهد أبي ريحان البيروني للاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الأوزبكية، وهي أغنى ذخيرة لآثار الشرق الكتابية.

ومن مظاهر الروابط الثقافية بين العرب وأوزبكستان في إطار الكيان الروسي الكبير استخدام الحروف العربية في الطباعة منذ نهاية الربع الأول من القرن الثامن عشر، مع أنها لم تستعمل في ذلك الوقت إلا لطبع لوحات وأطباق رسمية فاخرة تقدم عند تتويج القياصرة الروس أو عند قدوم الوفود الأجنبية إلى الاحتفالات الرسمية. ولعل أول كتاب كامل طبع باللغة العربية في روسيا هو القرآن الكريم زمن الملكة كاترينا الثانية.

وفي عام 1800 استطاع أحد الضباط المسلمين أن يؤسس في قازان (الفولجا) مطبعة لنشر الكتب بالتتارية والفارسية والعربية، فأصبحت قازان مركزاً إسلامياً شهيراً ومقراً لطباعة الكتب الروسية لمدة تزيد على قرن من الزمان. وحين تأسست الجامعة في قازان عام 1805 أصبحت المطبعة تابعة لها عام 1809. ومع نهاية القرن التاسع عشر صارت الطباعة الإسلامية والعربية في روسيا ظاهرة بارزة من ظواهر الحياة الثقافية في العالم الإسلامي كله. وصدر عنها عام 1876 كتب مثل " مختارات من الأدب العربي ". ثم توالى ظهور المطابع العربية خلال القرن 19. وفي أستراخان نشرت مجموعة من الكتب العربية، أما في بلاد

ما وراء النهر لم تظهر طباعة الكتب العربية إلا في أواخر القرن 19، وتنامت بعد 1905، وكان الروس بصفة عامة يملكون المطابع التي نشأت في طشقند وبخاري.

ساعدت الكتب العربية التي طبعت في روسيا حتى عام 1917 على رفع مستوى المعرفة باللغة العربية الفصحى عند المسلمين فيها وعلى ازدياد الدارسين لها، وكانت وسيلة لدعم المعارف والعلوم والقيم الأخلاقية والدينية الموروثة وحفظها، وربطت المسلمين الروس بغيرهم من المسلمين، وقوت من مفهوم الوحدة الثقافية الإسلامية، وعكست الفكر التجديدي والإصلاحي للمسلمين، ولم يبق من هذه الكتب إلا القليل الموزع على مكتبات العالم، وأكثرها لا يزال موجوداً في المكتبة الوطنية بسان بطرسبرج، ومكتبة معهد الدراسات الشرقية ومكتبة أكاديمية العلوم في تتارستان ومكتبة طشقند وغيرها.

والمتتبع للعلاقات السوفيتية بصفة عامة، والجمهوريات الإسلامية جزء من الكيان السوفيتي الكبير، يدرك أن محاور استراتيجية إسلامية وعربية كانت مطلباً رئيساً لصناع السياسة الخارجية السوفيتية منذ العشرينيات من القرن الماضي حين كان دور العناصر الإسلامية من وسط آسيا ضروري للمشاركة في المؤتمرات الإسلامية كما حدث في عام 1925 في القاهرة وفي عام 1926 في مكة. وكان ذلك ممارسة لحق المسلمين السوفييت في أن يتواصلوا مع إخوانهم. وغيرها من المؤتمرات.

وفي أعقاب حرب يونية 1967 بين العرب وإسرائيل، لعب المسلمون من الجمهوريات السوفيتية دوراً ينسجم مع طبيعتهم الإسلامية في نصرة قضايا العالم العربي، فقد أدى ظهور حالة من العداء للاتحاد السوفيتي، الذي كانت تخضع له الجمهوريات الإسلامية إلى اختفاء دور الممثلين

الرسميين الروس، وبالمقابل نشط دور مفتي طشقند الذي وصل إلى القاهرة لإعلان التضامن مع العالم العربي، واستطاع أن يلعب دوراً مؤثراً في المؤتمر الذي عقد لهذا الغرض، وفي الجامع الأزهر، وفي اللقاءات الاجتماعية والدينية والسياسية الأخرى على هامش المؤتمر. ونجح في تجسيد تضامن المسلمين السوفيت مع العرب، وكان من أبرز مواقفه أن ضم صوته إلى الأصوات المطالبة بالانسحاب الفوري للقوات الإسرائيلية من الأراضي العربية. وعلى خط مواز نشط مساعده خلال زيارته مصر والأردن وسوريا ليؤكد على معنى التضامن الإسلامي، ورغم أن هذا الوفد كان يتحدث باسم الاتحاد السوفيتي إلا أنه كان يتكلم بلسان المسلمين السوفييت، بهدف التواصل مع العالم العربي والعالم الإسلامي، وضمان التماسك العربي والإسلامي في مواجهة نتائج حرب يونية 1967.

لقد كانت مهمة الإدارة الروسية لمسلمي وسط آسيا ورئيسها مفتي طشقند أن يجعلوا بلادهم مركزاً مرئياً للنشاط الإسلامي لتأكيد أن تكون بلادهم أرضاً للإسلام في وسط شيوعي، ولكي يتحقق لهم ذلك لجأوا إلى آلية لا تزال تستخدم إلى اليوم، وهي عقد سلسة من المؤتمرات الكبرى التي تناقش قضايا الدين والثقافة والسياسة، يدعى إليها ممثلون من معظم البلدان الإسلامية. ففي 1970 اجتمع في طشقند مؤتمر ضم ممثلين من 24 بلداً إسلامياً، ترأسه مفتي طشقند ضياء الدين باباخانوف، بهدف السعي نحو وحدة وتعاون الشعوب الإسلامية في النضال من أجل السلام. وفي عام 1973 اجتمع مسلمون في طشقند للغرض نفسه. وفي العام 1974 كانت سمرقند تحتفل بالذكرى المائتين بعد الألف لميلاد الإمام إسماعيل البخاري، وهي المناسبة التي حضرها 25 وفداً إسلامياً، ضم وفوداً من بلدان عربية كالسعودية والمغرب ومصر والأردن. وفي عام 1976

استضـاف مفتـي طشـقند الجماعـة الإسـلامية العالميـة فـي مناسـبة الاحتفـال بالذكرى الثلاثين لتأسيس إدارته الروحية وكان من بين الحضور مندوبون مـن المغـرب والسـعودية والـيمن وسـوريا وهكـذا كانـت أوزبكسـتان قبلـة لقاءات إسلامية وعربية.

أمـا المفتـي فقد زار الـيمن الشـمالي فـي عـام 1974. وفـي عـام 1975 زار كلا من العراق والأردن ومصر حيث ألقى خطابـاً فـي حشد كبيـر مـن المسلمين في الجامع الأزهر. ثم توجه بعد ذلك إلـى السـعودية حيـث حضـر مـؤتمراً فـي مكـة المكرمـة واستقبله الملـك خالـد. وفـي الوقـت نفسـه زار مسـاعده الصـومال. وفـي 1976 تـرأس المفتـي عبد اللاييـف وفداً إسـلامياً سوفيتياً لحضور مؤتمر عقد فـي طـرابلس تحـت رعايـة القذافي. وفـي عـام 1977 ترأس المفتي نفسه وفداً إلى مؤتمر الفكر الإسلامي بـالجزائر. وفـي العام التـالي شارك وفد برئـاسته في المؤتمر الثاني عشر للفكر الإسلامي.

ولعـل الإشـارات السـابقة تقدم دلـيلاً علـى التفاعل الـذي لـم ينقطـع بـين طشقند والعالم العربي، نـاهيك عن تفاعلها مع العالم الإسلامي. ولا شك في أن هذا النشـاط قد قوى مـن النفوذ الإسلامي داخـل الاتحـاد السـوفيتي كمـا قوى من الحضور العربي المتواصل مع وسط آسيا الإسلامية.

وهكذا نرى أن أوزبكسـتان تحتـل موقعـاً خاصـاً فـي الإسـلام ففيهـا تقـع الإدارات الإسلامية والمدرستان النشيطتان: " ميـري عـرب " فـي بخـارى " والإمام إسماعيل البخاري " في طشـقند. وأوزبكسـتان تراعـي الأعـراف الدينية لدرجة أنها أصبحت أعرافاً قومية، وقد قوى هذا الاتجاه لديها وجود المـدن التاريخيـة الإسـلامية وجامعاتهـا فـي طشـقند وسـمرقند، فضـلاً عـن وجود الطبقة المثقفة الأكثر تطوراً وانفتاحاً في آسيا الوسطى، ولهذا ينظـر إلى الأوزبك علـى أنهم أكثـر قدرة علـى تحقيق وحدة الإقليم الـذي دمرتـه

سياسة التجزئة.

يتضح لنا من هذا العرض السريع كيف يمكن لقوة التاريخ أن تجعل من أوزبكستان الجمهورية المحورية وسط جمهوريات وسط آسيا، والتي تقع منها موقع الوسط بحيث يمكن أن تشكل نسيجاً ثقافياً واحداً يرتبط بالبلاد العربية بروابط ثقافية لا يمكن إنكارها، كما أن على البلاد العربية أن تمد يدها إلى أهل هذه البلاد الواعدة بتعميق التواصل الثقافي والتجاري، حفاظاً على الدور الذي اضطلعت به العروبة والإسلام في الماضي. ويستطيع المراقب أن يرصد الأدوار المتميزة التي تضطلع بها بلدان عربية كالمملكة العربية السعودية ودول الخليج ومصر وغيرها في دعم اللغة العربية ومعاهد العلم والمجتمع الأوزبكي بصفة عامة بوسائل التنمية الثقافية الإسلامية من أعضاء هيئة التدريس والمؤلفات والمطبوعات الدينية، وتيسير الحصول على المنح الدراسية للطلبة الأوزبك للدراسة في الجامعات العربية، وقد يسر استقلال أوزبكستان في عام 1991 أن تشق هذه البلاد طريقها بدون معوقات كي تخرج من عزلتها الجغرافية في وسط آسيا لتطل على العوالم الخارجية الداعمة لعناصر القوة فيها من خلال الثقافة العربية الإسلامية التي تشكل الملمح الرئيسي للشخصية الأوزبكية، كما يسر انضمامها إلى الأمم المتحدة في عام 1992 انفتاحها على العالم الخارجي في علاقاتها الدولية لأول مرة. وقد بدأت أوزبكستان خطاها في هذا الاتجاه بحماس نرصده جميعاً.

* * *

دراسات العالــــم التركــي

دراسات العالم التركي

أ.د/ رأفت غنيمي الشيخ
عميد كلية الآداب الأسبق
ومؤسس معهد الدراسات والبحوث الآسيوية
بجامعة الزقازيق

جاء الاهتمام بدراسات العالم التركي في الجامعات المصرية من خلال دراسة تاريخ الوطن العربي تحت الحكم العثماني، وقد ألفت كتباً في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ومنها مصر قمت بتدريسها لطلابي في جامعات عين شمس والزقازيق والمنصورة والمنيا وغيرها، وأفردت فصولاً عن تاريخ الدولة العثمانية وضمها لمصر ولمعظم الأقطار العربية لمدة حوالي 400 سنة.

وأفردت فصولاً عن الحكام لمصر والمشرق العربي من أصول تركية مثل أحمد بن طولون من أوزبكستان، والظاهر بيبرس من قازاخستان، ولكل منهما أصول تركية من " تركستان " بوسط آسيا، حتى إذا قامت الدولة العثمانية ذات الأصول التركستانية عام 1299م، كان الظاهر بيبرس قد نجح عام 1260م في هزيمة الغزو المغولي في فلسطين ببلاد الشام.

ولكن دراسات العالم التركي زاد الاهتمام بها مع إنشاء معهد الدراسات والبحوث الآسيوية بجامعة الزقازيق، وترجع فكرة إنشاء هذا المعهد إلى عام 1991م عندما كنت عميداً لكلية الآداب جامعة الزقازيق،

ولي علاقات مع سعادة الأستاذ الدكتور محمد حرب أستاذ التاريخ واللغة والحضارة التركية بكلية الآداب، جامعة عين شمس، ومؤسس المركز المصري للدراسات العثمانية والعالم التركي والبلقان، حيث تبادلنا التعاون العلمي المثمر، وقد استفدت منه جداً ومن مركزه، من خلال توجيه طلابي بكلية الآداب لعمل دراسات علمية موضوعية عن الدولة العثمانية وتركيا المعاصرة.

كما كان لتفكك الاتحاد السوفيتي واستقلال دول تركستان بآسيا الوسطى والقوقاز، دافعاً لكي نهتم في مصر بهذه الدول الإسلامية الشقيقة التي كانت منابع التراث الإسلامي من خلال علمائها أمثال البخاري، ومسلم، والترمذي والبيروني، والخوارزمي، وابن سيناء، والفارابي، والزمخشري، والبيهقي، وأبو حامد الغزالي صاحب كتاب إحياء علوم الدين وغيرهم، ونستحضر التاريخ الزاهر لهذه الدول، ونسعى للتواصل معها على قدم المساواة وليس من خلال الاتحاد السوفيتي.

وجاء ظهور النمور الاقتصادية في شرق وجنوب شرق آسيا دافعاً آخر للاهتمام بالدراسات الآسيوية في معهد متخصص، خاصة أن تجارب هذه النمور يمكن الاستفادة منها في مصر وفي بقية الدول العربية، خاصة تلك التي تنتج البترول بكميات كبيرة، تستفيد منها في التنمية وفي إقامة علاقات اقتصادية وسياسية مع الدول الآسيوية، ومن هنا كان إنشاء معهد الدراسات والبحوث الآسيوية لدراسة تجارب دول النمور الاقتصادية الآسيوية.

ونضيف إلى ذلك أن الجامعات في مصر وفي الوطن العربي اهتمت منذ وقت مبكر بدراسات عن أوروبا التي خضعت مصر ومعظم البلاد العربية لاستعمار أوروبي، وعن أمريكا التي تزعمت المعسكر الغربي

بعد الحرب العالمية الثانية في مواجهة الاتحاد السوفيتي زعيم المعسكر الشرقي، ودارت ما عرف بالحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي، إلى جانب اهتمام مصر بقارة أفريقيا حتى تم إنشاء معهد للبحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة، بينما غابت الدراسات عن تاريخ القارة الآسيوية السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية في جامعات مصر، بل وجامعات الدول العربية. مما دفعنا إلى التفكير في إنشاء معهد للدراسات والبحوث الآسيوية لمواجهة كل هذه الأمور والمتطلبات.

وعندما صدر القرار الجمهوري بإنشاء معهد الدراسات والبحوث الآسيوية في ديسمبر عام 1993م، تطورت العلاقات الأكاديمية مع دول آسيا الوسطى وفي القلب منها تركيا وقد شهدت جامعة الزقازيق لأول مرة زيارة سعادة سفير الجمهورية التركية في مصر مرات عديدة - وحضر حفل افتتاح الدراسة بالمعهد، كما شهد المعهد لقاءات عديدة شهرية لسعادة السفير " يشار يقش " والسادة المستشارين الثقافيين والإعلاميين، وعقدت ندوات عن تركيا والعلاقات المصرية التركية وعلاقات تركيا بدول العالم التركي في آسيا الوسطى والقوقاز، وتزويد المعهد بمئات الكتب والملصقات والخرائط من خلال معارض الكتب بالمعهد والصناعات التقليدية التركية، وترتيب رحلات لطلاب المعهد وبعض الأساتذة لزيارة مؤسسات الوقف التركية والمؤسسات الاقتصادية والتعليمية في اسطنبول.

كما شهد المعهد زيارات سفراء ومستشارون ثقافيون وإعلاميون بسفارات الدول الآسيوية بالقاهرة، سفراء الصين، واليابان، وكوريا، وإندونيسيا، وماليزيا، وباكستان، والهند، وقازاخستان، وأوزبكستان، وطاجيكستان، وتركمانستان، وقرغيزستان، وأذربيجان.

وفي شهر مايو 1997م نظم المعهد اللقاء المصري الآسيوي ليوم

واحد بالزقازيق، شارك فيه سفراء جميع الأقطار الآسيوية والمستشارين الثقافيين وبعض رجال الأعمال من الدول الآسيوية، وفي المقابل شاركت الجامعات المصرية وفي مقدمتها جامعة الأزهر، لبيان التعاون بين مصر والأقطار الآسيوية الإسلامية سواء باستقبال أبناء تلك الدول في منح للدراسة، أو إرسال الأساتذة والعلماء من مصر لهذه الدول، كما شاركت أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا في مصر في اللقاء بالتعريف بالاتفاقيات الثقافية والعلمية بين الأكاديمية والدول الآسيوية.

وقد حددت لائحة المعهد أقسام المعهد على النحو الآتي:

1 - قسم الحضارات الآسيوية.

2 - قسم الأديان المقارنة.

3 - قسم اللغات الآسيوية.

4 - قسم العلوم الاجتماعية.

5 - قسم النظم السياسية والاقتصادية.

6 - قسم الموارد الطبيعية الآسيوية.

(وفي لائحة الدراسة بالمعهد يختار الطالب من كل قسم في الفرقتين الأولى والثانية إحدى اللغات الآسيوية، وفي مقدمتها اللغة التركية، كما هو موضح في ملاحق البحث).

وبالنسبة لدراسات العالم التركي بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية، فإنها تسير على النحو الآتي:

1 - في مجال التاريخ:

تم تأليف كتب احتوت على تاريخ الدولة العثمانية وتركيا المعاصرة،

وتــاريخ دول آســيا الوســطى قبــل الغــزو الروســي، ثــم فــي ظــل روســيا القيصرية، ثم في ظل الاتحـاد السوفيتي، ثم في عهد الاستقلال، وإبـراز الـهوية الإسلامية لشعوب دول آسيا الوسطى والعلمـاء الأعـلام الـذين يفخـر بهم كل مسلم في أنحاء العالم.

2 - في مجال الجغرافيا:

يـتم تـدريس جغرافيـا طبيعيـة وجغرافيـا اقتصـادية، وجغرافيـا بشـرية، وجغرافيا سياسية لدول آسيا الوسطى (دول العالم التركي).

3 - في مجال الاقتصاد:

يتم تدريس الموارد الاقتصادية الزراعيـة والصـناعية والتجاريـة لـدول آسيا الوسطى (دول العالم التركي) والاتفاقيات الاقتصـادية مـع دول العـالم والمشكلات التي يعاني منها الاقتصاد في هذه الدول.

4 - في مجال السياسة:

يـتم تـدريس نظـم الحكـم فـي دول آسيا الوسـطى (دول العـالم التركـي)، والعلاقات السياسية مـع بعضـها الـبعض، ومـع الجمهوريـة الإيرانيـة، ومـع روسيا الاتحادية، ومع الصين والهند والدول العربية، وفي مقدمتها مصر.

5 - في مجال الأديان المقارنة:

حيـث أن الـدين الرسـمي لـدول آسـيا الوسـطى هـو الإسـلام مـع قبـول ديانـات أخـرى وعقائـد وضـعية أخـرى، يـتم تـدريس ذلـك عبـر العصـور التاريخيــة حتــى الآن، وخاصــة أن شــعوب دول العــالم التركــي تســعى لاستعادة هويتها الإسلامية بزيـادة عدد المبعوثين إلـى الجـامع الأزهـر فـي مصـر، وزيادة عدد القاصدين أداء شعائر الحج فـي مكـة المكرمـة، وزيـارة قبر الرسول محمد ابن عبد الله.

6 - في مجال الموارد الطبيعية:

حيث يتم تدريس الموارد الأرضية والمائية بآسيا الوسطى، ودراسة إمكانية التكامل بين هذه الدول وبينها وبين مصر والأقطار العربية.

7 - وفي مجال اللغة:

حيث رعى سعادة الأستاذ الدكتور محمد حرب تدريس اللغة التركية، وساعدته الأستاذة الدكتورة ماجدة مخلوف أستاذ التاريخ واللغة والحضارة التركية ورئيس قسم لغات الأمم الإسلامية بكلية الآداب جامعة عين شمس، وبعض الزملاء الآخرين، وقد ازداد إقبال طلاب المعهد على تعلم اللغة التركية متأثرين بمعاملة أ.د/ محمد حرب أ.د/ ماجدة مخلوف الأبوية لهؤلاء الطلاب.

8 - وفي مجال الحضارات الآسيوية:

يتم تدريس مقررات تختص بحضارات دول وشعوب العالم التركي منذ انتشار الإسلام إلى هذه الجهات، وبروز المظاهر الحضارية هناك من مكتبات ومساجد وقصور ومراكز علمية، وعلماء أعلام نقشوا في وجدان العالم الإسلامي زخماً حضارياً علمياً باقياً حتى اليوم، وعلاقة حضارات دول آسيا الوسطى بالحضارات المجاورة الهندية والفارسية والصينية، وبالقطع الحضارة العربية الإسلامية.

وفيما يتصل بالرسائل العلمية لدرجتي الماجستير ودكتوراه الفلسفة في الدراسات الآسيوية من الأقسام المختلفة بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية، والمتعلقة بدول آسيا الوسطى (دول العالم التركي) ومنها الجمهورية التركية فإننا نسوقها في البيان المرفق.

ويجب أن أشير إلى أنني كتبت في بعض الصحف المصرية مقالات

عدة عن علاقة مصر بالجمهورية التركية، وبدول العالم التركي في التاريخ الإسلامي والتاريخ الحديث والمعاصر، أسوقها أيضاً كملحق لهذه الورقة.

وأسوق كذلك لائحة معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، حيث يتضح منها اهتمام المعهد باللغات الآسيوية في كل الأقسام، وفي مقدمتها اللغة التركية.

كما أسوق أيضاً عدة جداول إحصائية عن جمهوريات آسيا الوسطى من حيث عدد السكان والعرقيات، والمسلمين في كل جمهورية منها.

ومادمنا بصدد الحديث عن أوزبكستان عمق التاريخ وازدهار الحضارة، لابد من التذكير بأن الأوزبك - كعرقية تركية - امتد وجودهم ما بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا حتى بحر آرال، كما امتد نفوذهم إلى بخارى وطشقند وسمرقند وخيوة وخوقند[1]. وهم ينتشرون الآن إلى جانب جمهورية أوزبكستان في كل من قازخستان، وشمال أفغانستان، والجزء الغربي من تركستان الشرقية، ويعتبرون أكبر جماعة تركية في الاتحاد السوفيتي السابق والثانية من حيث الكبر في العالم بعد أتراك الجمهورية التركية[2].

وعدد سكان جمهورية أوزبكستان أكثر من عشرين مليون نسمة، وتشمل جمهورية " كاركالباكيا " وجزء من إمارة بخارى، وقسماً من خانية خوارزم، ومناطق أخرى، وعاصمتها مدينة طشقند، وأهم مدنها

---

(1) د. محمد حسن العيلة : أواسط آسيا الإسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني، الدوحة، 1986م، ص 17 - 22.

(2) السيد خالد المطري : دراسات في سكان العالم الإسلامي، الرياض، ص 303.

سمرقند وخيوة وبخارى.

وكانت هذه المدن وغيرها مراكز حضارية إسلامية تمثلت في المكتبات ودور العلم، وعاش فيها علماء أعلام مثل الإمامين مسلم والبخاري، وكذلك كل من الخوارزمي وابن سينا وغيرهم الذين تركوا لنا تراثاً علمياً إسلامياً كبيراً.

وأراضي أوزبكستان تضم المناطق المعروفة في إقليم نهري جيحون وسيحون، وهي مناطق زراعية ورعوية، حيث تعد ثالث دولة منتجة للقطن في العالم، ومن أكثر الدول تربية للأغنام، ودود حرير القز، كما يوجد بها احتياطي كبير من البترول والغاز الطبيعي، وبها صناعات تعدين متطورة، وصناعات نسيج وصناعة كيماويات[1].

* * *

(1) د.فوزي طايل : آثار تفكك الاتحاد السوفيتي على أمن الأمة الإسلامية، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر 1993م، ص 319.

سمرقنديون في بغداد..

سمرقنديون في بغداد..
ملامح من الصلات العلمية والحضارية بين بغداد وسمرقند

د. عمر عبد العزيز العاني
مستشار تعليمي في المعهد
الإسلامي في روسيا سابقاً
أستاذ مساعد في شعبة الدراسات
الإسلاميّة
جامعة البحرين حالياً

هذه نبذة إخبارية عن سمرقند جميلة المعنى والمبنى، والمظهر والمخبر تتتبّع صلاتها العلمية والحضارية مع بغداد عاصمة الخلافة العباسية، والمتتبع لهذه الصلات سيقف على شواهد من فنون المعرفة وصنوف الآداب تشهد للسمرقنديين بالنباهة والذكاء وعلو الهمة، وقد امتدت هذه الصلات منذ نشوء بغداد وحتى عهد قريب، إذ ما تزال آثار هذه الصلات شاخصة ماثلة، ومن تلك المعالم ذات الدلالة على صلات أوزبكستان ببغداد جامع الأوزبك، فإلى نبذة تعريفية عنه.

جامع الأوزبك في بغداد:

في منطقة باب المعظم التي تقع في جانب الرصافة من بغداد - وهي الجانب الأيسر لنهر دجلة - هناك جامع ما يزال عامراً ببنائه ومصليه ومنارته البغدادية التي تمثل طراز المساجد البغدادية في عهد الأتراك، عرف هذا الجامع بجامع الأوزبك، ومع شاهد عيان يحدثنا عن هذا المسجد

الأثري.

إنه العلامة الموسوعي الشيخ جلال الحنفي رحمه الله فيقول (ما مررت بمنطقة باب المعظم إلا تذكرت بغداد عبر سنين طويلة يوم كان الداخل إلى بغداد يمر بجامع الأوزبك عن جهة اليمين الذي كان يقع عند مدخل الشارع فإنه سيرى على بابه شعرا قاله شاعر بغداد في الحقب الماضية صالح التميمي إذ قال من بعض ما قال:

إذا جئت للزوراء قف عند بابها ::: تجد جامعا من غفلة الجهل مانعا

وكانت إلى جوار هذا الجامع تكية للأزبكية القادمين من أوزبكستان لهم فيها عرف ومأوى دائم وقد أزالوا هذه التكية بالمرة وشردوا ساكنيها وكنت إماما وخطيبا في جامع الأوزبك لمدة تنوف على العشر سنين وكانت أطيب أيام حياتي في هذا الجامع وقد أسست فيه جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية وواصلت فيه إصدار مجلتي المسماة بمجلة الفتح.

إن هذا الجامع العظيم هدم تعسفا ليبيت جامعا صغيرا ليس فيه من المشتملات ما يجعله يلفت أنظار الداخلين فيه أو المارة من أمامه ولم تنتفع الأوقاف من هدمه.. كما كان هناك باب أثري يرجع إلى أواخر عهد العباسيين مررت منه يوم كنت صغيراً في أوائل العشرينات.

إن هذه البوابة الفخمة التي تدل على عظمة بانيها بيعت بمبلغ بسيط تافه يقل عن عشرة دنانير على ما فهمناه مما أورده الباحث عبد الحميد عبادة في كتاب له.. ولم يكن من الضروري أبداً هدم بوابة بغداد لا مروريا ولا هندسيا إذ لم يكن القوم يعلمون أن الآثار القديمة هي مورد اقتصادي لأي بلد في هذا العصر) إلى آخر ما قاله الشيخ جلال الحنفي.

وأنقل - هنا - رواية أخرى عن جامع الأوزبك كتبها الباحث التراثي

والفولكلوري زهير الدجيلي، فيقول:

(.. جامع الأوزبك الذي يطل على بداية الجادة العمومية إلى جانب القلعة - وزارة الدفاع - يطالعنا بمنارته الصغيرة)

يقول المؤرخ عبد الرزاق الحسني: إن بغداد قبل الاحتلال البريطاني كانت محصورة بين محلة السنك وباب المعظم المحاذي إلى جامع (الأوزبك) ومبنى مصلحة نقل الركاب حاليا. وكان سور يحيط بالمدينة وله فتحة بجوار (جامع الأوزبك)، فكان الدخول والخروج من وإلى بغداد يتم بواسطة هذا الباب.

وحسب مايقول - المؤرخ عباس بغدادي - إنه سمي بجامع الأزوبك لأن جماعة من الأوزبك (شعب أوزبكستان) كانوا يتجمعون فيه مع دواليبهم، حيث كان الأوزبك يمتهنون مهنة حدّ السكاكين ويطلق عليهم البغداديون اسم الجرّاخين.

والجرّاخ يحمل دولابا ترتبط به عجلة، حين تدور وتدور معها عجلة حديد خشنة تحد السكين فيتطاير منها شرر كثيف يصاحب أزيز حد السكاكين.

لقد جاء الأوزبك إلى بغداد مع الجيش العثماني في بداية احتلاله لبغداد منذ أوائل القرن السادس عشر، وبمرور الزمن استوطن أحفادهم بغداد وتناسلوا وامتهن أغلبهم مهنة الجراخة (حد السكاكين).

ولعل هنا يجدر القول إن سكان العراق هم خليط من هجرات متناوبة عبر التاريخ لأقوام متعددة جاءت مع الحملات العسكرية التي اجتاحت البلاد عبر التاريخ. وكانت كل حملة وكل دولة تجلب معها مهاجرين ومستوطنين يصبحون بمرور الزمن جزءا من

لحمة المجتمع العراقي.

في المقام العراقي:

ويدخل اسم سمرقند في فن الغناء التراثي البغدادي القديم الذي ما يزال يحفظ لبغداد رسمها القديم وتراثها الشعبي، وهذا النمط الغنائي عرف بالمقام العراقي، وكان هذا الفن وما يزال يقرأ في المناسبات الدينية من قراءة القرآن الكريم والأذكار والأناشيد، والمناسبات الاجتماعية من أفراح وأحزان، بل تعدّى إلى المنابر في خطب الجمعة، وفي عهد صباي كنت أستمع إلى بعض هذه الخطب المغنّاة.

والعلامة الفقيه المفسّر أبو الثناء الآلوسي يذكر في كتابه غرائب الاغتراب أنه لم يعد راغباً بخطبة الجمعة للسبب الآتي: (إلا أني عددت الخطابة نقمة، حيث إني أجهل خطباء العراق بأصول النغمة، والناس اليوم لا يسمعون خطيباً، ما لم يكن عندليباً، ولا يدخلون مسجداً، ما لم يكن خطيبه معبداً، ومعظم أهل العراق يكرهون الخطباء، إذا لم يغنوهم بنحو الحسيني والصبا، ويحسبون الإخلال بالألحان لحناً، وترك الأوزان العجمية في الدين وهناً،[1] وفروع هذا المقام كثيرة عديدة وطويلة مديدة، ومنها نغمة الأورفة نسبة إلى المدينة التركية الشهيرة، والنغمة هذه هي إحدى فروع مقام البيات وتقرأ عادة في افتتاح مجالس المولد النبوي الشريف، وما أريد قوله - هنا - هو أن بعض أهل المقام يطلق عليها اسم السمرقندي، ولم يكن هذا الاسم مشهوراً.

وقد أثارت هذه التسمية في ذهني فضولاً للبحث - على ضيق الوقت - عن أثر الألحان السمرقندية في المقام العراقي لكني لم أعثر على أثر

(1) الآلوسي، أبو الثناء محمود، غرائب الاغتراب، 1 / 10.

سمرقندي في ذلك في ما توافر بين يدي من مراجع ومصادر، وقد جوّلت وطوّفت في كتب التراث باحثاً عن معالم الصلات العلمية والحضارية بين بغداد وسمرقند فاضطرني التجوال والتطواف إلى الانتقاء من بين شواهد كثيرة بما يناسب حجم البحث من غير إخلال، تاركها كثيراً منها للاختصار لا الإهمال. ورجوت لو كنت موفقاً - لكني لم أوفق - في الاهتداء إلى كتاب ذكره الإمام السيوطي وهو يترجم للعلامة المفسر النسفي فقال: (عمر بن محمد بن أحمد ابن إسماعيل بن محمد بن لقمان النسفي ثم السمرقندي قال ابن السمعاني: كان إماما فاضلا مبرزا متفننا صنف في كل نوع من العلم في التفسير والحديث والشروط وبلغت تصانيفه المائة وله شعر حسن ونظم الجامع الصغير لمحمد بن الحسن وهو صاحب كتاب القند في ذكر علماء سمرقند ولد سنة إحدى وستين وأربعمائة ومات في ثاني عشر جمادي الأولى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة)[1].

ورأيت من المناسب أن أكتب البحث تحت عناوين بارزة، فهذا المنهج في مثل هذا البحث أنسب - في نظري - من تقسيمه إلى مباحث ومطالب وأفرع ونحو ذلك.

أولاً: القرّاء:

القراءة علم محلّه القرآن الكريم، وموضوعه يتعلق أكثره بمباحث اللغة واختلاف لهجات العرب، وهي تؤخذ شفاهاً من أساتذتها وشيوخها، والبحث يعرض لبعضهم من السمرقنديين في بغداد. منهم:

1 - ابن الأشعث المقرئ:

(1) السيوطي، طبقات المفسرين، 1 / 15.

أحمد بن عمر بن الأشعث ويقال ابن أبي الأشعث أبو بكر المقرئ السمرقندي سكن دمشق مدة وقرأ بها على الحسن بن على الأهوازي وسمع منه ومن الحسين بن محمد بن أحمد الحلبي وأحمد بن عبد الرحمن التميمي وإسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني وغيرهم وكان يكتب المصاحف وهو يقرئ القرآن.

قدم بغداد واستوطنها إلى أن مات سنة تسع وثمانين وأربع مائة كان يكتب مليحاً طريقة الكوفة ويكتب المصاحف من خاطره فإذا فرغ من الوجه كتب الوجه الآخر إلى أن يجف ثم يكتب الوجه الذي بينهما فلا يكاد يزيد ولا ينقص ويكتب في قطع كبير وصغير وكان ينسخ ويقرئ جماعة بروايات مختلفة ويرد على المخطئ منهم ويقرأ هو لنفسه وكان له في ذلك كل عجيبة(1).

2 - محمد بن محمود بن محمد بن أحمد، شمس الدين السمرقندي:
عالم بالقراءات. أصله من سمرقند، ومولده بهمذان، وإقامته ببغداد.

له تآليف، منها (الصنائع - خ) كتيب، قال تيمور: ذكر فيه الصنائع التي التزمها في مصحف كتبه بخطه وقال: إنها تبلغ ألوفا، وأتبع ذلك بفوائد مهمة تتعلق بالقراءات، و(القراءات السبع - خ) بالجداول، و(كشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار - خ) و(التجريد في التجويد) و(العقد الفريد في نظم التجريد - خ) منظومة، و(المبسوط في القراءات السبع - خ) ذكره بروكلمن، وفى كشف الظنون أنه فارسي وبغية الوعاة 103 وفيه اسم كتابه (الفوائد) تحريف (القواعد)(2).

(1) الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، 1 / 967.
(2) الزركلي، الأعلام، 7 / 87.

وفي الآتي نصوص تراثية تشير إلى أساتذة سمرقنديين في بغداد في علم القراءات. منهم:

3 - عمر بن ظفر أبو حفص المغازلي البغدادي المقرئ المحدّث:

ولد سنة إحدى وستين وأربع مئة وسمع من على بن البسري ومالك البانياسي وطراد الزينبي وطبقتهم وقرأ بالسبع على أحمد بن أبي الأشعث السمرقندي بطرق الموجز للأهوازي[1].

4 - أسعد بن محمد بن محمود، الجلال السيراجي البغدادي، ثم الدمشقي:

قال السخاوي: ذكره شيخُنا - يعني: ابن حجر - في "إنبائه" وقال: إنه قدم بغداد في صغره، فاشتغل على الشمس السمرقندي في القراءات، والفقه[2].

والذهبي ينقل لنا أن خطيب سمرقند وعالمها كان مجيداً في علم القراءات وقد قدم بغداد وعلّم فيها ودرّس وهو محمد بن الحسن بن الحسين بن محمد ابن إسحاق بن موهوب بن عبد الملك بن منصور.

5 - الفقيه أبو الحسن وقيل أبو الفضل السمرقندي المنصوري الحنفي المقرئ خطيب سمرقند:

من علماء بلده تفقه على الحسن بن عطاء السغدي وعمر بن محمد النسفي وسمع من أبي المحامد محمود بن مسعود القاضي السغدي وعلى بن عثمان الخراط وأبي إبراهيم إسحاق بن محمد النوحي وإبراهيم بن إسماعيل الصفار وحدّث ببغداد سنة ست وسبعين. وعاد إلى بلاده وتوفي

(1) الذهبي، معرفة القراء الكبار، 1 / 499.

(2) ينظر : التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، 1 / 172.

في هذه السنة عن مائة وأربع سنين وكان معمراً مسنداً روى عنه: أبو الحسن بن القطيعي وعبد الله بن أبي النجيب السهرودي وكان ممتعا بحواسه في هذه السنة(1).

ثانياً: المحدّثون:

راجت رواية الحديث النبوي الشريف في بلاد الإسلام، واشتهرت فيها مدن وأمصار كان لبغداد منها النصيب الأوفر والصيت الأشهر، وعرف رواة الحديث ظاهرة شاعت بينهم وانتشرت وهي الرحلة في طلب الحديث، بل لعلها كانت من مقاييس الجودة في الراوي والمحدّث حينما يكثر ترحاله وتتعدد أسفاره طلباً لمزيد من الرواية وعلوّ الإسناد.

وكانت بغداد غاية المنى لطالبي الحديث والرواية وسائر فنون العلم وصنوف المعرفة، فألفت الغرباء من كل حدب من أقطار العالم الإسلامي.

وفي تتبع سيرة السمرقنديين في بغداد توقفنا نصوص التراث على جملة صالحة تكشف لنا بجلاء همم طلاب العلم وعلمائه من أهل حاضرة سمرقند، فإلى ذلك:

1 - رجاء بن مرجي أبو محمد السمرقندي الحافظ ببغداد:

روى عن النضر بن شميل فمن بعده، قال الخطيب: كان ثقة ثبتا إماما في الحفظ والمعرفة.. مولده بعد الثمانين ومائة.

سمع النضر بن شميل، ويزيد بن أبي حكيم، وقبيصة، وأبا نعيم، وعلى بن الحسين بن واقد، وسلم بن إبراهيم، وعبد الله بن رجاء الغداني، وأبا اليمان، وخلقا كثيرا بخراسان والحجاز والعراق والشام.

---

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، 1 / 413.

حدث عنه: أبو داود، وابن ماجه، وأحمد بن محمد بن أبي شيبة والبزار، وعمر بن بجير، وأبو العباس السراج، ويحيى بن صاعد، ومحمد بن الفضل السقطي، ومطين، وآخرون. وآخر من حدث عنه أبو عبد الله المحاملي.

قال الدارقطني: ثقة حافظ سمرقندي..

وقال الخطيب: سكن بغداد، وكان ثقة ثبتاً، إماماً في علم الحديث وحفظه والمعرفة به(1).

وذكر عمر بن حفص الأشقر قال: قدم علينا رجاء بن مرجى بخارى، يريد الشاش، فسمعنا منه، ودخل على محمد بن إسماعيل البخاري، فتذاكرا(2).

2 - محمد بن إبراهيم أبو نصر الكسائي السمرقندي:

قدم بغداد وحدث بها عن الحسين بن حميد العكي وأبي العباس بن قتيبة العسقلاني ونحوهما روى عنه أبو عمرو بن السماك حديث وصية النبي ◘ لعلي بن أبي طالب وغير ذلك وحدث عنه أيضا عمر بن محمد بن عبد الله ابن قيوم النهرواني أخبرنا الحسن بن الحسين النعالي قال أنبأنا عمر بن محمد ابن عبد الله البندار المعروف بابن قيوما المعدل بالنهروان قال نبأنا أبو نصر محمد بن إبراهيم السمرقندي قال نبأنا أبو عبد الله محمد بن أيوب ببيت المقدس قال نبأنا جعفر بن محمد قال نبأنا سليمان بن عبد العزيز بن مروان قال حدثني أبي عن محمد بن عبد الله بن الحسن عن على بن الحسين عن أبيه أن عليا قال قال رسول الله ◘:♂**طلب العلم**

(1) الصفدي، الوافي بالوفيات 4 / 451. السيوطي، طبقات الحفاظ، 1 / 46.
(2) الذهبي، العبر في خبر من غبر، 1 / 86.

فريضة على كل مسلم[1].

3 - محمد بن عبد الرحمن بن السندس بن موسى أبو بكر الهمداني:

حدث ببغداد عن محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري وأحمد بن محمد الآدمى وأحمد بن محمد بن عمر المنكدري وإسحاق بن إبراهيم العدني وعبد الله بن محمد بن وهب الدينوري وعمر بن محمد بن أبى زيد الحراني وعبد الله بن أبى سفيان الموصلي وإبراهيم بن عبد الله بن أيوب المخرمي ومحمد بن محمد الباغندي والحسين بن عبد الله القطان الرقي وعمر بن محمد ابن بجير السمرقندي وأحاديثه تدل على حفظه ومعرفته روى عنه أبو الحسن الدارقطني وأبو حفص وابن شاهين وكان ثقة[2].

4 - محمد بن عبد بن عامر بن مرداس بن هارون بن موسى أبو بكر السغدى التميمي السمرقندي:

قدم بغداد وحدث بها وبغيرها عن يحيى بن يحيى النيسابوري وعبد الله ابن عبد الرحمن الدارمي وقتيبة بن سعيد وعصام وإبراهيم ابنى يوسف البلخيين ومحمد بن سلام البيكندي وحنان بن موسى المروزي وإسحاق بن راهويه أحاديث منكرة وباطلة روى عنه أحمد بن عثمان بن الآدمي[3].

5 - أحمد بن محمد بن صالح بن عبد الله أبو يحيى السمرقندي:

قدم بغداد في سنة أربعين وثلاثمائة وحدث بها عن محمد بن عقيل

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد 1 / 407.

(2) تاريخ بغداد 2 / 317.

(3) تاريخ بغداد 2 / 386.

الفريـابي ومحمـد بـن محمـود صـاحب يحيـى بـن معـاذ الـرازي روى عنـه يوسف بن عمر القواس وأبو القاسم بن الثلاج[1].

6 - جعفر بن محمد بن الأشعث السمرقندي:

ذكـر كعـب بـن عمـرو البلخـي أنـه قـدم بغـداد وحـدثهم بهـا عـن عبـد الله بـن روح المـدائني أخبرنـي أبـو سـعيد الحسـن بـن علـى بـن محمـد بـن خلـف الكتبـي حـدثنا أبـو النضـر كعـب بـن عمـرو بـن جعفـر البلخـي حـدثنا جعفـر بـن محمـد بـن الأشـعث السـمرقندي قـدم علينـا بغـداد حاجـا قـال حـدثنا أبـو محمـد عبـد الله بـن روح المـدائني حـدثنا شـبابة بـن سـوار حـدثنا محمـد بـن أحمـد بـن أبـي طـاهر الـدقاق حـدثنا محمـد بـن عبـد الله الشـافعي حـدثنا عبـد الله بـن روح حـدثنا شـبابة بـن ســـــــــــــوار حـــــــــــــــــــــــــــــدثنا أبـو زبـر عبـد الله بـن العـلاء الشـامي قـال سـمعت القاسـم يقـول سـمعت أبـا هريـرة عـن النبـي ¤ :♂**أن أول مـا يسـأل عنـه العبـد يـوم القيامـة مـن النعـيم أن يقـال لـه ألـم أصـح جسـمك وأروك مـن الماء البارد ـــ** هذا لفظ حديث كعب[2].

7 - أحمد القرشي العبشمى السمرقندي الأصبهاني: حافظ واعظ:

كـان معظمـا فـي أصـبهان. زار بغـداد سـبع مـرات. وسـمع منـه ابـن الجوزي في المدينة.

قال الذهبي: صنف كثيرا في الحديث والتواريخ والمعاجم.

قلت: - والقول للزركلي - وبقي من أماليـه (مجلس) مخطـوط، بـآخره

(1) تاريخ بغداد 5 / 38

(2) تاريخ بغداد 7 / 224.

سماعات، في 8 ورقات بجامعة الرياض (الفيلم 117) عن المكتبة المحمودية (124 مجاميع) وتوفى ببادية الحجاز قبيل الحج[1].

8 - محمد بن يوسف بن محمد بن على بن محمد العلوي الحسنى أبو القاسم، ناصر الدين، المدني السمرقندي:

فقيه حنفي، عالم بالتفسير والحديث والوعظ من أهل سمرقند. حج سنة 542 وأقام في عودته مدة ببغداد. ومات بسمرقند. وقيل: قتل بها صبراً. وكان شديد النقد للعلماء والأئمة.

له تصانيف، منها (الفقه النافع - خ) و(جامع الفتاوى) و(بلوغ الأرب من تحقيق استعارات العرب) و(رياضة الأخلاق) و(مصابيح السبل) مجلدان، في فروع الحنفية، و(الملتقط في الفتاوى الحنفية - خ) ويسمى (مآل الفتاوى) أتمه في شعبان سنة 549[2].

9 - أبو المعالي الكاغدي الحسن بن ناصر بن أبي بكر بن باناز ابن محمد أبو المعالي البكري الكاغدي السمرقندي:

قدم بغداد آخر سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وحج وعاد وحدث بها في سنة تسع وأملى الحديث بمشهد أبي حنيفة وروى عن أبي بكر محمد بن على ابن إسحاق الطيان وأبي بكر محمد بن نصر النجاري سمع منه الشريف على ابن مسعود بن ناصر العلوي وروى عنه[3].

10 - إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث أبو القاسم السمرقندي:

ولد بدمشق في رمضان سنة أربع وخمسين وسمع شيوخ دمشق ثم

(1) الأعلام للزركلي 7 / 273.
(2) الأعلام للزركلي 7 / 149.
(3) الوافي في الوفيات 1 / 1716.

بغداد فسمع ابن النقور وكان يلازمه حتى قال سمعت منه جزء يحيى بن معين اثني عشرة مرة وسمع الصريفيني وابن المسلمة وابن البسرى وغيرهم ثم انفرد بأشياخ لم يبق من يروي عنهم غيره وكان مكثرا فيه وكان دلالا في بيع الكتب فدار على يده حديث بغداد بأشياخ فادخر الأصول وسمع منه الشيوخ والحفاظ وكان له يقظة ومعرفة بالحديث وأملى بجامع المنصور زيادة على ثلاثمائة مجلس وسمعت منه الكثير بقراءة شيخنا أبي الفضل بن ناصر وأبي العلاء الهمذاني وغيرهما وبقراءتي وكان أبو العلاء يقول ما أعدل به أحداً من شيوخ خراسان ولا العراق أنبأنا أبو القاسم السمرقندي قال رأيت النبي ◘ في النوم كأنه مريض وقد مد رجله فدخلت فجعلت أقبل أخمص رجليه وأمر وجهي عليهما فحكيت هذا المنام لأبي بكر بن الخاضبة فقال أبشر يا أبا القاسم بطول البقاء وبانتشار الرواية عنك لأحاديث رسول الله ◘ فإن تقبيل رجليه اتباع أثره، وأما مرض النبي ◘ فوهن يحدث في الإسلام فما أتى على هذا إلا قليل حتى وصل الخبر أن الإفرنج استولت على بيت المقدس وتوفي شيخنا إسماعيل ليلة الثلاثاء سادس عشرين ذي القعدة عن اثنتين وثمانين سنة وثلاثة أشهر ودفن بباب حرب في المقابر المنسوبة إلى الشهداء[1].

وأبو القاسم بن السمرقندي درس في بغداد على أكابر علمائها ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام في (38) موضعاً في الجزء الأول في المواضع الآتية:

3233 / 3237 / 3271 / 3275 / 3277 وغيرها[2].

(1) المنتظم 10 / 98.
(2) الذهبي، تاريخ الإسلام.

وذكره باسم آخر هو إسماعيل بن السمرقندي في تسعين (90) موضعا ذكر فيه أساتذة هذا السمرقندي وطلابه وللتمثيل يمكن مراجعة المواضع الآتية من الجزء الأول من الكتاب[1]، 3216/ 3273 / 3280 / 3296 / 3320 وغيرها من المواطن ولدى المقارنة تبيّن لي أنهما واحد، ولكن الذهبي تنوّع في تسميته.

ثالثاً: الفقهاء:

فقهاء سمرقند كثيرون في كتب التراث، ومن أبرزهم صاحب الهداية وابنه، وكتاب الهداية من كتب الفقه الحنفي المعتمدة، ومنهم الفقيه المفسر والمتصوف أبو الليث السمرقندي، وآخرون. لكن إلزامات البحث تلزمنا أن نقف عند من كانت له صلة ببغداد، وأقدّم - هنا - ملاحظة مهمة وهي أن أغلب فقهاء سمرقند كانوا من المذهب الحنفي، ولذلك أسباب لعل من أشهرها - في نظري - أن البيئة السمرقندية هي غير البيئة الحجازية التي كانت مصدر نزول الوحي، وكان لهذا الاختلاف ما يتبعه من اختلاف في نظم الحياة لم تبيّن فيها الأحكام مباشرة كما في بيئة الحجاز، فيضطر الفقيه أمامها إلى الاجتهاد العقلي المنضبط بقواعد القياس ونحوه، ومما لا ينكر أن الفقه الحنفي له الريادة في النظر العقلي والقياس المنطقي في تعليل الأحكام واستخراجها وتخريجها، وقد وقف البحث على بعض فقهاء سمرقند في بغداد. ومن أولئك:

1 - داود بن رضوان أبو على السمرقندي الفقيه الحنفي:

تفقه بالعراق وسمع من ابن داسة السنن ودرس بنيسابور دهرا وحدث.

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام.

وتوفي في رجب[1].

2 - العلاء السمرقندي محمد بن عبد الحميد بن الحسين بن الحسن أبو الفتح الأسمندي السمرقندي:

المعروف بالعلاء كان فقيهاً مناظراً بارعاً صنف في الخلاف وتوفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كان من فحول الحنفية ورد بغداد وحدث بها عن ابن مازه البخاري وروى عنه أبو البركات محمد بن على بن محمد الأنصاري قاضي أسيوط في مشيخته[2].

3 - العلاء الأسمندي:

(488 - 552 هـ = 1095 - 1157م) محمد بن عبد الحميد بن الحسين بن الحسن بن حمزة الأسمندي السمرقندي، أبو الفتح، علاء الدين: فقيه، من كبار الحنفية. من أهل سمرقند، ونسبته إلى أسمند (من قراها) كان مناظراً، من فرسان الكلام. رحل إلى بغداد وناظر علماءها.

من كتبه (مختلف الرواية - خ) في الفقه، و(التعليقة) في مجلدات، و(بذل النظر) في أصول الفقه، و(شرح منظومة الخلافيات للنسفي - خ). و(الهداية) في أصول الاعتقاد. وأملى كتابا في (التفسير)[3].

رابعاً: المتصوفة:

الأخلاق ظاهرها وباطنها من أسس الإسلام، وهي مع كونها عملاً يطبّق وسلوكاً يتبع فيها أسس نظرية وقواعد معرفية تتفرع منها مسائل متنوعة وأحكام متشعبة، وكأي علم من علوم الشريعة

(2) تاريخ الإسلام للذهبي 1 / 2880.

(1) الوافي في الوفيات 1 / 385.

(2) الأعلام للزركلي 6 / 187.

تطور من حيث الصياغة النظرية حتى أصبح علماً مستقلاً كما هو الواقع في الفقه والعقائد والتفسير وغيرها من علوم الشريعة ومعارفها.

والمهتمّون بأي جانب من جوانب هذه المعارف تسمّوا باسمها فكان هناك المفسّر والمحدث والفقيه وهكذا، ومثل هذا أطلق لقب المتصوفة مصطلحا متعارفاً عليه على كل من كان له اهتمام بالأخلاق والتزكية علماً وعملاً.

لكن هذا العلم والعمل كان من أوائل المعارف التي دخلها الانحراف والتشويه، وقد وجدنا القوم مختلفين في النظر إلى شرعية الاسم والمسمّى ما بين منكر له على إطلاقه ومدافع بعصبية حتى عن انحرافاته، وبين الفرقتين تضيع الحقائق وتظلم الحقوق، ولهذا الموضوع تفصيلات لسنا بسبيل بحثها هنا.

والبحث يشير إلى أشهر المتصوفة السمرقنديين في بغداد. ومنهم:

1 - إبراهيم بن شماس السمرقندي:

سكن بغداد، بالتعبد الدائم مشهور، وفي المحبة هائم مذكور، أسند الحديث. حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن علي البربهاري، حدثنا إبراهيم بن شماس، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن سليمان بن عمار، عن مسلم ابن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي ◘، قال:♂**أرأيتم ما أعطى سليمان من ملكه فإن ذلك لم يزده إلا تخشعاً، وما كان يرفع طرفه إلى السماء تخشعاً من ربه**ـــ [1].

(1) الأصبهاني، حلية الأولياء 4 / 310.

2 - أبو بكر الشبلي:

247 - 334 للهجرة دلف بن جحدر، وقيل: ابن جعفر، الشبلي، نسبة إلى قرية من قرى أسروشنة، بلدة عظيمة وراء سمرقند، من بلاد ما وراء النهر.

كنيته أبو بكر، الخراساني الأصل، والبغدادي المولد والمنشأ. جليل القدر، مالكي المذهب عظيم الشأن.

صحب الجنيد وطبقته. ومجاهداته، في أول أمره، متواترة؛

وكان يبالغ في تعظيم الشرع المكرم، وإذا دخل رمضان جد فيه الطاعات، ويقول: " هذا شهر عظمه ربى، فأنا أولى بتعظيمه ".

مات في ذي الحجة، سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، عن سبع وثمانين سنة.

ومن كلامه: وقد سئل عن حديث:♂**خير كسب المرء عمل يمينه**ـــ فقال: " إذا كان الليل فخذ ماء، وتهيأ للصلاة، وصل ما شئت، ومد يدك، وسل الله، فذلك كسب يمينك ".

وسئل عن قوله تعالى:{ﮖﮗﮘﮙﮚﮛ}[الكهف: ١٨]، قال: " لو اطلعت على الكل لوليت منهم فراراً إلينا ".

قال في معنى قوله تعالى:{ﭻﭼﭽﭾ}[النور: ٣٠]، قال: " أبصار الرءوس عن المحارم، وأبصار القلوب عمّا سوى الله عز وجل".

ولمّا حج عن التجريد، ورأى مكة، وقع مغشياً عليه، فلما أفاق أنشد:

هـذه دراهـم وأنـت محـب ::: مـا بقـاء الـدموع في المـآق
وقـديماً هـدت أفنيـة الـدار ::: وفيهـا مصـارع العشـاق

وكان يقول: " ليت شعري ما أسمّى عندهم يا علام الغيوب؟. وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب؟. وبم يختم عملي يا مقلب القلوب؟ ".

وسئل عن حديث:♂**إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافيةــــ**: من هم أهل البلاء؟. قال: " أهل الغفلة عن الله ".

وقال له رجل: " ادع الله لي "، فأنشأ:

مضى زمن والناس يستشفعون بي ::: فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

وقيل له: " أراك جسيماً بدينا، والمحبة تضنى؟ "، فأنشأ:

أحب قلبي، وما درى بدني ::: ولو درى ما أقام في السمن

وكان كثيراً ما ينشد:

ولي فيك ياحسرتي حسرة ::: تقضي حياتي وما تنقضي

ورؤي الشبلي في جامع المدينة قد كثر الناس عليه في الرواق الوسطاني، وهو يقول: " رحم الله عبدا، ورحم والديه دعا لرجل كانت له بضاعة، وقد فقدها؛ وهو يسأل الله ردها! والناس صموت. فخرق الحلقة غلام حدث، وقال: " من هو صاحب البضاعة؟ "، قال الشبلي: " أنا! " قال: " فإيش كانت بضاعتك؟ "، قال: " الصبر، وقد فقدته! " فبكى الناس بكاءً عظيماً ".

وكان شيخ بغداد في وقته، منفرداً بلسان التوحيد، لا يدانيه فيه أحد، وكان أوحد زمانه في أحواله، وحسن المشاهدة؛ شاهده يدل على صدق حاله، وسلامة صدره. مات ببغداد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وقد نيف على الثمانين، ودفن بباب حرب قرب بشر[1].

قلت: مقبرة باب حرب تقع الآن في منطقة الأعظمية في بغداد مدفن الإمام أبي حنيفة النعمان المشهور بالإمام الأعظم، أما بشر الذي دفن بقربه مترجمنا الشبلي فهو بشر الحنفي، والمشهور لدى عامة الناس أنه

(1) ابن الملقن / طبقات الأولياء، 1 / 34.

بشر الحافي المتصوّف المشهور، وليس كذلك.

خامساً: أساتذة وطلاب سمرقنديون:

نصوص التراث في هذه الفقرة تظهر لنا جلوس علماء سمرقنديين للتدريس ونشر المعارف بين طلبة العلوم في بغداد، وتلك ظاهرة المظاهر الحضارية في عاصمة العلم والمعرفة آنذاك، وقد وقف البحث على جملة من هؤلاء الأساتذة، وفي الأنموذج العاشر والحادي عشر نقف على بغداديات تلمذن لأساتذة سمرقنديين، ومن هؤلاء الطلبة من تولى مستقبلاً مناصب مهمة في الدولة كما في المثالين الثاني عشر والثالث عشر، فإلى ذلك:

1 - إسماعيل بن على بن إبراهيم بن أبي القاسم:

أبو الفضل الجنزوي الأصل الدمشقي المولد والدار الفقيه الشافعي الشروطي الكاتب المعدل الفرضي. ويقال فيه أيضا الجنزي.

ولد في ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وتفقه على جمال الإسلام أبي الحسن بن المسلم وأبي بكر بن محمد بن القاسم الشهرزوري وطبقتهم بدمشق.

ورحل فسمع: أبا البركات هبة الله بن البخاري وأبا محمد عبد الله بن السمرقندي وأبا على الحسن بن إسحاق الباقرحي وأبا الحسن محمد بن مرزوق الزعفراني وأبا نصر أحمد بن محمد الطوسي وأبا القاسم هبة الله الحريري وأبا بكر الأنصاري وطائفة كبيرة ببغداد والأنبار[1].

2 - أحمد بن محمد بن سليمان الواسطي

---

(1) تاريخ الإسلام/ 1 /4167.

سمع أبا أحمد الفرضي وأبا عمر بن مهدي وغيرهما وكان سماعه صحيحاً وتوفي يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأول وحدّث عنه شيخنا أبو القاسم بن السمرقندي ودفن بباب حرب[1].

3 - وهذا مثال سمرقندي فريد:

تلقى العلم على أشهر علماء بغداد، وتلمذ له الإمام أحمد بن حنبل كما ينقل لنا الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وهو: إبراهيم بن شماس أبو إسحاق السمرقندي ورد بغداد وحدث بها عن إسماعيل بن عياش ومسلم ابن خالد الزنجي وفضيل بن عياض وأبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وبقية بن الوليد ووكيع بن الجراح روى عنه أحمد بن حنبل وداود بن رشيد وأبو خيثمة زهير بن حرب ومحمد بن أبي عتاب الأعين وعباس بن محمد الدوري وأحمد بن ملاعب وأحمد بن على البربهاري[2].

4 - بكر بن محمد بن أبي سهل السبعي الصوفي أبو على النيسابوري:

حدث ببغداد عن: أبي بكر الحيري، روى عنه: إسماعيل بن السمرقندي[3].

5 - يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن أبو القاسم التفكري:

من أهل زنجان ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بزنجان ورحل إلى أبي نعيم الأصبهاني فقرأ عليه الكثير وعلى غيره وانتقل إلى بغداد محدثا فقيها ولحق أبا الطيب الطبري وتفقه على

(1) ابن الجوزي، المنتظم / 8 / 313.
(2) تاريخ بغداد 6 / 99، 100.
(3) تاريخ الإسلام للذهبي 1 /3312.

أبـي إسـحاق وكـان ورعـا زاهـدا عـاملا بعلمـه خاشـعا بكـاء عنـد الـذكر مقـبلا علـى العبـادة روى عنــه شـيخنا أبــو القاسـم السـمرقندي وتـوفي فــي ربيــع الآخــر مــن هــذه الســنة ودفــن فــي مقبــرة بــاب حــرب ســنة 474[1].

6 - محمد بن أحمد بن ذي البراعتين أبو المعالي:

من أهل باب الطاق حدّث عن أبي القاسم بن بشر وحدّث عنه شيخنا أبو القاسم السمرقندي وكان يتصرف في أعمال السلطان[2].

7 - محمد بن أحمد بن الحسين الدوائي أبو طـاهر الدباس:

من ساكني الخلالين محلة كانت عند نهر القلائين سمع أبا القاسم بن بشران، روى عنه شيخنا إسماعيل السمرقندي وعبد الوهاب توفي يوم الثلاثاء غرة شعبان ودفن بمقبرة باب حرب[3].

8 - وهذا مثال لفقيه من كبار الفقهاء الشافعية:

يتلمذ له سمرقندي ويشهد له فقيه شاشي بقدم صدق في علوم الشريعة. إنه الإمام إبراهيم بن على بن يوسف أبو إسحاق الشيرازي الفيروز آبـادي شـيخ الشـافعية فـي زمانـه. لقبـه: جمـال الـدين. ولـد سـنة ثـلاث وتسـعين وثلاثمائة تفقه بشيراز علـى أبـي عبد الله البيضـاوي وعلـى أبـي أحمد عبد الوهاب بن رامين. وقدم البصرة فأخذ عن الخرزي. ودخل بغداد في شوال سنة خمس عشرة وأربعمائة فلازم القاضـي أبـا الطيـب وصـحبه وبـرع فـي الفقه حتى ناب عن أبي الطيب ورتّبـه معيداً فـي حلقتـه. وصـار أنظـر أهـل

(1) المنتظم 8 / 330.
(2) المنتظم 9 / 20.
(3) المنتظم 8 / 328.

زمانه، وكان يضرب به المثل في الفصاحة.

وسمع من: أبي على بن شاذان وأبي الفرج محمد بن عبيد الله الخرجوشي. وأبي بكر البرقاني وغيرهم وحدّث ببغداد وهمذان ونيسابور.

روى عنه: أبو بكر الخطيب وأبو الوليد الباجي وأبو عبد الله الحميدي وأبو القاسم بن السمرقندي وأبو البدر إبراهيم بن محمد الكرخي ويوسف ابن أيوب الهمذاني وأبو نصر أحمد بن محمد الطوسي وأبو الحسن بن عبد السلام وطوائف سواهم.

قال أبو سعد السمعاني: أبو إسحاق إمام الشافعية والمدرس بالنظامية شيخ الدهر وإمام العصر. رحل الناس إليه من البلاد وقصدوه من كل الجوانب وتفرد بالعلم الوافر مع السيرة الجميلة والطريقة المرضية. جاءته الدنيا صاغرة فأباها واقتصر على خشونة العيش أيام حياته. صنف في الأصول والفروع والخلاف والمذهب. وكان زاهداً ورعاً متواضعاً ظريفاً كريماً جواداً طلق الوجه دائم البشر مليح المجاورة، قال أبو بكر الشاشي: الشيخ أبو إسحاق. حجة الله تعالى على أئمة العصر[1].

9 - أم أيمن الواعظة:

تاج النساء بنت رستم بن أبي الرجاء الأصبهاني أم أيمن الواعظة؛ سمعت صحيح البخاري من أبي الوقت. وسمعت من أبي طالب ابن خضير ولها إجازة من أبي منصور القزاز وأبي القاسم بن السمرقندي وجماعة من هذه الطبقة. وجاورت بمكة إلى أن توفيت رحمها الله تعالى سنة إحدى عشرة وست مائة بمكة. وهي من بغداد. وكانت شيخة الحرم نبيلةً فاضلةً زاهدةً عابدة عمرت طويلاً وتوفيت رحمها الله تعالى بكراً.

(1) تاريخ الإسلام للذهبي1 / 3315.

قال محب الدين ابن النجار ودخلت عليها بمكة وقرأت عليها شيئاً يسيراً بجهد وتعسر[1].

10 - الواعظة الهيتيَّة:

حمدة بنت واثق بن على بن عبد الله الواعظة الهيتيَّة. نزلت بغداد وسكنت بباب المراتب. وكانت تعقد مجلس الوعظ وسمعت أبا بكرٍ أحمد بن على بن بدران الحلوانيّ. وروى عنها ابن السَّمعانيّ. قال محبّ الدين بن النجار قال أبو سعدٍ ابن السَّمعاني: كانت تحضر معنا السَّماع عند أبي القاسم بن السَّمرقندي لأنها من جيرانه. وسألتها عن مولدها فقالت: سنة ست وستين وأربعمائة[2].

وهذان أنموذجان لتلميذين تلقيا العلم على عالم من أعلام سمرقند كلاهما تولّى منصب الوزارة في الدولة. وهما:

11 - محمد بن محمد الأنباري أبو الفرج:

صاحب ديوان الإنشاء ببغداد. ناب في الوزارة، وقد كتب الإنشاء سبعة عشر عاماً وأشهراً وحدّث عن: عبد الله بن أحمد بن السمرقندي، توفي في ذي القعدة وله ثمان وستون سنة[3].

12 - شرف الدين ابن الوزير ابن هبيرة ظفر بن يحيى بن محمد بن هبيرة أبو البدر ابن الوزير أبي المظفر:

كان يلقب شرف الدين ناب عن والده في الوزارة وكان شاباً ظريفاً لطيفاً أديباً فاضلاً ينظم الشعر وسمع من إسماعيل بن أحمد بن عمر

(2) الوافي 1 / 1455.

(1) الوافي 1 / 1822

(2) تاريخ الإسلام 9 / 53.

السمرقندي ويحيى بن على بن الطراح وغيرهما وحدّث باليسير؛ امتحن بالحبس أيام والده سنين بقلعة تكريت ثم خلص. ولما توفي الوزير اتصل بالخليفة أنه عزم على الخروج من بغداد مختفياً فقبض عليه وحبسه ولم يزل إلى سنة اثنين وستين وخمسمائة فأخرج من الحبس ميتاً ودفن عند أبيه؛ ومن شعره:

طل دم بالعتاب مطلوب ::: وطاح دمع في الربع مسكوب
وذل قلب أمسى الغرام به ::: وهو بأيدي الغواة منهوب
لا آنف العرق يستثير له ::: ولا سليم الصدود مطبوب
يركب في طاعة الهوى خطراً ::: تضرم من دونه الأنابيب
إذا ادلهم الدجى أضاء له ::: من زفرات الضلوع ألهوب
لا موعد مطمع ولا أمل ::: ولا لقاء في العمر محسوب
مقتنعاً من وصاله بمنى ::: أصدق ما عندها الأكاذيب
ما بعد دمعي دمع يراق ولا ::: فوق عذابي لديك تعذيب
لم يبق للناصحين من أمل ::: في ولا للعذال تأنيب[1].

13 - وهذا قاضي القضاة يتلمذ لعالم من سمرقند احتفت به بغداد:

وهو: أقضى القضاة الزينبي الحنفي القاسم بن على بن الحسين ابن محمد بن على الزينبي أبو نصر ابن قاضي القضاة أبي القاسم ابن نور الهدى أبي طالب: قلده المستنجد بالله القضاء ببغداد وجميع البلاد والنواحي ولقب أقضى القضاة ففي شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وخمسمائة وكان شاباً فاضلاً له معرفة بالفقه على مذهب أبي حنيفة ويعرف من الأدب طرفاً صالحاً وينظم الشعر ويكتب خطاً حسناً صنف رسالة تتضمن أحكام الصيد وقوانينه

(1) الوافي 1 / 2311.

وخدم بها المستنجد وسمع في صباه من والده وأبي بكر ابن عبد الباقي الأنصاري وأبي القاسم ابن السمرقندي وأبي بكر محمد ابن القاسم بن المظفر الشهرزوري وحدث بشيء يسير، اختارته المنية في عنفوان شبابه سنة ثلاث وستين وخمسمائة ومولده سنة تسع وعشرين وخمسمائة(1).

سادساً: رحلات الحج وأثرها في الصلات العلمية بين سمرقند وبغداد:

كانت بغداد محطة من محطات استراحة الحجيج القادمين من شرق آسيا براً، وما زالت بغداد إلى اليوم - باستثناء سنين الحروب - تحفل وتحتفل بجموع الحجيج من مناطق شتى من أقطار هذه المناطق، فمسجد الشيخ الرباني عبد القادر الجيلاني في باب الشيخ، ومسجد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان يمتلآن بهذه الجموع القادمة للحج، وكانوا يعرضون بعضاً من بضائعهم يتاجرون بها فينتفعون وينفعون، وكثيراً ما يحتفل بهم البغداديون بالدفوف بمشاعر لا توصف من الفرح والإكرام وفوداً إلى بغداد وفوداً لحرم الله وحرم رسوله الكريم، وكتب التراث نقلت لنا الأثر العلمي للعلماء الحجاج في تلقيهم العلم ونشره في بغداد مالئة الدنيا وشاغلة الناس، ومن أكبر فوائد هذه الصلات أنها نقلت أسانيد جديدة لا عهد لعلماء بغداد بها وكفت عناء السفر والرحلة في طلبها كما هو معهود عن تتبّع العلماء للأسانيد في الروايات في حضارة الإسلام التي نقلت على طريقة التحديث والسند ولاسيما أحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، والطريف النادر أن المثال

(2) الوافي 1 / 3203.

الأخير كان لسمرقندي قدم للحج وتوطن بغداد وعلّم فيها وروى لكنه لم تتيسّر له أسباب الحج وإبان عودته إلى بلاده وافته المنية فرحمة الله عليه وعلى أمنياته البيض في زيارة الحرمين. ومن تلك الأمثلة والنماذج ما يأتي:

1 - محمد بن بكر بن محمد بن مسعود بن علويه بن مخلد أبو النضر القرشي السمرقندي:

ذكر أبو القاسم بن الثلاج أنه قدم بغداد حاجا في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وحدثهم عن عمر بن محمد بن يحيى السمرقندي[1].

2 - محمد بن محمد بن معروف بن معبد أبو بكر الشاشي:

ذكر أبو القاسم بن الثلاج أنه قدم بغداد حاجا في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وحدثهم بها عن عمر بن محمد بن بجير السمرقندي[2].

3 - أحمد بن عمر بن العباس أبو الحسين القزويني:

قدم بغداد حاجا في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وحدث بها عن محمد ابن عبد بن عامر السمرقندي ومحمد بن موسى الحراني والحسن بن ماجة القزويني وغيرهم حدثنا عنه محمد بن أحمد بن رزقويه ومحمد بن الحسين بن الفضل القطان[3].

4 - محمد بن عبد الله بن محمد بن الحكم أبو أحمد السمرقندي:

قدم بغداد حاجا وحدث بها عن حبيش بن سعيد وخلف بن محمد بن عيسى الواسطيين وإبراهيم بن الحسن بن عيسى الحراني روى عنه على

---

(1) تاريخ بغداد 2 / 95.

(2) تاريخ بغداد 3 / 217.

(3) تاريخ بغداد 4 / 291.

بن عمر بن محمد السكري[1].

5 - أخبرنا على بن أبي على أخبرنا على بن عمر الحربي حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن محمد بن الحكم السمرقندي:

قدم حاجا حدثني حبيش بن سعيد بواسط حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سلام بن مسكين عن قتادة عن أبي بردة عن أبي موسى قال إن أهل النار ليبكون الدم بعد الدموع ولمثل ما هم فيه فليبك له[2].

6 - محمد بن عبد الله بن يوسف بن سوار بن مسمع بن ثابت أبو أحمد البزاز البخاري:

قدم بغداد حاجا وحدث بها عن مسبح بن سعيد وإسحاق بن أحمد بن خلف البخاريين وعمر بن محمد بن يحيى السمرقندي وأحمد بن محمد بن الفضل البلخي وأبي نعيم بن عدي الجرجاني روى عنه الدارقطني وسمع منه أبو الحسن بن رزقويه أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن إسماعيل الداودي[3].

7 - محمد بن إبراهيم بن النضر بن مسعدة السمرقندي:

قدم بغداد حاجا وحدث بها فروى عنه إسماعيل بن على الخطبي وعبد الله بن إبراهيم بن ماسي أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق والحسن بن أبي بكر قالا حدثنا إسماعيل بن على الخطبي حدثنا أبو محمد جعفر بن شعيب الشاشي زاد ابن رزق قدم علينا مع الحاج ثم اتفقا قال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا أبو قرة عن موسى بن عقبة عن عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله ◘ قال:♂**إن الله حرّم على**

(4) تاريخ بغداد 5 / 447.

(1) تاريخ بغداد 5 / 447.

(2) تاريخ بغداد 5 / 459.

لساني ما بين لابتي المدينةـــ[1].

8 - جبريل بن الفضل بن مجاع أبو حاتم السمرقندي:

ورد بغداد حاجا في سنة اثنتين وتسعين ومائتين وحدث عن قتيبة بن سعيد ويحيى بن موسى وإبراهيم بن يوسف البلخيين روى عنه عبد الباقي ابن قانع وكان ثقة أخبرنا محمد بن الحسين الأزرق حدثنا عبد الباقي بن قانع القاضي حدثنا جبريل بن مجاع السمرقندي أبو حاتم حدثنا إبراهيم بن يوسف البلخي حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن حنظلة عن طاوس عن ابن عباس عن النبي ◘ قال:♂**الأكثرون هم الأسفلون ـــ** قالوا يا نبي الله إنا نراهم من صالحينا وخيارنا قال:♂**إلا من قال بالمالـــ** وهكذا وهكذا يميناً وشمالاً عاش جبريل إلى سنة ست وثلاثمائة[2].

9 - حميد بن الربيع أبو الحسن السمرقندي:

أنبأنا الحسن بن الحسين بن العباس النعالي أنبأنا أحمد بن نصر بن عبد الله الذارع قال حدثنا حميد بن الربيع أبو الحسن السمرقندي في قطيعة الربيع قدم حاجا في سنة تسعين ومائتين[3].

10 - لقمان بن الخليل بن عبد الله بن حاتم أبو نصر الكسي السمرقندي:

ذكر ابن الثلاج أنه قدم بغداد حاجا في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ونزل في سوق يحيى وحدثهم عن المضاء بن حاتم[4].

(3) تاريخ بغداد 7 / 195.

(1) تاريخ بغداد 7 / 264.

(2) تاريخ بغداد 8 / 165.

(3) تاريخ بغداد 13 / 19.

11 - نصر بن جعفر بن محمد أبو القاسم الفقيه السمرقندي:

قدم بغداد حاجا وحدث بها عن عبد الصمد بن الفضل ومحمد بن منصور البلخيين روى عنه أبو العباس عبد الله بن موسى الهاشمي ومحمد بن المظفر أخبرني الحسن بن على التميمي حدثنا محمد بن المظفر الحافظ حدثنا أبو القاسم نصر بن جعفر بن محمد السمرقندي الفقيه حدثنا عبد الصمد بن الفضل حدثنا على بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبيد الله العزرمي الكوفي عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال غزوت مع رسول الله ◘ ثماني عشرة غزوة ما رأيته تاركا ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد الظهر(1).

12 - على بن إبراهيم بن نصرويه بن سختام بن هرثمة بن إسحاق بن عبد الله بن أسكر بن كاك أبو الحسن العربي السمرقندي:

قدم بغداد حاجا وحدّث بها عن محمد بن أحمد بن مت الأشتيخني وإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن يزداذ الرازي نزيل بخارى وأبي سعد الإدريسي كتبنا عنه وكان من أهل العلم والتقدم في الفقه على مذهب أبي حنيفة أخبرنا على بن إبراهيم أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن مت الأشتيخني بها حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري حدثنا على بن خشرم حدثنا عيسى بن يونس عن سعيد عن قتادة عن أنس أن النبي ◘ قال:♂**جار الدار أحق بالدار**ـــ سألته عن مولده فقال في شعبان سنة خمس وستين وثلاثمائة قال وكان أبي يذكر أنه من العرب وكان قدومه علينا في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ولم يقض له الحج فرجع يريد خراسان

(1) تاريخ بغداد 13 / 294.

وأدركه أجله في الطريق على ما بلغنا في آخر تلك السنة[1].

سابعاً: نحاة وأدباء:

بفضل القرآن الكريم أصبحت اللغة العربية لغة عالمية تتكلم بها الشعوب المسلمة باختلاف أعراقها وقومياتها، ولاسيما العلماء منهم، فقد كانت اللغة العربية لغة المنهج والعلم والحضارة للمسلمين وغير المسلمين في غابر الحضارة الإسلامية المشرق، فعرفت اللغة علماء من غير العرب كسيبويه والزمخشري وابن آجروم وابن جني وأبي على الفارسي وغيرهم من العجم والبربر. والبحث - هنا - يشير إلى سمرقنديين في بغداد اشتهرا بعلوم العربية. وهما:

1 - عبد الله بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث أبو محمد ابن السمرقندي:

الحافظ اللغوي الأديب سمع الخطيب أبا بكر والكتاني وأبا نصر ابن طلابٍ وجماعة. وروى عنه السلفي وغيره وسئل عنه فقال: كان ثقة فاضلاً عالماً ذا لسانٍ. وكان يقرأ لنظام الملك على الشيوخ وتوفي سنة ست عشرة وخمسمائة[2].

2 - الخياط محمد بن أحمد بن منصور أبو بكر الخياط النحوي السمرقندي:

قدم بغداد ومات في ما ذكره أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني سنة عشرين وثلاثمائة قال: كان قد انحدر مع البريديين لما غلبوا على البصرة وبها مات وجرت بينه وبين الزجّاج ببغداد مناظرة وكان يخلط

(2) تاريخ بغداد 11 / 342.

(1) الوافي 1 / 2356.

المذهبين (لعلّه قصد مدرستي البصرة والكوفة في النحو) وقرأ عليه أبو على الفارسي وكان جميل الأخلاق طيب العشرة محبوب الخلقة وله من الكتب معاني القرآن النحو الكبير الموجز في النحو المقنع في النحو[1].

ثامناً: في بلاط الدولة:

في جولاتي في كتب التراث وقفت على سمرقنديين تولوا مناصب في الدولة كانت مهمة، فوجد الوزير والسفير والقاضي والنديم والحاجب، ومر معنا أن ابن أبي الأشعث السمرقندي كان يقرأ لنظام الملك حاكم بغداد حين يجتمع عنده العلماء والخاصة والحاشية، وفي الآتي نماذج من هذه الطبقة من السمرقنديين في بلاط الدولة.

1 - الحارث السمرقندي قرابة عبيد الله بن الوضاح:

وكان العباس يأنس به، وكان الحارث رجلاً أديباً له عقل ومداراة فصيره العباس رسوله وسفيره إلى القواد، ومن المعلوم أن بغداد بنيت زمن الخليفة أبي جعفر المنصور ابن العباس، وقد لا يكون هذا السفير السمرقندي له حضور في بغداد التي لم تؤسس بعد، ولكن القصد من بغداد هي دولة بني العباس أكثر منها بلداً وجغرافيا[2].

2 - قاضي المغل برهان الدين محمد بن أبي بكر بن عمر بن محمد قاضي الممالك القانية:

برهان الدين أبو عبد الله السمرقندي النوجاباذي الحنفي البخاري قاضي المغل صدر معظم وعالم مفخم فيه كيس ولطف وحسن مذاكرة كان

---

(2) الوافي 1 / 187.

(1) تاريخ الطبري / 5 / 243.

يلازم السلطان والوزارء قدم بغداد مرارا وروى بالإجازة عن سيف الدين الباخرزى يقال سمع منه قال الشيخ شمس الدين: ولم يصح مولده سنة ثلاث وأربعين ويوم كمل من عمره ثمانين سنة عمل وليمة عظيمة واتفق موته بعدها بجمعة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة بقريب تبريز أخذ عنه السراج القزويني ومحمد بن يوسف الزرندي وأجاز لأولاد الشيخ شمس الدين[1].

3 - أنبأنا محمد بن أبي طاهر قال حدثني خفيف السمرقندي:
حاجب المعتضد قال كنت واقفا بحضرة المعتضد إذ دخل بدر وهو يبكي وقد ارتفع الصراخ من دار عبيد الله ابن سليمان عند موته فأعلم المعتضد الخبر فقال أو قد صح الخبر وهي غشية قال بل قد توفي وشد لحياه فرأيت المعتضد قد سجد فأطال السجود فلما رفع رأسه قال له بدر والله يا أمير المؤمنين لقد كان صحيح الموالاة مجتهدا في خدمتك عفيفا عن الأموال قال فظننت يا بدر أني سجدت سرورا بموته إنما سجدت شكرا لله تعالى إذ وفقني فلم أصرفه ولم أوحشه ولي في حب ورثته ما خلفه عليهم[2].

وهذا خبر آخر عنه ترويه كتب التاريخ فيه إضافة من حياة هذا الحاجب السمرقندي نديم المعتضد

قال المحسن وحدثنا أبو أحمد الحسين بن محمد المدلجي قال بلغني عن خفيف السمرقندي قال كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصيداته

(1) الوافي، 1 / 482، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 1 / 260؟
(2) المنتظم 5 / 134.

وقد انقطع عن العسكر وليس معه أحد غيري فخرج علينا أسد فقصدنا فقال لي المعتضد يا خفيف أفيك خير..؟ قلت: لا يا مولاي فقال ولا حتى تمسك فرسي وأنزل أنا إلى الأسد فقلت بلى فنزل وأعطاني فرسه وشد أطراف ثيابه في منطقته واستل سيفه ورمى القراب إلى فأخذته وأقبل يمشي إلى الأسد فطلبه الأسد فحين قرب منه وثب الأسد عليه فتلقاه المعتضد بضربة فإذا يده قد طارت فتشاغل الأسد بالضربة فثناه بأخرى ففلق هامته فخر صريعا ودنا منه وقد تلف فمسح السيف في صوفه ورجع إلى وغمد السيف وركب ثم عدنا إلى العسكر وصحبته فإلى أن مات ما سمعته يحدث بحديث الأسد ولا علمت أنه لفظ فيه بلفظة فلم أدر من أى شيء أعجب من شجاعته وشدته أو وقلة احتفاله بما صنع حتى كتمه أو من عفوه عني فما عاتبني على ضني بنفسي(1).

4 - ابن قتلمش الحاجب محمد بن سليمان بن قتلمش بن تركانشاه أبو منصور السمرقندي:

ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وبرع في الأدب وولى حجب الباب للخليفة وتوفي سنة عشرين وستمائة ودفن في الشونيزية وهي إحدى مقابر بغداد قديماً. ومن شعره:

سئمت تكاليف هذى الحياة ::: وكر الصباح بها والمساء
وقد صرت كالطفل في عقله ::: قليل الصواب كثير الهراء
أنام إذا كنت في مجلس ::: وأسهر عند دخول الغناء
وقصر خطوي قيد المشيب ::: وطال على ما عناني عنائي
وما جر ذلك غير البقاء ::: فكيف ترى سوء فعل البقاء

(1) المنتظم/ 5 / 134. تاريخ الإسلام للذهبي 1 / 2171....... الوافي في الوفيات، لصلاح الصفدي 1 / 868.

ومنه قوله:

تقـــول خليلـــتي لمـــا رأتـــني ::: وقـد أزمعـت عـن وطـني غـدوا
أقـم واطلـب مرامـك مـن صـديق ::: فقلـت لهـا يصـير إذاً عـدو[1]

وهذا خبر آخر عنه مع اختلاف في الاسم قليلاً اختلافاً اقتضته اللهجة فالتاء قلبت طاءً في قترمش، ولا يخفى أن الطاء حرف عربي لا تنطقه الأعاجم، والرواية السابقة ذكرت قتلمش باللام، والمشهر قطرمش بالراء (سليمان بن قطرمش بن تركان شاه السمرقندي). حاجب الإمام المستنجد كَانَ سيرته مع الناس جميلةً. وتوفّي سنة أربع وستّين وخمسمائة. ومن شعره من الطويل:

أشـارت بأطـراف البنـان المُخَضَّـبِ ::: وضـنّت بمـا تَحْـتَ النِقـابِ المُـذَهَّبِ
وعضّـت عَلَـى تفّاحـة فِي يمينهـا ::: بـذي أُشُـرِ غَـذْبِ المذاقـةِ أشـنَبِ
وأومـت بِهَـا نحـوي فقمـتُ مبـادراً ::: إليهـا فقالـت هَـلْ سمعْـتَ بأشْـعَبِ

ومنه من الكامل:

رخُصَـتْ مفـارقتي عَلَـى رَجُـلٍ ::: وَلَيغْلُـوَنَّ عَلَيْـهِ مَـا رخُصـا
وَلأحرصَـنَّ عَلَـى قطيعتـهِ ::: وبِعـادِهِ أضـعافَ مَـا حَرصـا
ولقـد يعـود السـيف مقدحـةً ::: ويُبـدَّل الغُصْـنُ الرَطيـبُ عَصـا[2].

وينقل الرحالة الأديب المؤرخ ياقوت الحموي نبذة من سيرته ويكنيه بأبي نصر بدلاً من أبي منصور ابن قطرمش بن تركان شاه أبو نصر، البغدادي المولد السمرقندي الأصل، النحوي اللغوي الأديب، أحد أدباء عصرنا، وأعيان أولي الفضل بمصرنا، تجمعت فيه أشتات الفضائل، وقد أخذ من كل فن من العلم بنصيب وافر، وهو من بيت الإمارة، وكانت له

(2) الوافي 1 / 348.
(1) الوافي 1 / 2138.

اليد الباسطة في حل إقليدس وعلم الهندسة مع اختصاصه التام بالنحو واللغة وأخبار الأمم والأشعار، خلف له والده أموالاً كثيرة فضيعها في القمار واللعب بالنرد، حتى احتاج إلى الوراقة فكان يورق بأجرة بخطه المليح الصحيح المعتبر، فكتب كثيراً من الكتب حتى ذكر الإمام الناصر فولاه حاجب الحجاب، فلم يزل بها إلى أن مات في ربيع الآخر سنة عشرين وستمائة، ومولده في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وله شعر رائق فمن ذلك:

لا الذي سخر قلبي لها ::: عبداً كما سخر لي قلبها
ما فرحي في حبها غير أن ::: زين عندي هجرها قلبها[1].

والمؤرخ الشهير ابن كثير يضيف معلومات أخرى لهذا الحاجب السمرقندي فيقول: محمد بن سليمان بن قتلمش بن تركانشاه بن منصور السمرقندي وكان من أولاد الأمراء وولى حاجب الحجاب بالديوان العزيز الخليفتي وكان يكتب جيدا وله معرفة حسنة بعلوم كثيرة منها الأدب وعلوم الرياضة وعمر دهرا وله حظ من نظم الشعر الحسن ومن شعره قوله:

سئمت تكاليف هذي الحياة ::: وكذا الصباح بها والمساء
وقد كنت كالطفل في عقله ::: قليل الصواب كثير الهراء
أنام إذا كنت في مجلس ::: وأسهر عند دخول الغناء
وقصر خطوي قيد المشيب ::: وطال على ما عناني عناء
وغودرت كالفرخ في عشه ::: وخلفت حلمي وراء وراء
وما جرّ ذلك غير البقاء ::: فكيف بدا سوء فعل البقاء

وله أيضا وهو من شعره الحسن رحمه الله

... إلهي يا كثير العفو عفوا ::: لما أسلفت في زمن الشباب

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء 2 / 404.

فقد سودت في الآثام وجهاً ::: ذليلاً خاضعاً لك في التراب
فبيّضه بحسن العفو عني ::: وسامحني وخفف من عذابي

ولما توفي صلّي عليه بالنظامية ودفن بالشونيزية ورآه بعضهم في المنام فقال ما فعل بك ربك فقال:

تحاشيت اللقاء لسوء فعلي ::: وخوفا في المعاد من الندامة
فلما أن قدمت على إلهي ::: وحقّق في الحساب على قلامة
وكان العدل أن أصلى جحيماً ::: تعطف بالمكارم والكرامة
وناداني لسان العفو منه ::: ألا يا عبد تهنيك السلامة(1)

5 - وهذا سمرقندي في بلاط الحاكم العباسي المعتصم:

الذي انتصر بشدة لفكرة الاعتزال، وكان مترجمنا معتزلياً أخذ بإعجاب المعتصم فأدناه منه فكان مقرباً منه إنه الإسكافي وهو العلامة أبو جعفر محمد بن عبد الله السمرقندي ثم الإسكافي وكان في صباه خياطا، وكان يحب الفضيلة، فيأمره أبواه بلزوم المعيشة، فضمه جعفر بن حرب إليه، وكان يبعث إلى أمه في الشهر بعشرين درهما بدلا من كسبه.

فبرع في الكلام، وبقي المعتصم معجبا به كثيرا، فأدناه، وأجزل عطاءه، وكان إذا ناظر، أصغى إليه، وسكت الحاضرون، ثم ينظر المعتصم إليهم، ويقول: من يذهب عن هذا الكلام والبيان! ويقول: يا محمد، اعرض هذا المذهب على الموالي، فمن أبي، فعرفني خبره، لأنكّل به. ذكر له ابن النديم مصنفات عدة، منها " نقض كتاب حسين النجار "، وكتاب " الرد على من أنكر خلق القرآن " (2).

(1) ابن كثير، البداية والنهاية/13 / 102 - 103.
(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء 10 / 505.

6 - أبو بكر الفوركي أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن داود بن أبي عمران بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أبو بكر الفوركي سبط الإمام أبي بكر بن فورك السمرقندي:

نزل بغداد واستوطنها إلى حين وفاته كان يعظ بالنظامية ويرسل إلى المعسكر وكان حسن المعرفة بالكلام والنظر والوعظ درس الكلام للأشعري على أبي الحسين القزاز وتزوج بابنة الأستاذ أبي القاسم القشيري الواسطى وكان ملازماً للعسكر مقبلاً على طلب الدنيا والجاه والحشمة سمع بنيسابور أحمد بن الحسن الحيري وأحمد بن محمد الصيدلاني ومحمد بن أحمد بن جعفر الفقيه وغيرهم. توفي سنة ثمان وسبعين وأربع مائة [1].

وهناك أخبار أخرى متفرقة تخص الحياة العامة، مثل حمّم السمرقندي في بغداد وقد تعرّض لحريق فتضرر من بين حوانيت وأسواق ودور كما ذكر ابن الجوزي في كتابه المنتظم[2].

وذكر قصة أخرى كيف أن الحجيج العراقي تعرّضوا لقطاع الطريق، فقدّم لهم أمير الحج خمسة آلاف دينار لكن اللصوص لم يقبلوا هذا العرض، فتقدم لهم شاب يعرف بابن عفان كان في ركب السمرقنديين موصوف بجودة الرمي فرمى قائد اللصوص بسهم أرداه بها قتيلاً فحج الحجاج وعادوا سالمين[3].

* * *

(1) الوافي في الوفيات 1 / 1008.
(2) المنتظم، 8 / 294.
(3) المنتظم، 8 / 2.

رحلة المخطوطـات العربية الإسلامية من أوزبكستان إلـى بلاد المغرب العربي

رحلة المخطوطات العربية الإسلامية
من أوزبكستان إلى بلاد المغرب العربي

أ.د. حميد لحمر
شعبة الدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم
الانسانية/سايس
جامعة سيدي محمد بن عبد
الله/فـاس
المملكة المغربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

اسمحوا لي في البداية أن أقول: بأني أحببت هذا البلد الطيب منذ زمان، منذ قرأت الصحيح للإمام البخاري - رضي الله عنه - فمنذ ذلك الحين، تشوقت إلى معرفة هذا البلد أكثر، وازداد شوقي لزيارته، لما تشرفت بتدريس أخوة وأحباء بررة، من أبناء هذا البلد،وسمعت منهم الشيء الكثير عن بلدهم هذا، من هؤلاء: إمام مسجد الإمام البخاري الشيخ عثمان عليموف، وزميله الشيخ عبد القيوم يولجي الأستاذ بالجامعة الإسلامية بهذه المدينة المباركة - فشكر الله لمن كان سببا في هذا الفضل والجمع المبارك - كما أغتنم هذه الفرصة،لأقدم الشكر الخالص الجزيل، للقائمين الساهرين على تنظيم هذا الحفل العلمي المبارك، وأخص بالذكر، الجامعة الإسلامية الحكومية الأوزبكية، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالرباط، والشكر موصول أيضا لمنسق هذا المؤتمر الشيخ الدكتور صالح بادحدح، ورئيس اللجنة العلمية فضيلة الدكتور محمد حرب

والجنود الخفاء.

فيسعدني إذن، أن أكون معكم في رحاب مجلسكم الموقر هذا، لنعيش معا لحظات ممتعة، مع إخوتنا الأوزبكيين بمدينة طشقند التاريخية العالمية - عاصمة الثقافة الإسلامية عن منطقة آسيا الوسطى.

أيها الحضور الكريم: إن اختيار مدينة طشقند عاصمة للثقافة الإسلامية عن منطقة آسيا الوسطى لسنة 2007، هو في الواقع اعتراف بالأهمية التاريخية والإسلامية لهذه المدينة.

وإن إعلان طشقند عاصمة للثقافة الإسلامية، هو في الواقع تقدير تستحقه هذه المدينة، ويستحقه هذا البلد العظيم، هذا البلد الطيب التربة والناس، هذا البلد الذي أنجب آلاف العلماء على مدى تاريخه الطويل.

وفي تقديري، أن تكريم طشقند كعاصمة للثقافة الإسلامية عن منطقة آسيا الوسطى، هو عبارة عن وسام، - كما البعض - وهذا الوسام كان من المفروض أن يقدم لهذه المدينة قبل هذا الوقت منذ زمن بعيد، وأعتقد أن مدينة طشقند بمدارسها العريقة، ومعالمها ومراكزها العلمية، كانت عاصمة للثقافة الإسلامية على مدى تاريخها الحافل بالعطاء، وستظل عاصمة للثقافة الإسلامية لكل بلاد آسيا الوسطى، لأن علاقتها بالإسلام ضاربة في أعماق التاريخ.

ذلكم لأن هذا البلد - أعني أوزبكستان - ارتبط بالإسلام مع غيره من دول آسيا الوسطى منذ القرن السابع الميلادي، حيث فتحها العرب المسلمون، وأطلق هؤلاء على مجموع بلدان آسيا الوسطى، بلاد ما وراء النهر.

وتذكر كتب التاريخ أن هذا سوف يتم في عهد الخليفة عمر بن

عبد الخطاب - رضي الله عنه - ففي عهده تمكن الأحنف بن قيس من الوصول إلى نهر جيحون كما تمكن هذا الأخير أيضا في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - من الدخول بجيشه إلى خوارزم، وتستمر عملية الفتح، ففي عهد الدولة الأموية في سنة 54هـ تمكن عبد الله ابن زياد من فتح منطقة خرسان، وواصل بعد عثمان بن العاص عملية الفتح فتمكن من فتح سمرقند.

ويعود تاريخ تأسيس أول مسجد بأوزبكستان إلى نهاية القرن الأول 94هـ، وأن ذلك كان في مدينة بخارى، فإلى جانب كونه مكانا للعبادة كان مكانا للتلقين ودراسة العلوم الإسلامية كالتفسير والحديث والفقه.

وقد ازدهرت حركة تأسيس المساجد بعد هذه المحاولة الأولى، ومعها ازدهرت الحركة العلمية، وكان من نتائجها، أن أنجبت لنا فئة كبيرة من العلماء في مختلف العلوم والفنون انعكست على حياة شعوب دول ما وراء النهر عموما، وعلى المجتمع الأوزبيكي خصوصا فكان منهم المفسرون والمحدثون والفقهاء، وعلماء علوم الآلة، وعلماء الفلك، والطب وغيرها، وانتشر خبرهم داخل المجتمع الأوزبكي وخارجه بالدول المجاورة، وتعدى نتاجهم العلمي الحدود الأوزبكية، إلى الدول العربية، فحازت مؤلفاتهم شرف الاهتمام والتقدير، واستفادت منها الأمة، يدل على ذلك مجموع المؤلفات المخطوطة - إلى جانب المطبوعة - بالمكتبات العامة والخاصة بمجموعة من دول العالم، ومنها المغرب العربي.

وقد دخلت هذه المؤلفات دول المغرب العربي في وقت مبكر، وبالضبط عند دخول الأتراك شمال أفريقيا، فقد أدخل هؤلاء معهم مجموعة من المؤلفات إلى جانب ما أدخله السادة العلماء القادمين من الشرق، وبالضبط من العراق، وقد اشتهرت أوزبكستان بخدمة الحديث

النبوي الشريف، والتفسير لكتاب الله، وهي إلى جانب هذا، اشتهرت في جانبها الفقهي باحتضانها لمذهبين، بعضهما حقق انتشارا أوسع، وهو مذهب الإمام أبي حنيفة، وهو السائد، ومذهب الإمام الشافعي، ويعود سبب انتشار المذهب الحنفي لأسباب متعددة، منها مجاورة بلاد ما وراء النهر للعراق وتركيا في عهد الخلافة العثمانية، حيث يسود المذهب الحنفي، كما كان هو المذهب الرسمي للدولة آنذاك، وكذا مذهب الخلافة العثمانية، ومن هذه البلاد، انتقل إلى بلاد ما وراء النهر، ومنها دولة أوزبكستان.

وبالتالي يغلب على الظن أن أغلب ما يوجد من مخطوطات علماء أوزبكستان بمكتبات المغرب العربي، والراجح أنه قد دخل مع دخول الأتراك هذه البلاد، وهو في الأخير سوف ينحصر في البلاد التي دخلها الأتراك باستثناء المغرب الأقصى والأندلس التي لم يتمكن ولم يستطع الأتراك من دخولها وإخضاعها لسيطرتهم، وبالتالي خلت مكتباتها من مؤلفات علماء الأوزبيك باستثناء المؤلفات الحديثية (**المقصود بها المؤلفات الناقلة والمفسرة والشارحة للأحاديث النبوية الشريفة**) (المحرر). التي عرفت طريقها نحو الغرب قبل دخول الأتراك شمال أفريقيا، كما سوف لا نجد لهذا الكتاب الحضور القوي في دول المغرب العربي التي كانت تتمذهب بالمذهب المالكي، وكانت تدافع عنه أكثر، كتونس على سبيل المثال، وقد تتبعت أثر الكتاب التراثي الأوزبيكي بخزائن الغرب الإسلامي، فتبين لي من خلال البحث، أن النوع الذي له وجود ومنذ عهد مبكر، هو الكتاب الحديثي، وبالخصوص صحيحي البخاري ومسلم، ويليهم في الرتبة الثانية سنن الترمذي، وهذا الصنف حاضر بقوة في جل مكتبات المغرب العربي مخطوطا ومطبوعا، وبروايات متعددة، يليه الكتاب الفقهي، وأغلبه بمكتبات ليبيا وبناء على

هذا، ولتعميم الفائدة يمكننا أن نقدم جردا أو وراقية لما عثرت عليه بمركز الجهاد الليبيين حيث توجد أكثر مخطوطات ليبيا، ثم نقف عند أنفس نسخ صحيح البخاري التي تزخر بها الخزائن المغربية على الخصوص، ومنها خزانة القرويين بفاس عاصمة الثقافة الإسلامية عن المنطقة العربية لسنة 2007، ثم نبين الاهتمام الكبير الذي أولاه علماء فاس - العاصمة العلمية والروحية للمملكة المغربية منذ تأسيسها، وهي هذه السنة عاصمة عن المنطقة العربية إلى جانب أختها طشقند المحتفى بها كعاصمة عن المنطقة الآسيوية الوسطى.

قائمة بأسماء بعض الأصول العلمية التي عثرت عليها بمركز جهاد الليبيين بطرابلس:

1 - كتاب الجواهر: للطاهر الخوارزمي (كان حيا سنة 771هـ).

بخط مغربي، عدد أوراقه:163، مسطرته:س21 - 20×14سم.

نسخ سنة 1064هـ - يحمل رقم: 435.

ومنه في نفس المكتبة، نسخة أخرى تحمل رقم: 905.

بخط مشرقي، عدد أوراقها 187، مسطرتها: س15 - 15×14 سم.

الناسخ: جار الله أحمد المصطفى 971هـ.

2 - كتاب شرح الكيداني، لإبراهيم بن درويش البخاري.

بخط مشرقي، عدد أوراقه 68، مسطرته: 16س - 19×13 سم.

نسخه محمد شمس الدين بن محيي شرف الدين محمد عبد الخالق سعيد.

تاريخ النسخ: 17 جمادى الآخرة 1015هـ - يحمل رقم: 1443.

3 - كتاب شرح ملتقى الأبحر لبرهان الدين على بن أبي بكر المرغيناني ت 593هـ.

بخط مشرقي، عدد أوراقه 70، مسطرته:21س - 24×17سم.

الناسخ مجهول، يحمل رقم:443.

4 - كتاب الكافي في شرح الوافي لعبد الله أحمد النسفي ت 710هـ.

بخط مشرقي، عدد أوراقه 230، مسطرته 31 س، 29×19سم.

الناسخ: عبد المجيد الكتاني.

مبتور الأول، يحمل الجزء الأول رقم: 727.

الجزء الثاني منه، يحمل رقم: 371.

عدد أوراقه 329، مسطرته: 31س - 26×18سم.

5 - كفاية المنتقى لعلي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني ت 593هـ

بخط مشرقي، عدد أوراقه 170،مسطرته: 13س - 17×11 سم.

محبس على جامع الباشا من قبل محمود ابن الحاج على خوجه.

مبتور الأول والأخير.

يحمل رقم: 595.

6 - كتاب كنز الدقائق لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ت710هـ.

بخط مشرقي، عدد أوراقه 112، مسطرته: 11س - 25×19سم.

مجهول الناسخ، يحمل رقم: 1402.

منه نسخ أخرى:

أ - عدد أوراقها:195 مسطرتها:7س - 27×21سم.

بخط مشرقي، مجهولة الناسخ، تحمل رقم: 1446.

ب - نسخة أخرى، عدد أوراقها 177 مسطرتها: 9س - 20×14سم.

بخط مشرقي تحمل رقم: 726.

ج - نسخة أخرى، عدد أوراقها 162، مسطرتها 25س - 21×17سم.

بخط مشرقي تحمل رقم: 398.

د - نسخة أخرى، عدد أوراقها 199 مسطرتها: 9س - 20×15سم.

ناسخها: حسن بن مصطفى بن أحمد بتريخ 1080.

خطها مشرقي، تحمل رقم: 411.

هـ - نسخة أخرى، عدد أوراقها 100 مسطرتها: 19س - 20×14 سم.

بخط مشرقي.

تاريخ النسخ: 1042، مجهولة الناسخ، تحمل رقم: 419.

و- نسخة أخرى، عدد أوراقها 231، مسطرتها: 29س - 30×19سم.

بخط مشرقي، تاريخ النسخ: 1147هـ، يحمل رقم: 347.

7 - كتاب مفتاح السعادة لظاهر الإسلام بن قاسم بن أحمد بن رضي الدين الأنصاري الخوارزمي سعيد نمديوش ت771هـ.

بخط مشرقي، عدد أوراقه 60، مسطرته 13س - 20×15 سم.

يحمل رقم: 1418.

8 - كتاب النافع لأبي القاسم بن يوسف ناصر الدين السمرقندي ت 556هـ.

بخط مشرقي جميل، عدد أوراقه: 131 مسطرته: 19س - 25×16 سم.

محبس من قبل الشيخ محمد بن محمود على مكتبة طرابلس الغرب.

يحمل رقم: 414.

9 - كتاب تحفة الملوك في حصر أصول الإرث المتروك لمحمد بن أبي بكر حسن الرازي الحنفي.

بخط مغربي (قطعة ضمن مجموع).

عدد أوراقه 124، مسطرته: 21س - 14×13سم.

ناسخه: مصطفى محمد الخروبي في 17 رجب 1243هـ.

يحمل رقم: 729.

ويمكن القول أن أغلب ما وقفت عليه وذكرته هنا من كتب مخطوطة، هي: أصول حنفية، ومعلوم أن بلاد ما وراء النهر، ومنها أوزبكستان انتشر بها مذهبان:

مذهب الحنفية ومذهب الشافعية - كما ذكرت سابقا -، والأول كان أوسع من الثاني في الانتشار، وهذا الأخير أصوله قليلة الانتشار بالغرب الإسلامي، غير أن أنفس ما عثرت عليه بالمكتبة المغربية كتاب: محاسن الشريعة، وهو لأحد أعلامها الكبار المشهود لهم بالتفوق والتقدم، هو الإمام أبو بكر القفال الكبير الشاشي الشافعي - رحمه الله - ت365هـ.

وهو الإمام المفسر المحدث الفقيه الأصولي اللغوي الشاعر المجاهد، أبو بكر محمد بن على بن إسماعيل الشاشي المعروف بالقفال الكبير، أحد

أعلام مذهب الإمام الشافعي أعلم أهل زمانه بما وراء النهر، ومن أشهر أئمة المسلمين عبر التاريخ، يلقب بالقفال الكبير تمييزا له عن الإمام القفال الصغير أبو بكر عبد الله بن أحمد المروزي الذي عاش بعد المائة الرابعة، وهو أيضا كان شيخ الشافعية في بلده - رحمه الله -.

وقد ولد إمامنا القفال الكبير الشاشي سنة 291هـ بمدينة الشاش، هذه البلدة المشهورة المحتفى بها والمسماة في العصر الحديث بـ " طشقند " عاصمة جمهورية أوزبكستان من حيث التقسيم الإداري وعاصمة الثقافة الإسلامية عن منطقة آسيا الوسطى لسنة 2007.

من نسخ كتب: محاسن الشريعة نسخة في غاية الأهمية كاملة بخط مليح مشرقي بمكتبة الزاوية العياشية بالمملكة المغربية، يحمل رقم: 113، ويغلب على الظن أن يكون الشيخ أبو سالم العياشي قد جلبها من المشرق خلال رحلته، ورحلته مدونة مشهورة اقتنى خلالها مجموعة من الأصول العلمية، فهو إلى جانب ما جلبه من كتب مالكية، نجده كان حريصا على جلب كتب علماء ما وراء النهر.

ومن أنفس الكتب التي تحتفظ بها الخزانة المغربية بالزاوية العياشية كتاب: " تحفة الفقهاء " للإمام علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي الفقيه الحنفي المعروف من أهل سمرقند، له بنت اسمها فاطمة، عالمة فقيهة يحمل رقم:104 بخط مشرقي، عدد أوراقه: 203.

وقد شرح كتابه، تلميذه الإمام أبو بكر الكاساني في كتاب سماه: بدائع الصنائع في ترتيب الصنائع " وهذا الأخير يعتبر من أنفس أمهات كتب المذهب الحنفي المعتمدة، ولعله الكتاب الفقهي الحنفي الوحيد الذي يوجد بهذه المكتبة.

ومنها كتاب:

أساس البلاغة لجار الله محمد الخوارزمي، يحمل رقم: 330

وكتاب: بحر العلوم في تفسير القرآن لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي يحمل رقم: 417.

ومنه نسخة أخرى بالخزانة الملكية بالرباط تحمل رقم: 8022.

ونسخة أخرى بنفس الخزانة تحمل رقم: 9683.

وكتاب: مفيد العلوم، ومبيد العموم لأبي بكر الخوارزمي، يحمل رقم: 658.

وكتاب: فتح الباقي، شرح ألفية العراقي لأبي يحيى زكرياء البخاري يحمل رقم: 396.

وكتاب: لطائف الأعلام في إشارات أهل الإسلام لكمال الدين عبد الرزاق القاشاني، يحمل رقم: 294.

ومن المكتبات المغربية التي حوت أصولا علمية أوزبكية، الخزانة الملكية بالرباط.

وقد تميزت هذه المكتبة عن غيرها باحتوائها لبعض المؤلفات ذات الطابع العلمي منها:

1 - رسالة في اقتناء براهين العلوم الحسابية، تأليف شمس الدين محمد ابن الأشرف السمرقندي المتوفى في حدود عام 600 يحمل رقم ك 1638 وهو ضمن مجموع، من الورقة: 45ب إلى 51ب، مكتوبة بخط مغربي واضح، بمداد أسود، والعناوين والأشكال الهندسية بالأحمر.

عار عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ، عدد أوراقه: 07 مسطرته:25س

- 22×15.

2 - كتاب شرح رسالة في آداب البحث لأبي القاسم على السمرقندي.

وهو ضمن مجموع، بخط مغربي، عار عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

عدد أوراقه 33 مسطرته:30س - 22×16سم يحمل رقم: 58.

3 - شرح السلم المرونق في علم المنطق لإبراهيم بن محمد الهاشمي العباسي البخاري.

بخط مغربي، عار عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

عدد أوراقه 295 مسطرته: 22س - 23×18سم، يحمل رقم:1452

4 - كتاب بحر العلوم في تفسير القرآن لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المتوفى سنة 393

تشتمل هذه النسخة على التصفح الثاني من الكتاب، وتبدأ بتفسير سورة مريم، وتنتهي بسورة الناس

كتبت بخط مغربي

وقع الفراغ من نسخها في ثامن عشر جمادى الثانية عام 1270

عدد أوراقها: 257 مسطرتها: 29س - 29×19سم تحمل رقم 8022

وبخزانة القرويين العامرة بفاس، التي تحوي نفائس الكتب المخطوطة من كل فن، تقل كتب أعلام ما وراء النهر، اللهم إلا بعض الأصول العلمية تتعلق بالجانب اللغوي أو الوعظ وهي معدودة منها:

1 - شرح رسالة في الاستعارة وأنواعها لأبي القاسم بن بكر الليثي

السمرقندي كتب بخط مغربي وهو غير تام.

عدد أوراقه: 21 مسطرته:17 - 21×16سم

يحمل رقم:1450

2 - وكتاب آخر في الوعظ يحمل عنوان: تنبيه الغافلين.

الجزء الثاني منه فقط في سفر ضخم بخط مغربي جميل، وقع الفراغ من نسخه عام خمسة وتسعين من تحبيس السيدة فاطمة بنت الحاج الطاهر السبتي كما بالوثيقة أوله بتاريخ ربيع الثاني عام 1369 والكتاب مشهور، وقد تكلم فيه الحفاظ الناقدون وذكروا أنه مشتمل على أحاديث كثيرة موضوعة.

عدد أوراقه 225 مسطرته: 16س - 21×16سم يحمل رقم:1590.

وتتوج رحلة الكتاب الأوزبكي إلى المغرب في بداية التسعينيات بدليل الكتب المخطوطة بالخزائن الأوزبيكية الذي أعده فضيلة الأستاذ الشيخ عبد القيوم يولجي الطشقندي قدمه رسالة علمية تقدم بها لنيل الإجازة في الدراسات الإسلامية من شعبة الدراسات الإسلامية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، مع تقديم دراسة مفصلة عن تلك المخطوطات وقبله قام الشيخ عثمان عليموف البخاري خلال رحلته إلى فاس لطلب العلم وتعلم اللغة العربية، قام بإدخال مجموعة من الكتب الفقهية الحنفية لعلماء أوزبيك.

أما عن الصنف الثاني من كتب التراث التي سلكت طريقها نحو المغرب العربي وكسبت قلوب الناس واهتبلت بها العقول فهي كتب الحديث النبوي الشريف، ومنها على الخصوص صحيحي

البخاري ومسلم ويعود تاريخ دخول هذه الكتب إلى وقت مبكر جدا قريب من عهد أصحابها، فلا تكاد تخلو منها مكتبة من مكتبات المغرب العربي عموما، ويعود السبب في انتشار هذه الكتب بكثرة وأكثر من غيرها إلى حب سكان المغرب العربي لسنة نبيهم ﷺ، ولقيمة أصحابها وطول باعهم، في جمع وخدمة الحديث الشريف، كما أن سكان المغرب العربي مالكيون، والشأن في أتباع الإمام مالك - رضي الله عنه - أنهم يميلون إلى السنة، ويبغضون البدعة، جريا على منهج الإمام مالك بن أنس.

وإن من يراجع الخزانات المغربية، سواء منها الخاصة أو العامة، فسيرى أنها مليئة بكتب الحديث المذكورة، وأنها كانت تعنى بالنسخ المخطوطة المصححة المقابلة بالأصول الصحيحة ذات الاعتبار العلمي، إما بتوقيع بعض العلماء الذين لهم شأن في علم الحديث وإما بتسجيل بعض السماعات والإجازات، وإما بذكر الروايات الرابطة بينها وبين مصدرها الأصلي وفي خزانة القرويين، مخطوطات كثيرة تسير على هذا النسق الدال على صدق همة العلماء، المبين لحرصهم على أن تكون كتبهم ذات قيمة علمية، وأن تكون صالحة للاقتباس منها والنقل عنها ويمكننا أن نقدم بعض النماذج من صحيح البخاري لنتعرف من خلال ذلك على ما بذله المغاربة من جهد في نشر هذا الكتاب بربوعهم، وفي حفظهم بخزائنهم، ومعلوم أن صحيح البخاري عند جمهور علماء الإسلام أصح الكتب بعد القرآن، وهو على الحقيقة أجمعها لأنظمة الإسلام وتشريعاته، وأصح مصادره وأقربها إلى زمن البعثة المحمدية والإمام البخاري حمل عنه كتاب الصحيح هذا نحو

تسعين ألفا، ولكن لم يشتهر راو عنه ولا رواية كرواية عبد الله محمد يوسف بن مطر الفربري المتوفى (320هـ) عشرين وثلاثمائة وكان سماعه عليه للصحيح مرتين: مرة بفربر سنة مائتين وثمانين وأربعين (248هـ)، ومرة ببخارى سنة اثنتين وخمسين ومائتين (252) فإنه أتقن الرواة عن البخاري، ومن آخرهم سماعا عنه.

لذلك قال القاضي عياض في المشارق: " أكثر الروايات عندنا من طريق الفربري والنسفي، ولم يصل إلينا من غير هذين الطريقين عنه ولا دخل المغرب والأندلس إلا عنهما على كثرة رواة البخاري عنه لكتابه.

ويحكى أن رواية ابن سعادة المغربي لصحيح البخاري ونسخته اختصت بالترجيح والتقديم على غيرها من الروايات لصحة الأصل المأخوذة منه، فإنها نسخت من نسخة شيخه وصهره الحافظ أبي على الصدفي التي طاف بها في الأمصار، وسمعها وقابلها على نسخ شيوخه بالعراق، ومصر، والشام، والحجاز، والأندلس، ولا شك أن أصلا كهذا في التداول والأيدي التي تناولته لا يعدله في الصحة شيء لأن الصدفي كانت بيده نسخة من الصحيح مقروءة على أبي ذر الهروي، وأبو ذر أخذ عن تلاميذ الفربري الذي كانت بيده نسخة الصحيح بخط البخاري، فعلى هذا نسخت نسخة ابن سعادة من نسخة قوبلت بواسطة على خط البخاري.

وقد اشتهرت هذه النسخة حتى أصبحت تعرف في مدينة فاس

بـــ: " الشـــيخة " لتفـــرع أكثـــر نســـخ فـــاس والمغـــرب منهـــا، وكثـــرة تـداولها وتـداول الأعـلام لهـا، واعتمـادهم عليهـا ومـن هوامشـها جمعـت حواشـــي الشـــيخ أبـــي زيـــد عبـــد الـــرحمن بـــن محمـــد الفاســـي علـــى الصـحيح، جمعهـا حفيـد أخيـه الشـيخ أبـو عبـد الله عبـد القـادر الفاسـي - رحمــه الله - وســماها: تشــنيف المســامع وتفرعــت عــن الشــيخة هــذه عـدة نسـخ منهـا نسـخة الشـيخ أبـي محمـد عبـد القـادر بـن علـى الفاسـي التي كان عدد منها كثيرا من النسخ يبيعها كان يتعيش منها.

وهـذا الفـرع المعـروف بـــ " الشـيخة " الـذي هـو أصـل مجمـوع النسـخ المعتمـدة فـي المغـرب المرجـوع إليهـا فـي التصـحيح والضـبط موجودة بفاس إلى الآن.

والنســخة الســعادية (*) هــذه هــي فــي الأصــل خمســة أســفار افتقــد منهــا الجــزء الأول فـــي القـــرن الماضـــي، ولا نـــدري أيـــن انتهـــى مصـــيره؟ والبـــاقي أربعـــة أجـــزاء، ولمـــا رأى الســـلطان أبـــو عبـــد الله ســـــــــــــيدي محمـــــــــــــــــــــد بـــــــــــــــن عبـد الـرحمن أن النسـخة بقيـت مبتـورة تحتـاج إلـى اسـتكمال، انتـدب بعــض ولاة الوقــت للنظــر فــي تتميمهــا فــأوعزوا إلــى أبــي عبــد الله محمــد الهــادي بــن عبــد النبــي بــن المجــدوب الفاســي بنســخ الجــزء الأول، فنســخه وكمــل، ولمــا تــم، كتــب علــى أول ورقــة منــه ظهيــر سـلطاني نصـه بعـد الطـابع الـذي داخلـه محمـد بـن عبـد الـرحمن وفقـه الله: " لمـا كـان الجـامع الصـحيح للإمـام أبـي عبـد الله سـيدي محمـد بـن إســماعيل البخــاري المنتســخ بخــط الحــافظ المحــدث أبــي عمــران

(*) نسبة إلى ابن سعاده " المحرر ".

موسى بن سعادة محبسا بخزانة القرويين عمره الله وضاع منه الخكس الأول، وبحث عنه أشد البحث فلم يوجد أمرنا بانتساخ آخر بدله من نسخة معروفة بفاس بـ " الشيخة " من الأصل المذكور، وهو هذا المكتوب عليه، وألحقناه بباقي أجزاء الأصل المذكور في التحبيس (الحفظ) المذكور، وحوزناه بيد قيم الخزانة المذكورة، فمن بدل أو غير فالله حسيبه وولي الانتقام منه والسلام في عشري جمادى الأولى عام 1288هـ الظهير الشريف المحمدي، وأثر الظهير المذكور على أول المجلد المذكور وثيقة عدلية نصها:

" الحمد لله، يعلم ويتحقق أن هذا السفر الأول من صحيح البخاري هو من جملة حبس (**)خزانة القرويين عمره الله بدوام ذكره، فمن عاينه محوزا للخزانة المذكورة، ومحترما باحترامها قيده في 29 جمادى الثانية عام 1288، ثم أشكال عدول ثلاثة

ولقد ظهرت عناية العلماء المغاربة والدارسين بالجامع الصحيح في الشرح والتعليق والحواشي وغيرها، حتى عد صاحب كشف الظنون منها (82) اثنين وثمانين مؤلفا حول الصحيح وعد غيره أكثر من هذا، لقد شغل المغاربة بهذا الكتاب الحديثي البخاري الصنع منذ عرفوه ورووه ودرسوه واهتموا به أعظم اهتمام، واعتنوا به أعظم عناية وجعلوه في الاهتمام بعد كتاب الله في محل الصدارة في حياتهم الدينية والفكرية والاجتماعية، ويسجل التاريخ للمغاربة أن ثاني شرح لهذا الكتاب ظهر في الدنيا

(**) بمعنى محتويات " المحرر ".

هو شرح: النصيحة لأحمد ابن نصر الداودي المتوفى سنة 402هـ فهو ثان كتاب يظهر بعد كتاب أعلام السنن الذي يعده المؤرخون أول كتاب تناول الصحيح بالشرح على الإطلاق.

واستمرت عناية المغاربة وإقبالهم على صحيح البخاري على الدوام، وانصب اهتمامهم به من جميع النواحي والوجوه، فوضعوا له الشروح، وكتبوا عليه الحواشي، وعلقوا على متونه وأسانيده، واختصروه، ولخصوه، وجردوا متونه، وبحثوا في مشكلاته وألفاظه، وبحثوا تراجمه، وفقه أبوابه، وعرفوا برجاله، وبعضهم ذهب ينظم أشعارا في مدحه والتنويه بقيمته ومزاياه وأن نظرة واحدة في فهارس المكتبات المغربية بكاملها لتدل على ذلك، ناهيك عن الدراسات والأطاريح التي قدمت في شأنه بكليات الجامعات المغربية.

كما تعتز مكتبتنا المغربية خصوصا القرويين بملكيتها للنسخة السعادية المنقولة عن الأصل الصدفي، كما نعتز أيضا بأن جعل ملوك الدولة المغربية هذا الصحيح، محورا للدرس والتلاوة خلال شهري شعبان ورمضان، حيث يختم عند ليلة القدر من كل شهر رمضان، ولا زالت هذه العادة الحسنة مستمرة إلى يومنا هذا في مجالس الدروس الرمضانية التي تلقى في حضرة أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس.

وهذه قائمة لبعض الشروح المغربية لصحيح البخاري مرتبة حسب الوفيات:

1 - شرح النصيحة لأحمد بن نصر الداودي.

2 - شرح المهلب بن أبي صفرة التميمي.

3 - شرح أبي الحسن بن خلف القرطبي المعروف بابن بطال.

4 - شرح أبي حفص عمر بن الحسن بن عمر الإشبيلي.

5 - شرح أبي عبد الله بن خلف بن المرابط المري.

6 - شرح أبي الأصبغ عيسى بن سهل السدي.

7 - تفسير غريب ما في الصحيحين لابن فتوح الحميدي.

8 - شرح أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي.

9 - شرح أبي القاسم أحمد بن محمد بن عمر بن ورد التميمي المري.

10 - شرح غريب الصحيح لأبي الحسن محمد بن أحمد الجياني.

11 - شرح القاضي أبي بكر بن العربي.

12 - شرح عبد الواحد بن عمر بن التين.

13 - المفهم في شرح البخاري لأبي بكر بن إسماعيل بن محمد الأزدي الأندلسي.

14 - تراجم صحيح البخاري لأبى العباس أحمد بن رشيق الكاتب.

15 - شرح أحمد محمد بن إبراهيم بن عمر القرطبي الأنصاري

16 - شرح غريب البخاري لأبي عبد الله محمد بن أحمد اليفرني المكناسي.

17 - شرح البخاري لمحمد بن مرزوق التلمساني.

18 - شرح مشكلات البخاري لمحمد بن يوسف التلمساني.

19 - شرح إبراهيم بن هلال السجلماسي.

20 - شرح التهامي المدني كنون.

21 - شرح محمد الفرطاخ التطواني.

وغيرهم أكثر مما ذكرنا هنا كما أن عناية المغاربة بكتاب الجامع لم تقف عند الشرح والتعليق والاختصار وغيرها، كما لم تقف عند الاهتمام بتلاوته وختمه في شهر رمضان، بل تعدت ذلك إلى الاهتمام بتحبيس أصله وشروحه في المكتبات، والتنافس في ذلك،من ذلك على سبيل المثال:

ما حبسه السلاطين: كالسلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، حيث حبس النسخة رقم 369 على خزانة الجامع الكبير بمدينة مكناس، وحازه ناظر الحبس عبد الواحد المسطاسي في شهر جمادى الثانية عام 1175مكتوب بخط مشرقي

كما حبس النسخة رقم:459 على نفس الخزانة وتمت حيازته لجانب الحبس في 21جمادى الثانية 1175.

ومن الشروح لكتاب الجامع التي حبسها هذا السلطان، كتاب: تقييد المهمل وتمييز المشكل في رجال الصحيحين للحسين بن محمد بن أحمد الغساني أبو على الأندلسي المتوفى سنة 498هـ، يحمل رقم 237 حبسه على خزانة الجامع الكبيرة بمدينة مكناس، وتمت حيازته لجانب الحبس في 14 رجب عام 1175هـ

كما حبس السلطان سيدي محمد بن عبد الله شرحا آخر للصحيح يحمل رقم 330: وهو شرح ابن بطال المغربي على الخزانة السابقة الذكر وتمت حيازته في 17 جمادى الثانية من سنة 1175هـ.

وممن اشتهر بتحبيس كتاب الصحيح - وغيره - السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي على خزانة الجامع الكبير بمدينة مكناس ومنه النسخة رقم:204 بالخزانة المذكورة، وقد تمت حيازة المحبس في 4 شعبان عام 1247هـ.

وهذه النسخة مكتوبة بخط أندلسي، على طرز بعض أجزائها تقاييد منها ما هو متآكل بالأرضة كما حبس النسخة رقم: 232 بالخزانة المذكورة.

ونسخة أخرى تحمل رقم:395 محبسة من طرف سلطان آخر، وهو: السلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدي (صاحب المكتبة الزيدانية التي سرقت إلى دير الإسكوريال بأسبانيا)، على الخزانة التي بقبلة المسجد الأعظم بمكناس كما هو مثبت على صدر صفحة كل جزء، وذلك شهر رجب الفرد عام 1002هـ.

وكثيرة هي النسخ المحبسة من هذا الكتاب بخزانة القرويين من طرف السلاطين والأعيان والعلماء

هذه باختصار جملة من المعارف والمعلومات عن قيمة هذا الكتاب الحديثي البخاري التأليف لدى علماء المغرب العربي ومنهم سكان المغرب الأقصى، ولا تكاد تخلو مكتبة من المكتبات المغربية، إلا وبها مجموعة من نسخه، فهذا البلد الطيب حاضر في قلوب الناس بحضور وتداول صحيح بخارهم، وإلى جانب الجامع الصحيح للإمام البخاري، دخل إلى المغرب العربي كتاب آخر حديثي لا يقل أهمية عن الأول، بل اقترن به وشاع وذاع خبره وتداولته الأيدي بالدراسة والشرح والتعليق والاختصار ودراسة

رجاله، وألفاظه، وهو صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، ومنه نسخا كثيرة بالخزائن المغربية، مع شروحه المتعددة، كما اشتهرت كتب حديثية أخرى من إنتاجات بلاد ما وراء النهر ككتاب سنن الترمذي.

والخلاصة:

أن الكتاب " المخطوط " الأوزبيكي دخل بلاد المغرب العربي في وقت مبكر، وأن أول كتاب شق طريقه نحو بلاد المغرب العربي بعد القرآن الكريم، وكتاب موطأ الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، كان كتابا حديثيا أيضا، وهو أوزبكي الصنعة بخارى المولد، وهو صحيح الإمام البخاري - رحمه الله - ثم تلته كتب حديث أخرى كصحيح الإمام مسلم، والترمذي وغيرهم، وهذا كانت له أسبابه ودواعيه نجملها في:

1 - أن سكان بلاد المغرب العربي، كانوا شديدي التمسك بالحديث النبوي الشريف.

2 - يبغضون البدعة ويتمسكون بالسنة

وقد اهتم بهما المغاربة كثيرا حيث درسوه وحبسوه حتى كثرت نسخه بالخزائن المغربية عموما، كما دخلت المغرب الإسلامي كتبا أخرى لأعلام ما وراء النهر، أغلبها يغلب عليه الطابع اللغوي، وطابع الوعظ، ويقل الكتاب الفقهي الذي يغلب عليه المنهج الحنفي والشافعي، ذلكم لكون بلاد الغرب العربي مالكيين، كانت تقاوم كل من خالف المذهب المالكي الذي دخلها منذ القرن الثاني، بل في حياة الإمام مالك بن أنس، كما نلاحظ أن الكتاب الحنفي لأعلام ما وراء النهر سوف يدخل مع دخول

الأتـراك شـمال أفريقيـا، فهـم الـذين حـاولوا فـرض المـذهب الحنفـي علـى دول شـمال أفريقيـا، لأنـه المـذهب الرسـمي للدولـة العثمانيـة ـ دولة الخلافة ـ آنذاك.

والحمد لله الذي بفضله ونعمته تتم الصالحات والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

الأوزبك في مصـــر

الأوزبك في مصر

الدكتورة / ماجدة مخلوف
كلية الآداب - جامعة عين شمس

الأوزبك واحد من الشعوب التركية، وينتسبون إلى أزبك خان (1313 - 1340م) حاكم دولة المغول القبجاق المعروفة باسم " ألتون أوردا ". وينحدر أزبك خان من نسل جوجى بن جنكيزخان. والمعروف أن جنكيزخان كون إمبراطورية كبيرة ضمت كل الشعوب التركية في آسيا الوسطى والقفقاس وكان يحكم هذه البلاد الممتدة من تركستان شرقاً إلى شمال البحر الأسود غرباً، وقد سماها القلقشندي " مملكة توران خوارزم والقبجاق "، ومن ثم كان أغلب شعبها من الترك وغلبت عليها الثقافة التركية، بل إن القسم الذي أسلم من المغول تترك بمرور الوقت في حين عاد القسم الذي ظل على وثنيته إلى منطقته في مغولستان التي تعرف اليوم باسم منغوليا.

وعندما أسلم أزبك خان بن طغلق خان في مطلع القرن الرابع عشر، أصبح اسم الأوزبك يطلق على شعبه نسبة إليه، ومن ثم أصبح اسم الأوزبك يطلق على العشائر المسلمة التي اتبعت بعد ذلك أبو الخير خان الأوزبك (1412 - 1468م) مؤسس أول دولة أزبكية في آسيا الوسطى وهى دولة الشيبانيين الأزبك نسبة إلى شيبان أصغر أبناء جوجى الجد الأعلى لمحمد شيبانى خان حفيد أبوالخيرخان. وهذه التقدمة ضرورية لفهم مكانة الأوزبك في مصر وعلاقتهم بالدولة المملوكية.

دور الأوزبك في الحياة السياسية والإدارية في مصر:

عاش الأوزبك في مصر ولاة وحكاما وقادة للجيش وأمراء، وكان لهم دورهم في الحياة السياسية والإدارية ولهم تأثيرهم على الحياة الاجتماعية والمظاهر الحضارية في مصر على امتداد تاريخها.

فأول أسرة حاكمة أسست في مصر دولة مستقلة في إطار الخلافة العباسية، هى الدولة الطولونية التي أسسها أحمد بن طولون البخارى الأصل في عام 254هـ/ 868م، واستمرت هذه الأسرة تتوارث حكم مصر لمدة ثمانية وثلاثين عاما، وهى مدة قصيرة نسبيا لكنها شكلت نقطة واضحة في تاريخ مصر. وكان ابن طولون سياسيا محنكا، وقائدا ماهرا خبيرا بأساليب الحرب وتعبئة الجيوش، كما كان إداريا حازما، وفي عهده استتب الأمن ونعم الناس بالرخاء. واهتم بالزراعة وأنشأ الطرق وحصن الثغور وبنى قلعة عكا الحصينة.

وقد وصفه المؤرخون بأنه كان ملكا عادلا في الرعية كريما سخيا، منقادا للشريعة، يحب العلماء والصلحاء، ويحب فعل الخير، كثير البر والصدقات، وكان له اشتغال بالعلم وطلب الحديث، وحكم في أيام ولايته من مصر إلى الفرات ومن مصر إلى بلاد المغرب، وعم العدل منه سائر الجهات حتى تخيروه على خلفاء بغداد ".

كما استطاع ابنه خُمارويه أن يقضى على الفتن وينشر الطمأنينة في ربوع مصر ويعمها الرخاء.

ويعتبر عهد ابن طولون وابنه خُمارويه من العصور الذهبية في تاريخ مصر لما كان فيهما من التألق العمرانى والغنى التجارى، حتى بلغ خراج مصر أربعة آلاف وثلثمائة ألف دينار.

وقد لعب الطولونيون دورا هاما في دفع أخطار البيزنطيين عن العالم الإسلامى ودعموا الخلافة العباسية في مواجهة البيزنطيين في غاراتهم على العواصم والثغور الإسلامية في بلاد الشام، وحملت مصر والشام في عهدهم راية الدفاع عن أرض الإسلام ضد الروم، وصارت قوة يرهبها الروم. فحارب أحمد بن طولون البيزنطيين في طرسوس وهزمهم واستعاد منهم أسرى المسلمين، وأصبحت أملاكه تمتد من طرسوس حتى نهر الفرات وبهذه الانتصارات ملك ابن طولون مصر والشام والجزيرة والثغور ووافق الخليفة المعتمد على حكمه لهذه المناطق.

ومن بعد الطولونيين، أسس محمد بن طغج بن جف الفرغانى الأصل المعروف بالإخشيدى، الدولة الإخشيدية في مصر والتي حكمت خمس وثلاثين عاما من 323هـ إلى 358هـ (945: 969م). وكان محمد بن طغج (ملكا عادلا شجاعا مقداما حازما، حسن التدبير، عارفا بالحروب، مكرما للجيش). وقد تصاهر الطولونيون مع الخلافة العباسية، بزواج قطر الندى ابنة خمارويه الفرغانى من الخليفة العباسى المعتضد، وصار هذا الزواج جزءا من التراث الأدبى المصرى لما أحاط به من مظاهر الفرح والأبهة.

وكان القفجاق (الأوزبك) موضع اهتمام وعناية سلاطين دولة المماليك البحرية الذين كان معظمهم في الأصل من بلاد القفجاق ولقد حرض سلطان مصر الظاهر بيبرس على محالفتهم، فتبادل مع عاهلها " بركة خان " البعوث والهدايا (660 هـ/1261م - 662 هـ/1263م)، كما تزوج ابنته، وأمر بالدعاء له على منابر القاهرة والقدس ومكة والمدينة. ولا شك أن هذا الحلف كان موجهاً بطبيعة الحال ضد عدوهما المشترك الممثل في " دولة إيلخانات المغول " التي كان يحكمها " هولاكو "

وأولاده، في فارس والعراق. واستفاد السلطان بيبرس من هذا التحالف في تقوية جيشه. حتى أصبحت مصر بالأوزبك آهلة المعالم، محمية الجوانب، منهم زعماء جيوشها، وعظماء أرضها، وحمد الإسلام مواقفهم في حماية الدين ".

كما أدى انتشار الإسلام في دولة القفجاق في القرن السابع الهجري، بإسلام أزبك خان، إلى اتساع رقعة الإسلام من جهة، وإلى تطعيم الجيوش الإسلامية في مصر والشام بدماء فتية من شعوب تلك المنطقة من جهة أخرى. على أن موضع الأهمية هنا، هو هذا التعاون العسكري بين مصر ومغول القبجاق، وزعيمهم " أزبك خان ".

كما كان للأوزبك دورهم في الحياة الإدارية في العهد المملوكى، وشغلوا مناصب هامة مثل أمير المجلس، وقائد الجيش، وأمير السلاح وهى من الوظائف العسكرية الهامة والتي تأتى في المرتبة الثانية بالنسبة لوظائف الدولة في القصر السلطانى وتلى مباشرة وظيفة أتابك العسكر، ورئيس النوبة وهى أيضا من الوظائف الكبرى في العصر المملوكى يشغلها عسكريون من طبقة الأمراء مقدمى الألوف، كما إنها الوظيفة السادسة في الدولة، وأمير اللواء، وأمير ركب المحمل وأمير الحج، وأمير المجلس، ولم يكن في بلاط السلطان غير أمير مجلس واحد فقط ومهمته ترتيب مجلس السلطان وحراسته حتى داخل قصره بل وحجرة نومه والمحافظة على صحة السلطان ووقايته. ومنهم الأمير الدين أزبك اليوسفى الذي كان من أكبر أمراء دولة المماليك، ومن أعظم قوادها المبرزين في عصر السلطان قايتباى كما كان مشيرا للملكة في عهده، والأمير سيف الدين أزبك بن ططخ وكان مقدم ألف في زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون، والأمير أوزبك المحمودى وقد سافر في سنة

824هـ أمير حاج المحمل.

وقد تصاهر خانات الأوزبك مع سلاطين مصر في العهد المملوكى، فتزوج الملك الناصر بن قلاوون من الأميرة الأزبكية طلنباى أو طولونية خاتون، بغية توطيد العلاقة بين السلطان المملوكى وأوزبك خان، وفى هذا يقول المقريزى ضمن حوادث عام 720هـ (وصلت الستر الرفيع الخاتوني طلنباي ويقال دلنبية ويقال طولونية بنت طغاي بن هندو بن باطو بن دوشي خان بن جنكيزخان....وكتاب أوزبك فبلغ السلام وقال : أخوك أوزبك أنت سيرت طلبت من عظم القان بنتاً فلما لم يسيرها لم يطب خاطرك وقد سيرنا لك من بيت كبير فإن أعجبتك خذها بحيث لا تخلي عندك أكبر منها وإن لم تعجبك فاعمل بقول الله تعالى:{ۆۈۉۊۋۋو} [النساء: ٥٨] فقال السلطان: " نحن ما نريد الحسن وإنما نريد كبر البيت والقرب من أخي ونكون نحن وإياه شيئاً واحداً " . فتولى قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة العقد على ثلاثين ألف دينار الحال منها عشرون ألفاً والمؤجل عشرة آلاف وقبله السلطان بنفسه. وكتب علاء الدين على بن الأثير كاتب السر العقد بخطه وصورته بعد البسملة: " هذا ما أصدق مولانا السلطان الأجل الملك الناصر على الخاتون الجليلة بنت أخي السلطان أزبك خان طولو ابنة طغاي بن بكر بن دوشي خان بن جنكيز خان " . وخلع السلطان يومئذ خمسمائة خلعة وكان يوماً مشهوداً. ويصف لنا المقريزي جهاز الأميرة الأزبكية والموكب الذي رافقها (فقد جهزها مع بعض أمرائه في مائة وخمسين رجلاً وستين جارية وقاضي سراي ومعهم هدية سنية فقدموا في البحر إلى الإسكندرية في عشري ربيع الأول).

كما تزوج أمراء الأوزبك في مصر من بنات السلاطين، فتزوج

الأمير قوصون الأوزبكى من ابنة الملك الناصر بن قلاوون بصداق بلغ خمسين الف دينار، وأنجب منها كذلك أزبك بن ططخ، فقد تزوج من ابنة الملك الناصر التي أنجبها من ابنة ازبك خان.

ويذكر لنا المقريزى أنه في عام 729هـ = 1329 " قدم رسل الملك أوزبك صحبة الأمير سرطقطاي مقدم البريدية بهدية وكتاب يطلب فيه مصاهرة السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون ".

ويلاحظ أن مصاهرات السلطان الناصر محمد بن قلاوون مع أوزبك خان، وتولية الأوزبك المناصب الهامة في مصر ترجح لدينا أن الأوزبك في تلك الفترة كانوا يمثلون طبقة متميزة بين الجنود الأتراك في مصر. وقد استكثر الناصر بن قلاوون من الأوزبك من بلاد القبجاق لينخرطوا ضمن الجند والأمراء في مصر، كما كانت الرسل والهدايا متبادلة بينه وبين أوزبك خان والأرجح أن هؤلاء الرسل كانوا يعرفون الأزبكية، مثل سيف الدين طقصبا، وسيف الدين بكمش، والأمير علاء الدين آيدغدى الخوارزمى. وكان أوزبك خان بعد إسلامه يستعين بالملك الناصر محمد بن قلاوون في الحصول على كتب الفقه والحديث والسنة. فيذكر المقريزى " : قدم الأمير سيف الدين بكمش الجمدار الظاهري والأمير بدر الدين بيليك السيفي السلاري من بلاد أوزبك بهدية ومعهما كتابه وهو يسأل أن يجهز له كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول وكتاب شرح السنة والبحر للروياني في الفقه وعدة كتب طلبها فجهزت له ".

وما حظى به الأوزبك في زمن الناصر محمد بن قلاوون وعلاقته مع أوزبك خان، ومصاهرته معهم، يرحج لدينا أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ينحدر من أصول أوزبكية. فالمصادر التاريخية تذكر أن والده من القبجاق، ومعروف أن القبجاق كانت تطلق على مجموع من الشعوب

التركية الذين استقروا في المنطقة المعروفة باسم مفازة الجوزية ثم باسم دشت قبجاق، التي استوطنها أبناء جوجى بن جنكيز خان، ومنهم جاء أوزبك خان الذي تنتسب إلى أبنائه أول دولة أوزبكية وهى الدولة التي أسسها أبو الخير شيبك خان. ويرجح هذا الرأى أن والدة السلطان الناصر محمد بن قلاوون أميرة من القبجاق تسمى (شلون خاتون) وكانت تعيش في مصر مع والدها، كما أن السلطان الناصر تزوج من ابنة أوزبك خان، الذي يعرف في المصادر التاريخية إنه من مغول القفجاق. وذلك قبل قيام الدولة الأوزبكية على يد أبو الخير الشيبانى.

وقد وصفت المصادر التاريخية المصرية الأوزبك بصفات جيدة تدور كلها حول حسن الإسلام، وحسن الخلق، والشجاعة، والكرم، والهيبة، وحسن الإدارة والعسكرية. ووصف أوزبك خان في المصادر العربية بأنه (كان ملكا عادلا كريما واشتهر الإسلام في زمانه بتلك الديار، وكان يكرم العلماء والصلحاء) أما ابنه جانى بك (فكان ملكا عادلا حسن السيرة يحب العلم وأهله ويحسن إليهم، وفد إليه العلماء وحظوا عنده).

والملاحظ أن الأمراء الأوزبك في مصر كثيرا ما اتخذوا اسم سيف الدين لقبا لهم، مثل الأمير سيف الدين أوزبك بن ططخ، والأمير سيف الدين أسنبغا بن بكتمر، والأمير سيف الدين أرغون النائب، والأمير سيف الدين طغاى والأمير سيف الدين بيرم خجا أى خواجه، وغيرهم كثيرون وهى ألقاب لها دلالة على دور هؤلاء الأزبك في الجيش في مصر وجهادهم في سبيل الدين.

وفى العهد العثمانى استمر وجود الأوزبك في مصر وتدلنا وثائق الأرشيف العثمانى أن التكية الأوزبكية في القاهرة كانت تستقبل الأوزبك من جميع مناطق آسيا الوسطى وكانت الدولة العثمانية بصورة عامة تتكفل

بالإنفاق على تكايا الأوزبك من أوقاف السلاطين وتهتم بتعميرها وترميمها، وتخصص أموالا لإطعام المقيمين فيها، وقراءة المولد الشريف، كما كانت ترخص لهم بطباعة الكتب التي يحتاجون إليها.

ومازالت بعض الأسر الأزبكية تعيش في القاهرة إلى اليوم وتحتفظ بألقابها الدالة على هذا فهناك عائلة شاش والبخارى، والفرغانى، والأزبكاوى، والطرازى.

آثار الأوزبك في القاهرة:

كان للأوزبك إسهاماتهم في الحياة الحضارية في مصر على امتداد تاريخها، ونذكر من هذا مقياس النيل بالروضة بالقاهرة الذي أنشأه أحمد الفرغانى في عام 247هـ (توفي في القاهرة عام 856 ميلادية). ومازال هذا المقياس قائما ومستخدما إلى اليوم.

وجامع ابن طولون أكبر جوامع مصر من حيث المساحة إلى اليوم وهو الجامع الذي أنشأه أحمد بن طولون وانتهى من بنائه سنة 265هـ = 878م، ويقع في ميدان ابن طولون في حى السيدة زينب بالقاهرة وجعله معهدا لتدريس علوم الدين والقرآن وعلوم اللغة، فصار منتدى للعلماء والمحدثين، كما أنشأ أيضا مستشفى ألحق به صيدلية وحمامين ورتب له الأطباء والصيادلة والخدم للعناية بالمرضى، وقد أنفق على هذا المستشفى ستين ألف دينار، وأوقف عليه الأوقاف لتأمين نفقاته.

كما أنشأ أحمد بن طولون أيضا مدينة القطائع لتكون عاصمة في مصر بدلا عن الفسطاط لتصبح بهذا ثالث عواصم مصر في العهد الإسلامى.

كما كان للإخشيديين لمساتهم الحضارية فهذا بستان الإخشيد الذي

أنشأه الأمير أبو بكر محمد بن طغج الإخشيدى على ست وثلاثين فدانا، وكان يتردد عليه ويقيم به الأيام، ومحله اليوم فيما بين جامع الشعرانى والسكة الجديدة قريبا من قنطرة الموسكى.

وفى العهد المملوكى نلاحظ من آثار تلك الفترة ما يوضح لنا تأثير العمارة الأوزبكية على العمارة المصرية متمثلا فيما يعرف باسم القباب السمرقندية التي تتميز بتضليعها (الهيئة البصلية) وترتكز على رقبة طويلة بارزة تجعل القبة أكثر وضوحا على المدخل وهى أهم ما يميز العمارة التيمورية على الإطلاق، ويتضح هذا في الشبه الكبير الذي نلاحظه بين قبة مسجد حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، وبين قبة ضريح الأمير تيمور في سمرقند.

كما تأثرت العمارة المملوكية في مصر باستعمال البلاطات الزخرفية في تكسية بعض أجزاء العماير، فنرى مئذنتى جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة على قمتها التي تأخذ الهيئة البصلية المفصصة، كما استخدمت في جامع قوصون، وهو ما يدعم رأينا في أن كثير من سلاطين دولة المماليك البحرية القادمين من القفجاق هم من أصول أوزبكية..

كما أقام الأمير قوصون الأوزبكى المنعوت بسيف الدين الذي رافق طلباى ابنة أوزبك خان إلى مصر سنة 720هـ، عند زواجها من الناصر محمد ابن قلاوون، بإنشاء جامع يعرف باسمه في سنة 730هـ، خارج باب زويلة، ومكانه الآن عند شارع المغربلين بحى الدرب الأحمر بالقاهرة وقد تهدم هذا الجامع ولم يبق منه سوى بوابته.

وابتنى الخديوى عباس حلمى مسجدا بدلا منه في شارع محمد على بالقاهرة يحمل اسم الأمير قوصون، ويعرفه العامة باسم جامع قيسون.

كما أنشأ سيف الدين أزبك اليوسفى حديقة الأزبكية نسبة إليه فصارت مقصد سكان القاهرة إلى اليوم، نشأ حولها حى شهير هو حى الأزبكية أحد أحياء القاهرة الهامة إلى الآن، وهناك أيضا شارع أزبك الذي يبدأ من آخر شارع الصليبية بجوار قلعة صلاح الدين وينتهى عند بركة الفيل وكان هذا الشارع من الشوارع المهمة في القاهرة المملوكية، وبه سكنى الأمراء ويضم المساجد والدور الكبيرة وفى هذا الشارع يقع جامع أوزبك الذي أنشأه الأمير أزبك اليوسفى في عام 900هـ، ويتبعه سبيل، وأوقف عليه الأوقاف.

* * *

المراجع

- علـى مبـارك، الخطـط التوفيقيـة لمصـر القـاهرة، بـولاق، المطبعـة الكبرى الأميرية 1302 - 1306.

- محمد عبد العزيز مرزوق، الناصر محمد بن قلاوون، اعلام العرب 28.

- مصــطفى شــوقى إبــراهيم، التــراث الحضــارى الإســلامى فــي جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية (دراسة للعمارة والفنون) من القرن 3 - 10هـ / 9 - 16م، رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة، جامعـة الزقـازيق 2001.

- سعاد ماهر، مساجد القـاهرة وأولياؤهـا الصـالحون، وزارة الأوقـاف المصرية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة 1980.

- المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك.

- المقريزى، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار.

- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور.

- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون.

- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.

- دائرة المعارف التركية - دائرة المعارف الإسلامية

- القلقشندى، صبح الأعشى.

- منجم باشى أحمد ده ده، جامع الدول، مخطوط بايزيد رقم 5020، 2.

* * *

حديقـة الأزبكية
في القاهــرة

حديقة الأزبكية في القاهرة

"قراءة في مشاهدات الرحالة المسلمين والأجانب"

د. حاتم الطحـــاوى
كلية الآداب - جامعة الزقازيق - مصر

تعد حديقة الأزبكية أحد أهم المعالم التاريخية الكبرى لمدينة القاهرة إلى وقت قريب. فقد كانت بركة الأزبكية في الأصل هي بركة بطن البقرة التي ذكر المقريزى أنها تقع ما بين أرض الطبالة وأراضي اللوق، ويصل إليها ماء النيل عبر خليج، وأنها كانت أفضل منتزه خارج القاهرة.

وأضيف حي الأزبكية إلى مدينة القاهرة في عهد السلطان قايتباى (1468 - 1496م) وسمي بهذا الاسم نسبة إلى منشئه الأمير أزبك بن تتش، أحد الأمراء البارزين آنذاك، الذي سكن بالقرب منها وأخذ في الاهتمام بها، حيث جعل فيها مناخاً لجماله، ثم أخذ يبني القاعات والمنازل والحواصل، ثم مهد الأرض وأزال الأكوام الموجودة بها، قبل أن يحفر بها بركة أخرى أجرى إليها الماء من الخليج الناصري. كما أنشأ بها جامعه الشهير فيما بعد في شهر شعبان900 - هـ 1494م وأنشأ حوله الحمامات والقياسر والطواحين والأفران. وبدأ الناس في سكناها وكبرت مساحتها.

انتهي الأمير أزبك من عمارة الأزبكية 882هـ - 1477م، وقام بدعوة السلطان قايتباى الذي بات ليلتها في قصره المطل على البركة. وفي شعبان 890هـ - 1485م كان أول فتح لسد الأزبكية، وكان يوماً مشهوداً دعي فيه الأمير أزبك الأمراء إلى قصره. وكانت توقد حول البركة

مختلف وسائل الإضاءة، وتدخل إليها المراكب، وتنصب الخيام حولها ويتنزه فيها الناس.

وعرفانا بفضل الأمير أزبك بن تتش، ودوره في تأسيس المسجد والأزبكية، ألف فيه الشيخ شمس الدين القادري قصيدة جميلة يقول مطلعها:

بنى جامعا يلتمس الرضا ::: به ونجاة من أليم عقابه
فأكرم به من جامع من ثوى به ::: فلم يخل منشئه إذا من ثوابه
فيا فوز عبد مؤمن قد جنى به ::: ثمارا لجود من رياض جناته

ونتيجة للمجهود الكبير الذي بذله الأمير أزبك في تعمير منطقة الأزبكية، أنعم السلطان قايتباي عليه بأرضها، وكتب له وثيقة بذلك، بعد أن كانت الأرض قبل ذلك موقوفة على خزائن السلاح.

وفى القرن السابع عشر الميلادى، قام الحاج الدمشقى عبد الغنى إسماعيل الدمشقى برحلته إلى مصر في طريقه للحج، فنزل في القاهرة ضيفا على الشيخ زين العابدين البكرى، شيخ السادة البكرية الذي كانت تقع داره بالأزبكية، حيث دارت فيها مساجلات علمية وفكرية واسعة.

وحسب كلمات النابلسى “ في مجلسه المطل على بركة الأزبكية، ذات الروح والريحان، والتي فيها نفحة من نفحات الجنان “. كما أبدى إعجابه بتلك البيوت التي تحتل موقعا جميلا وتطل على بركة الأزبكية وأشجارها. ومن افتتانه بها حاول معرفة سعتها، وطولها وعرضها. ونظرا لجفاف بركة الأزبكية آنذاك، ولأن أرضها كانت محروثة وتمت زراعتها بالخس كما هى العادة كل عام، فقد تم قياس البركة بالذراع المتعارف عليه، الذي يعادل ثلاثة أشبار. وعبر استخدام الحبال بلغ طول بركة الأزبكية ألف وخمسين ذراعا، وعرضها أربعمائة واثنين وأربعين ذراعا.

ويبدو أن الحاج النابلسى قد افتتن ببركة الأزبكية وصاحبها الأمير أزبك، لدرجة أنه كتب قصيدة شعرية في محاسنها، يقول مطلعها:

وبركـــــــة مباركـــــــــة ::: لأزبــــــــك الأتابكـــــــــة
تكــــــاد مـــــن إشـــــراقها ::: تنـــــــزلها الملائكـــــــة
وماؤهـــــا إن جــــــف ::: فهـــــى روضـــــة مباركـــــة
مخضـــــرة أرجاؤهــــا ::: بهـــــا الهمـــــوم هالكـــــة

وفى القرن الثامن عشر الميلادى أصبحت الأزبكية وبركتها قبلة لسكان الطبقة الأرستقراطية في القاهرة. وعلى سبيل المثال، فقد سكن كتخدا كل من الانكشارية والعزبان في منزلين متجاورين بالأزبكية عام 1750م. وبنهاية القرن الثامن عشر كانت الأزبكية هى مركز الصفوة الحاكمة، حيث ازداد عدد البكوات الذين فضلوا السكن بها. وحازت بركة الأزبكية شهرة كبيرة كمركز للنزهات الخلوية والتصييف والملذات والمتع الليلية، خاصة أيام الفيضان. وعكست مشاهدات الرحالة ذلك الأمر، وهو ما أورده على سبيل المثال الرحالة الفرنسى سافرى عام 1780م، الذي ذكر أن " أكبر الحشود قد تركزت عند الأزبكية التي كونت بحيرة واسعة محاطة بقصور البكوات، ومضاءة بألوان متنوعة، وتسبح فوقها آلاف المراكب التي تتدلى منها المصابيح مكونة هالة من الأضواء المتحركة التي يتغير شكلها كل لحظة ".

وعندما قامت الحملة الفرنسية باحتلال القاهرة 1798م، قام الفرنسيون بسد قنطرة الأزبكية ومنع دخول المياه إلى البركة وقت الفيضان من أجل تجفيفها لجعلها مركز القيادة للجيش الفرنسى ومعداته، كما قاموا بطرد السكان الذين تطل منازلهم عليها والاستيلاء عليها من أجل سكن القادة الفرنسيين. وهكذا سكن نابليون بونابرت سراى الأزبكية

التي كانت في الأصل قصرا للسيد إبراهيم سعودى إسكندر من فقهاء الحنفية، ثم كليبر الذي قتل بالقرب منها،ثم الجنرال مينو الذي غير معالمها، وأدخل بها مسجدا بعد إشهار إسلامه.

كما وصف الفرنسى شامبليون الاحتفال بالمولد النبوي في ميدان الأزبكية، فذكر أنه اكتظ بالناس الذين التفوا حول المهرجين والراقصات والمغنيات، بالإضافة إلى سرادقات جميلة تم نصبها لأداء الشعائر الدينية، فالبعض يرتل القرآن الكريم، بينما كان هناك ثلاثمائة من الدراويش يقومون بحلقة ذكر، ويرددون في نفس واحد "....لا إله إلا الله ".

وبعيداً عنهم كان حوالي خمسمائة رجل يهتفون باسم الله من أعماق صدورهم المنهكة، ويرددون ذلك آلاف المرات. وتعجب شامبليون من اختلاط الاحتفالات الدينية بالألعاب الدنيوية.

وفى عهد محمد على 1805 - 1848م كانت المياه تجف في بركة الأزبكية أيام تحاريق النيل، ثم تفيض في موسم الفيضان مما ينتج عنه عفونة الأرض التي تسبب الأمراض، مما دعاه إلى رفع أرضها وتمهيدها، وتحويلها إلى حديقة عامة، وأجرى إليها الماء في الأعوام 1839 - 1847م.

وسكن محمد على أيضا في سراى الأزبكية، قبل أن تحترق ويقوم بتجديدها ومنحها لابنته زينب هانم. كما أنشأ محمد على مستشفى بالأزبكية وجددها عام1842م، وجعلها تابعة للمستشفى الملحقة بمدرسة الطب والولادة بالقصر العينى حيث خصصت للرجال والنساء، وكان بها 500 سرير، كما نقل إليها المرضى النفسيين من بيمارستان السلطان قلاوون بعد إغلاقه.

أما الباحث والرحالة الإنجليزي إدوارد وليم لين فقد تعرض أيضاً لاحتفالات مولد النبي في الأزبكية 1842م. فذكر إضاءة كافة الشوارع بالقناديل. واحتشاد العديد من سكان القاهرة في الأزبكية طوال الليالي العشر الأولي من شهر ربيع الثاني. وهم يستمعون إلى الشعراء والمشعوذين والهزليين، وقام بعض الأفراد من الغجر بالمشي على الحبال، وتم منع الغوازي من ممارسة الرقص. كما لفت نظره أيضاً موكب الدراويش الذي يمر كل ليلة. وذكر أن أفضل حلقة ذكر كانت تقام بالأزبكية في شارع سوق البكري جنوبي بركة الأزبكية، وكانت أصوات الذاكرين تصرخ (ملحة في عين اللي ما يصلي على النبي). كما أضاءت المكان نجفة ضخمة تتألف من 200 أو 300 قنديل. كما لفت نظره أيضاً وجود بعض المسيحيين الذين يشاهدون الذكر.

واهتم الخديوى عباس حلمى الأول 1848 - 1854م أيضا ببركة الأزبكية، فردم قناة الماء التي أحدثها محمد على حول البركة، وشق جدولا يدخل منه الماء وقت الفيضان إليها، كما أمر بإنشاء مصنع للثلج في الأزبكية.

أما الرحالة الإنجليزي ريتشارد بيرتون، الذي زار القاهرة عام 1853م فقد رصد تسلل المظاهر والعادات الغربية لحي الأزبكية، فذكر أن العديد ممن لا عمل لهم يجلسون كل ليلة في ضوء القمر خلال الطرق الرئيسية المؤدية إلى حدائق الأزبكية، حيث الحي الإفرنجي، ليستمعوا إلى الفرق الموسيقية التركية واليونانية، أو ليسعدوا بأكل الكحك، وشي الذرة، وشرب القهوة والمشروبات المحلاة، ومشاهدة مباهج ومزاحات القرة قوز.

كما ذكر أن المشهد في حديقة الأزبكية في منتصف القرن التاسع

عشر هو أقل اتساماً بالروح الشرقية مما عليه الحال داخل القاهرة، لكنه يلحظ أن منظر الملابس الإفرنجية بين الأزياء الشرقية المتباينة تحت ضوء القمر، بالإضافة للعتمة الخفيفة التي تسببها أشجار الأكاسيا ذات الزهور الصفراء والبيضاء، والتي يمكن مقارنتها بشكل عام بزهرة ذقن الباشا القديمة، كل ذلك كان يشكل منظراً جديراً بأن يكون موضوعاً للوحة فنية.

وفي نهاية مشاهداته يعجب ريتشارد بيرتون من وجود بعض السيدات اللاتي ليس لهن من الاحتشاد نصيب سوي البرقع، بينما تراقب الشرطة بعيون متساهلة مظاهر ذلك التهتك والانحلال، لأن تلك السيدات كن إلى عهد قريب يدفعن للدولة ضرائب عالية.

وكذلك الحال، فقد واصل الخديوى سعيد 1854 - 1863م سياسة أسلافه والاهتمام ببركة الأزبكية، فاهتم بتغذيتها بالمياه عبر ماكينة لرفع الماء من النيل عند بولاق إلى الجدول الذي شقه عباس وذلك لرى حديقة الأزبكية.

وعندما اعتلى الخديوى إسماعيل الحكم 1863 - 1879م، أبدى اهتماما واضحا بالأزبكية واتفق مع المهندس الفرنسى باريللى ديشان الذي أنشأ غابة بولونيا في باريس على إعادة تخطيط حديقة الأزبكية لتصبح على غرارها. كما اقتطع منها جزءا بنى فيه دار الأوبرا، كما استولى على دار البكرية الموجودة بها.

وهكذا افتتح الخديوى إسماعيل حديقة الأزبكية عام 1872م، وكانت تحتوى على بحيرات صغيرة مثبتة فوقها كبارى من الخشب، فضلا عن وجود مغارة صناعية وكشك للموسيقى. وتم تنظيم ميدان الأزبكية على

غرار ميدان مونسو الفرنسى، وأقيمت حوله حوانيت لبيع الدخان، ومطاعم أوربية وشرقية ومقاهى ومقصورة على الطراز الصينى.

وإبان عهد الخديوى إسماعيل، وصل الأمير النمساوى رودلف إلى مصر، حيث زار القاهرة، وذكر أنه توجه برفقة الخديوى بعد تناول العشاء

" إلى حدائق الأزبكية الواسعة حيث أقامت الجالية النمساوية المجرية مهرجانا للترحيب بنا، فعلقت المصابيح في الأشجار وجرت الألعاب النارية وأبدى الراقصون والمغنون مهارتهم في خيام معدة لهذا الغرض، وصدحت الموسيقى العربية، ولعب الحواة بالأفاعي وأكلوا النيران واستعرضنا الرماة (القصاصين) والزنوج والنوبيين وشاهدنا مسرح العرائس كما تم فتح بوابات الحديقة في وقت باكر جداً، مما أدى إلى ازدحامها بشكل كبير لدرجة أننا لم نستطع التجول فيها بحرية، كما لم نستطع التوجه للبوابة إلا بصعوبة بالغة ".

وفيما بعد قرر الخديوى توفيق 1879 - 1892م صرف مبلغ 16 ألف جنيه للمثال الفرنسى فورديه، صانع تمثال محمد على بالإسكندرية لعمل تمثال لجده إبراهيم باشا لإقامته في ميدان الأزبكية.

كما لاحظ الإنجليزي أيضا ستانلي لين بول أيضاً وجود بعض هؤلاء السيدات في متنزهات حديقة الأزبكية عام 1883م. غير أنه أشار إلى مسألة إيجابية متعلقة بأسرة الشرابى التي سكنت بالأزبكية فذكر أنه على الرغم من احتفالات الزواج التي تتسم باللهو والطرب، فإن تلك الأسرة كانت حريصة على صون بناتها إلى حد أنهم كانوا ينتظرون حتى ينتهي المدعوون من صلاتهم في جامع الأمير أزبك المقابل لمنزلهم، وبعد ذلك يسرعون بإرسال العروس إلى منزل زوجها في صحبة وصيفاتها، ثم

يطلقون النيران ابتهاجاً، ويحملون المشاعل لبعضهم في الأزبكية بفرح وسعادة.

وفى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى وبدايات القرن العشرين، إبان عهد الخديوى عباس حلمى الثانى (1892 - 1914م) كانت منطقة الأزبكية قد أصبحت حيا إفرنجيا تماما. وهو ما لاحظه الحاج التركى جناب شهاب الدين عندما وصل إلى القاهرة في طريقه للحجاز عام 1898م، فذكر أن منطقة الأزبكية تشبه الأحياء الأوربية تماما، وتعد حديقتها مركزا للمحلات الخاصة بالسكان الأوربيين بالقاهرة، تنتشر فيها الأشجار الغريبة القادمة من أفريقيا الوسطى التي تنشر رائحة عطر رقيق وغامض. كما ذكر أنه شاهد بها فرقة موسيقية عسكرية تعزف ألحانا هادئة وحزينة. ونظرا لكون شهاب الدين متدينا في طريقه للحج، كان من الطبيعى أن يستنكر أيضا وجود سيدات خليعات بالأزبكية ذكر أنهن يدعين أنهن مسيحيات. ولم يستطع منع نفسه من التساؤل: لماذا يسمح لهن بالتنزه هكذا في زى السيدات المسلمات؟

أما المثقف والرحالة التركى خالد ضياء الدين الذي قام بزيارة القاهرة وأخرج عنها كتابا مصورا عام 1909م، فقد لاحظ أن حديقة الأزبكية تعد من أقدم الحدائق وأضخمها، إذ تبلغ مساحتها 24فدانا، وتحتوى على مسرح وأكثر من كازينو وأربعة فنادق، وذكر أن بها ميادين واسعة وأشجار نادرة تم جلبها من أمريكا واستراليا والهند واليابان، فضلا عن وجود فسقية كبيرة ومصاطب لجلوس الناس عليها. واتفق مع الحاج جناب شهاب الدين أيضا في وجود الفرقة الموسيقية العسكرية التي تعزف ألحانها لرواد الحديقة والمتنزهين.

كما أشار خالد ضياء الدين إلى المكانة الكبرى التي تحظى بها حديقة

الأزبكية لدى سكان القاهرة بوصفها أجمل أماكن التنزه بها، لدرجة أن إحدى الشركات عرضت دفع مليون ليرة للحكومة المصرية مقابل شراء حديقة الأزبكية، غير أنها رفضت هذا العرض تماما.

وكذلك الأمر، فقد أثارت منطقة الأزبكية إعجاب الرحالة الهندى حسن نظامى الدهلوى الذي زار القاهرة عام 1911م، فقد ذكر أنها تمتاز باتساع شوارعها التي تضارع شوارع مدينة باريس، كما أشار إلى مبانيها الرائعة التي يسكن بها السكان الأوربيين. ولم يفته أيضا ملاحظة وجود فندق بالأزبكية يملكه يونانى، هو فندق المنتزه.

وهكذا كانت منطقة الأزبكية منذ تم إنشائها بواسطة الأمير أزبك بن تتش في نهاية القرن الخامس عشر الميلادى، وحتى بدايات القرن العشرين، منطقة سكن للطبقة الحاكمة وللطبقة الأرستقراطية في القاهرة، كما ظلت بركة الأزبكية وحديقتها فيما بعد قبلة للمصطافين والمتنزهين من سكان القاهرة. كما فضل السكان الأوربيون السكن في بيوت تطل على الأزبكية وحديقتها التي جذبت الكثير من رواد التنزه والمتعة بتخطيطها الأوربى، وخضرتها الواسعة، ومصابيحها المتلألئة.

* * *

البيــان الختامــي للمؤتمــر

البيان الختامي للمؤتمر الدولي العلمي " أوزبكستان: موطن علماء ومفكري العالم الإسلامي العظام " من 12 إلى 15 نوفمبر 2007

سمرقند - بخارى

أولاً: الديباجة:

في إطار الاحتفال بطشقند عاصمة للثقافة الإسلامية لسنة 2007 عن المنطقة الآسيوية نظمت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة " أيسيسكو " بالتعاون مع " هيئة نماء " وجامعة طشقند الإسلامية المؤتمر الدولي العلمي " أوزبكستان: موطن علماء ومفكري العالم الإسلامي العظام في الفترة من 12 - 15 نوفمبر 2007 في مدينتى سمرقند وبخارى.

وقد شارك في هذا المؤتمر العلمي نخبة من العلماء والخبراء من دول آسيا الوسطى وتركيا وأوزبكستان والبلاد العربية والإسلامية كما تابع أعماله أساتذة جامعيون وطلاب من مختلف الجامعات الأوزبكية كما حظي بتغطية إعلامية مكثفة من مختلف وسائل الإعلام.

وقد شهد المؤتمر في جلسته الافتتاحية كلمات كل من السيد/ بهرام عبد الحليموف مستشار سيادة رئيس الجمهورية ود/ روشان عبد الايف رئيس جامعة طشقند الإسلامية والسيد/ عبد الإله بن عرفة ممثل الإيسسكو ود/ يوسف عبد الغفار رئيس جامعة البحرين والسيد محمد

مجدي مرجان أمين عام منظمة اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا والسيد/ عثمان خان عليموف مفتي جمهورية أوزبكستان.

وقد شهدت الجلسة الافتتاحية أيضا عرض فيلم وثائقي بعنوان " مساهمة أوزبكستان في تطوير الثقافة الإسلامية " ثم ألقى البروفسور أحدجان حسنوف محاضرة بعنوان " أوزبكستان مركز علمي هام في بلاد المشرق الإسلامي في العصور الوسطى ".

ثم شهد المؤتمر بعد ذلك أربع جلسات علمية تناولت المحاور التالية:

- انتشار الإسلام وعلومه في أوزبكستان
- أوزبكستان في عهد الاستقلال.
- دور الأوزبك في تاريخ التراث الإنساني المعنوي.
- الثقافة العربية والأوزبكية.

هذا وقد قدم العلماء والباحثون خلال هذه الجلسات 24 بحثا علميا تناولت دور علماء أوزبكستان وقيمة إسهاماتهم الكبرى في تطوير الحضارة الإسلامية، الأمر الذي جعل من أوزبكستان " الوطن والعلماء " صاحبة أحد أهم روافد الثقافة الإسلامية.

والأمر كذلك فإن قيمة هذا المؤتمر تتأكد أيضا من كونه يمثل في مضمونه إطلالة على ماض مشرق ويستشرف في ذات الوقت الأشواق الطموحة للأمة الإسلامية في تأكيد مكانتها واحترام دورها على المسرح الدولي.

والأمر كذلك أيضا فإن سلطات أوزبكستان قد قامت مشكورة بتنظيم برنامج زيارات لأهم الآثار الإسلامية ذات القيمة التاريخية والإنسانية

الكبيرة في كل من سمرقند وبخارى وطشقند وكان أهمها على الإطلاق زيارة مرقد الإمام البخاري في سمرقند.

هذا وقد أشاد المشاركون بجهود منظمة الإيسيسكو فى مجالات اختصاصها التربوية والعلمية والثقافية وخاصة فيما يتعلق ببرنامجها الرائد الخاص بالاحتفال بعواصم الثقافة الإسلامية وهو البرنامج الذي يؤسس لثقافة التقارب والحوار والتواصل الحضاري بين المسلمين.

ثانيًا: التوصيات:

أن المشاركين في المؤتمر اعترافا منهم بالجهود المبذولة في التأكيد على قيمة وثراء الحضارة الإسلامية:

- وإيمانا منهم بضرورة الحفاظ على التراث الثقافي للامة الإسلامية وحمايته من الاندثار أو الضياع.

- ويقينا منهم بأن الحفاظ على هذا الإرث الحضاري الكبير هو أيضا حماية للهوية الثقافية والحضارية الإسلامية.

ووعيا منهم بضرورة حماية هذا التراث ونشره وتعميمه ليسهم بدوره في التنمية الثقافية والاقتصادية للدول الإسلامية.

لكل ما سبق فإن أعضاء المؤتمر قد خلصوا للتوصيات الآتية:

1- ضرورة إسهام الدول الأعضاء في منظمة الإيسيسكو من خلال جميع فعاليتها التربوية والثقافية والإعلامية والسياسية في المشروع الحضاري للإيسيسكو حول عواصم الثقافة الإسلامية الذي يهدف إلى التعريف بالمدن الإسلامية تاريخا وتراثا وتنمية للسياحة الثقافية بين الدول الإسلامية.

2- ضرورة إنشاء لجنة من الخبراء للتحضير الجيد لمشروع عواصم الثقافة في كل دولة بالتنسيق مع السلطات الحكومية والإيسيسكو.

3- إقامة المؤتمرات العلمية ذات الطابع الأكاديمي بين أوزبكستان والبلدان المشاركة في هذا المؤتمر.

4- توجيه الاهتمام في البلدان العربية إلى الإنجازات الحديثة والمعاصرة للنهضة الأوزبكية في مرحلة الاستقلال.

5- توجيه طلب الدراسات العليا في الجامعات العربية إلى دراسة اللغة والأدب والتاريخ الأوزبكي في مرحلتي الماجستير والدكتوراه.

6- ضرورة استمرار هذا المؤتمر في دوراته المقبلة بالتزامن مع عواصم الثقافة الإسلامية للسنوات المقبلة وخاصة في آسيا الوسطى.

7- توجيه الشكر والامتنان لفخامة الرئيس إسلام كريموف رئيس جمهورية أوزبكستان على عظيم عنايته ورعايته الكريمة لهذا المؤتمر.

8- توجيه الشكر والتقدير لمعالي الدكتور/ عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للإيسيسكو على الجهود المخلصة التي يبذلها في سبيل التواصل بين الدول الإسلامية.

9- توجيه الشكر والتقدير للسلطات الأوزبكية على كرم الضيافة وحسن الاستقبال لأعضاء المؤتمر خاصة لنائب رئيس الوزراء ومحافظي سمرقند وبخارى وقيادة الجامعة الإسلامية.

10- توجيه الشكر والتقدير لكل من ساهم في تنظيم هذا المؤتمر وخاصة د. صالح بادحدح المدير التنفيذي لهيئة نما ود. محمد حرب منسق المؤتمر ود. مجدي مرسى مدير المركز الثقافي المصري بطشقند على حسن التنسيق.

* * *



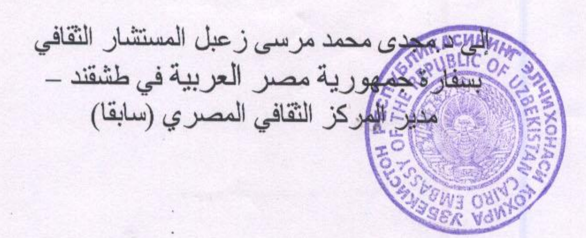
سفـارة جمهـورية اوزبكسـتان
فـي جمهـورية مصـر العربيـة
EMBASSY
OF THE REPUBLIC OF UZBEKISTAN
IN THE ARAB REPUBLIC OF EGYPT

رقم: 1643

تهدى سفارة جمهورية أوزبكستان بالقاهرة أطيب تحياتها إلى أ.د.مجدى محمد مرسى زعبل المستشار الثقافي بسفارة جمهورية مصر العربية في طشقند – مدير المركز الثقافي المصري (سابقا) وتتشرف بتفويض سيادتكم بطباعة كتاب اعمال المؤتمر الدولي بعنوان "أوزبكستان موطن علماء ومفكرى العالم الاسلامى العظماء" الذى عقد بجمهورية أوزبكستان في الفترة من 12-15 نوفمبر 2007 بمناسبة احتفال العالم الاسلامى بطشقند عاصمة للثقافة الاسلامية عن القارة الاسيوية لعام 2007.

و تنتهز السفارة هذه الفرصة لتعرب عن فائق احترامها وتقديرها.

تحريرا في 2008/12/27



إلى أ.د.مجدى محمد مرسى زعبل المستشار الثقافي
بسفارة جمهورية مصر العربية في طشقند –
مدير المركز الثقافي المصري (سابقا)

بطاقـة تعـارف

المحرر

د مجدى محمد مرسى زعبل

أستاذ المناعة الوراثية بالمركز القومى للبحوث

المستشار الثقافى - مدير المركز الثقافى المصرى بجمهورية أوزبكستان
2005 - 2008

عضو مجلس التحرير والمحكم العلمى للدوريات العلمية الدولية:
global veterinaria and global journal of molecular science

نشر بعض الدراسات في الفكر الاسلامى والقومى وتبسيط العلوم في الدوريات الاجنبية والمحلية

عضو المؤتمر القومى العربى

أمين عام اتحاد الدارسين العرب بمدينة كيشينيوف عاصمة جمهورية مولدافيا "الاتحاد السوفيتى " سابقا (1991-1987)

أحد نشطاء الحركة الطلابية الناصرية في السبعينات

تحت الطبع كتابه الثانى " مخطوطات رائدة: فصوص المتن وشروح المعنى"

للاتصال: 0122945809
بريد اليكترونى: **mmzaabal55@yahoo.com**

الفهــرس

الفهرس

* * *